٥٢١
ح ١١١
ل ٢

الجامعة الاردنية
كلية الدراسات العليا
قسم الدراسات العليا للعلوم الانسانية والاجتماعية

دور السياق في منهج التحليل النحوي عند سيبويه

٤٢٦

اعداد الطالب
موسى ابراهيم موسى حسن الشلتاوي

اشراف
الاستاذ الدكتور نهاد الموسى

قدمت هذه الدراسة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير
في تخصص اللغة العربية وآدابها من قسم الدراسات العليا للعلوم
الانسانية والاجتماعية بكلية الدراسات العليا
في الجامعة الاردنية

ذو القعدة ١٤١١هـ حزيران ١٩٩١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نوقشت هذه الرسالة بتاريخ ٢٩ من ذي القعدة ١٤١١هـ
الموافق ١٢ من حزيران ١٩٩١م
واجازتها لجنة المناقشة المؤلفة من:

الأستاذ الدكتور نهاد الموسى		رئيسا
الدكتور جعفر عبابنة	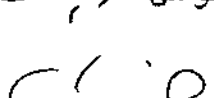	عضوا
الدكتور محمود الجفال		عضوا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المحتوى

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
الفصل الأول...	٩
سيبويه	١٠
اسمه	١٠
مولده ووفاته	١١
الكتاب	١٢
منهجه	١٤
التعليل في الكتاب	٢١
العوامل والمعمولات وموضعها من التعليل النحوي	٢٧
الفصل الثاني...	٣٢
السياق	٣٣
مفهومه	٣٣
أقسامه	٣٦
دوره	٣٨
أهميته	٤١
اللغة والسياق	٤٢
علماؤنا والسياق	٤٨
سياق الحال	٥٥
ما يجوز وما لا يجوز من التركيب مراعاة لسياق الحال	٥٥
جعل السياق فيصلا في تحديد المعنى وأمن اللبس	٥٦
سياق الكلام	٥٧
سياق الكلام يحدد النظام في التركيب	٥٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

دور سياق الكلام في تقعيد القواعد النحوية	٥٨
دور سياق الكلام في التركيب	٥٩
ومما كان فيه سياق الكلام مبررا للحذف	٥٩
سياق الكلام يخرج بالشيء عن أصله	٦١
ومن اللجوء إلى سياق الكلام في التحليل	٦٣
ومما كان سياق الكلام فيه مرجحا في التقدير	٦٤
سياق الكلام وأمن اللبس	٦٥
السياق اللفظي	٦٧
الفصل الثالث...	٧٣
دور المتكلم	٧٤
تفاوت درجات العلم بين الشك واليقين	٧٨
جواز ما يجيزه المتكلم من الإعراب	٨٢
ومما أرجعه سيبويه من الجواز إلى	
ما يريده المتكلم من المعنى	٨٣
دور المتكلم من خلال ما يدور في ذهنه	٨٥
جواز الخروج عن الأصل بناء على علم المتكلم	٨٩
اللجوء إلى السياق في التحليل	٩٣
سياق موقف المتكلم	٩٣
سياق حال المتكلم	٩٦
سياق حال المخاطب	١٠٩
سياق حال المخاطب وما يناسبها من التركيب	١٠٩
تكييف الخطاب مراعاة لعلم المخاطب	١١٥
دور المخاطب في الحذف والإضمار	١١٨
الخروج بالكلام عن الأصل وعن مقتضى	
الظاهر مراعاة لحال المخاطب	١٢٠
سياق حال المخاطب جزء من اللغة	١٢٣
النفاذ إلى أعماق المتخاطبين من خلال	
التحليل السياقي في الخروج عن الأصل	١٢٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الرابع... ١٢٦

السياق والمعنى ١٢٧
التسايق بين المعنى والإعراب ١٢٨
اثر المعنى في التركيب ١٣٤
مراعاة الثقل بين الأصول والفروع ١٣٩
اللجوء إلى المعنى في الخروج عن الأصل ١٤٠
اثر المعنى في التبويب ١٤١
الصيغة والمعنى ١٤٣

الفصل الخامس... ١٤٩

السياق الاجتماعي ١٥٠
استقامة الكلام من خلال مطابقته
للواقع واستحالته من عدم مطابقته ١٥٣
ما جرى على غير الأصل من التوسع في
الاستعمال لما تقتضيه الظروف العامة ١٥٥
التفاوت في طبقات المجتمع وما يترتب
عليه من التجاوز في التركيب ١٥٩
السياق العام يكون عذرا في الخروج عن
الأصل كما كان حكما في الوجود عل الأصل ١٦٠
انعكاس الصلات الخارجية على الصلات
الداخلية في التركيب ١٦٤
صلة الجوار ١٦٧
اللجوء إلى السياق الخارجي في التحليل الداخلي ١٦٩
السياق الخارجي ودوره في الإعراب ١٧١
حمل الأشياء المادية على الأشياء المعنوية في التعليل ١٧٣
تطبيق السياق في الواقع على السياق في التركيب ١٧٧
السياق الاجتماعي وما يترتب
عليه من الحذف والإضمار ١٧٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الظواهر الاجتماعية ظواهر لغوية ١٨١
مراعاة الحال المشاهدة في السياق الخارجي ١٨٤
التعريف والتنكير من خلال السياق الخارجي ١٨٧
محاكمة الصيغ للواقع الخارجي ١٨٩

الخاتمة ١٩١

الملخص بالإنجليزية ١٩٤

ثبت المصادر والمراجع ١٩٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المقدمـــــــة

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيد المرسلين النبي الأمي الأمين - أسأل الله أن يجعلنا في عداد النافعين المنتفعين (الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) وأن يزيدنا علما وعملا صالحا ويأخذ بأيدينا جميعا إلى ما فيه خير البلاد والعباد وبعد:

لا يقبل الإنسان على عمل ما دون أن يكون لهذا العمل خلفية وأفكار تراوده قبل الإقدام عليه، فلقد شعرت بأن لدي ميولا للدراسات اللغوية منذ سني دراستي الجامعية الأولى، وذلك من خلال ما قدر لي الاطلاع عليه من التراث الضخم الذي وصل إلينا من الرواد الأوائل والعلماء الأجلاء، وما وجدت لديهم من عبقريات خلاقة وملكات مبتكرة ومن دقة ملاحظة وتَتَبُّع ومدارسة وإحاطة بمسائل النحو والمام بما دقّ وجلّ من شؤون اللغة، وما أثمرت عنه هذه الجهود تجعل من الدراساتَ اللغوية هدفا مبتغى وغاية سامية رفيعة، في الوقت الذي جعلت المرء يفكر الف مرة في اختيار موضوع بحثه في هذا المجال، فأهم ما يعترض الباحث في هذا المجال هو اختيار موضوع البحث، فبعد الاطلاع على الكثير من الموضوعات في اللغة والنحو، لم أجد لي من دور فيها سوى الترتيب والفرز والجمع وقد يكون هذا الدور تشويها لهذه الموضوعات أحيانا وليس هذا هو الهدف والغاية من البحث.

وما أن طرح لي هذا الموضوع حتى وجدت فيه ضالّتي والفضل كل الفضل في اختياره يرجع لأستاذي نهاد الموسى، فقد ظل كتاب سيبويه على مر القرون محل عناية خاصة وموئلا لكل باحث ودارس ومنارا يهتدى به في الدراسات اللغوية، تناوله القدماء بالشرح والتعليق وتناوله المحدثون بالدرس والتحقيق، واستخرجوا منه أصول النحو وأصول الدرس الصوتي ولكنهم لم يمعنوا بتَتَبُّع المنحى العريض الذي اتخذه سيبويه في وصْف العربية وخاصة عنايته بضبط المعطَيات

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والمتغيِّرات الخارجية غير اللغوية، وملاحظة علاقتها المباشرة بوضع القواعد وتفسيرها، وهكذا وجدت أن تَتَبُّع دور السياق في منهج التحليل اللغوي عند سيبويه في كتابه يمثل أصلا جديرا بأن يضاف إلى أصول نظرية النحو العربي.

المنهج الذي اتبعْتُه في هذه الدراسة: قمت بدراسة منهج سيبويه دراسة تحليلية داخلية أسلمتني إلى الدراسة التحليلية الخارجية المتمثلة في السياق العام الذي يكتنف النصَّ اللُغوي لأن القواعد النحوية الأساسية التي قام عليها بناء الهيكل النحوي المجرد قامت في تطبيقها على قوانين اجتماعية كما سيتضح في الفصل الأول، ثم قمت باستصفاء العناصر السياقية الأساسية المتمثلة بالمتكلم والمخاطب وموقف الخطاب والمعنى المراد والنواحي الاجتماعية العامة المتمثلة بالعادات والدين والصلات والسلوك... إلخ، وبينت أثر كل عنصر من هذه العناصر في التركيب اللغوي العام من بداياته الأولى المتمثلة بالمادة الخام وهي الأصوات فالوحدة الصغرى وهي الكلمة فالجملة فالتركيب إلى المضمون العام، وبيَّنْتُ دور كل عنصر سياقي في كل عنصر لغوي من حيث النطق والحذف والذكر والمعنى والخروج عن الأصل واتّباع الأصل وبناء القواعد الأساسية، وقدمت لكل فصل من فصول هذا البحث بإطار نظري لكل هذه الأدوار المتبادَلة بين العناصر السياقية والعناصر اللغوية، مما أغنى في الكثير من المرات عن التقديم للعناوين الجزئية التي يتضمنها كل فصل، لما يترتب عن التقديم لها من التكرار والإعادة.

واشتملت هذه الدراسة على خمسة فصول:

الفصل الأول: يشتمل على دراسة موجزة عن الكتاب وصاحبه لا تعدو التَوْطِئَة، ودراسة تحليلية لمنهج سيبويه من حيث التعليل والقواعد والعامل ودوره في هذا التعليل، وقد أَسْلَمَتْني هذه الدراسة إلى القول في التحليل السياقي الخارجي، وهو مِحْوَرُ البحث وغايته الرئيسة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني: ويشتمل على دراسة مبسّطة للسياق من حيث معناه واهميته ودوره، كما يشمل دراسة موجزة عن السياق واللغة، والسياق في منهج سيبويه، كما اشتمل هذا الفصل على دراسة موجزة عما جاء عن العلماء العرب من آراء حول قضية اللفظ، والمعنى لما لها من اتصال بالسياق واشتمل ايضا على دراسة بعض السياقات كسياق الحال وسياق الكلام واللفظ.

الفصل الثالث: ويشتمل على دراسة سياق حال المتكلم والمخاطَب وما لهما من اثر في التحليل اللغوي الداخلي والسياق الخارجي.

الفصل الرابع: يشتمل على دراسة السياق والمعنى نَتَبيَّن من خلالها اهمية المعنى في التركيب اللغوي،كما نتبين اهمية المعنى في بناء الكلمة.

الفصل الخامس وهو الاخير: ويشتمل على دراسة السياق والناحية الاجتماعية.

والتمس عذرا لما انتاب هذا البحث من التداخل في الادوار السياقية، لان هذه العناصر تتداخل تداخلا يُصَعِّب الفصل معه فيما بينها احيانا، لانها اجزاء يكمل بعضها بعضا وروافد تصب كلها في السياق العام.

اما المصادر التي اعتمدتها في هذا البحث فأوّلها مصدر المصادر وهو الكتاب بطبعاته الثلاث -فإذا ورد الكتاب دون توثيق يقصد به الكتاب تحقيق عبد السلام هارون- والمُقْتَضَب للمبرد والمفصّل للزمخشري وشرح الكافية للرضي وشرح الاشموني، هذه من كتب النحو ومن كتب اصول اللغة، الاقتراح والمزهر للسيوطي، والايضاح للزجّاجي، والخصائص لابن جني، ومن الدراسات الحديثة: نحو اللسانيات الاجتماعية، والوجهة الاجتماعية في منهج سيبويه بحثان

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

للدكتور نهاد الموسى، واللغة والمجتمع، وعلم اللغة مقدمة للقارىء العربي للدكتور محمود السعران، ومن المراجع الأجنبية المترجمة دروس في الألسنية لدي سوسير.

وارجو أن اكون قد حققتُ الهدف من هذه الرسالة كما ارجو أن اتجاوَزَ ما جاوزَني عن قِصَرٍ وما جاوزْتُه عن تقصير في بحوث قادمة بإذن الله.

ولا يفوتني في هذه المقدمة أن اتقدم بالشكر والتقدير لأستاذي الكريم الدكتور نهاد الموسى على ما قدمه لي من نصح وإرشاد، ومعلومات قَيِّمة وعلى ما تَحمَّله مني من التقصير في إعداد هذه الرسالة، فجزاه الله عني وعن كل طالب علم خير الجزاء، واتقدم بالشكر للدكتور محمود الجفال الذي أسهم مساهمة جليلة في إشرافه على إعداد هذه الرسالة أثناء غياب أستاذي الدكتور نهاد الموسى، كما اتقدم بالشكر للدكتور جعفر عبابنة الذي لم أحظَ من وقته إلا بالقليل، إلا أن هذه الوقفات القليلة كانت كوَمَضَات تضيء ما استغلق امامي من المفاهيم، والله أسأل أن يوفقنا إلى الوصول للغاية المثلى ونرجوه العون والتأييد إنهُ أكرم مسؤول.

الباحـــــث

سيبويه

اسمه(١): هو عمرو بن عثمان بن قَنْبَر ويُكَنّى ابا بشر على أشهر الروايات، اما لقبه الذي اشتهر به هو لقب عُرف به منذ طفولته، وهو على أرجح الآراء مركب من كلمتين فارسيَّتين وهما سَيْب ومعناها تفاح و ويه ومعناها رائحة ولُقِّب بهذا اللقب لأن وجنتيه كانهما تفاحتان وكان وسيم الخلقة.

اما بالنسبة لأسرته وولادته ووفاته فلم تُمِدّنا المصادر بمعلومات دقيقة، فما عرفناه عن اسرته هو أنها فارسية تدين بالولاء لآل الربيع بن زياد الحارثي من بني الحارث بن كعب، ولم تذكر هذه المصادر شيئا عن امه وابيه وذكرت أن له اخا كان إلى جانبه عند وفاته أو في أثناء مرضه كما يُفهم من خلال هذا البيت الذي قاله:

---

(١) انظر المصادر التالية:

ا- مجالس العلماء: الزجاجي، تحقيق عبد السلام هارون، سلسلة التراث العربي، الكويت، ١٩٦٢م، ١٥٤/٨.

ب- اخبار النحويين البصريين: السيرافي، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٣٦م، ص ١٤٨.

ج- الفهرست: ابن النديم، المطبعة الرحمانية مصر ١٣٨٤هـ، ص ٧٦.

د- تاريخ بغداد: البغدادي، مطبعة السعادة بمصر ١٣٤٩هـ، ١٩٥/١٢.

هـ- معجم الأدباء: ياقوت الحموي، مطبعة دار المامون ١٣٥٥هـ، ١١٤/١٦.

و- وفيات الأعيان: ابن خلكان، المطبعة الميمنية ١٣٠٠هـ، ٤٨٧/١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أُخَيَّيْن كنا فرق الدهر بيننا إلى الأمد الأقصى ومن يأمن الدهرا

غير انا إذا تَمَعَّنا في هذا البيت لم نقطع بصحة هذه المعلومة، فمن الممكن انه خاطب صديقا له كان بمرتبة الأخ ذلك لقوله أُخَيَّيْن، ومن الممكن انه يخاطب اخاه على انهما كانا اخوين شقيقين.

<u>مولده ووفاته</u>: لم يُعْرَف تاريخُ ولادته ومكانها فلم يُعْرَف إلا وهو طالب علم في مساجد البصرة وإن ذهب بعض المؤرخين إلى انه ولد في مدينة البيضاء في كورة اصطخر.

اما وفاته فقيل انه توفي عن اربعين ونَيِّف بقليل، واكثر المصادر ترجح انه توفي عام ١٨٠هـ، وهذا تقدير مبنيٌّ على ان وفاة استاذه عيسى بن عمر كانت عام ١٤٩هـ وانه لم يجلس في مجلسه قبل السنة الرابعة عشرة، وعلى أن وفاة استاذه يونس وقد توفي بعده بقليل كانت عام ١٨٢هـ، وعلى ان الكسائي توفي عام ١٨٣هـ (١)، وقد كانت مناظرتهما الشهيرة قُبَيْل وفاة سيبويه.

اما علمه فكفى بالكتاب دليلا عليه، ولكنه لم يقتصر على العلم بالعربية، قال ابن عائشة: "كنا نجلس مع سيبويه النحوي في

---

(١) اخبار النحويين البصريين: ص ٤٨، الفهرست: ص ٨٣، معجم الأدباء: ١١٥/١٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المسجد وكان شابا نظيفا جميلا قد تعلّق من كل علم بسبب وضرب في كل أدب بسهم مع حداثة سنه وبراعته في النحو". (١)

الكتـــاب

لسان حال الكتاب يُثْبِتُ ما قاله علي النجدي ناصف: "الكتاب هو هذا السفر العظيم الذي أقامه العالم الجليل في ساحة الخلود أثَرا، وأرسله مع الأيام ذكرا، وادّخره للعربية كنزا، وندبه في العالمين شاهدا على براعته فيها ولفاذه إلى أسرارها، وإقامته في الاشتراع لها وضبط أصولها على نحو يَعِزُّ نظيره في الأولين والآخرين شمول إحاطة وبراعة استاذية وسلامة تحليل وصدق نظر وصحة حكم". (٢)
ويشارك علي النجدي ناصف في هذه الرؤيا الكثير من العلماء قديمهم وحديثهم، فلم يحظَ كتاب أُلِّف في هذا المجال بما حظي به الكتاب فلا يُلام الناس حين اسمَوْه قرآن النحو، يقول السيوطي: "وهو أعلم الناس بالنحو بعد الخليل، وألّف كتابه الذي سمّاه الناس قرآن النحو، وعقد ألفاظه بلفظه ولفظ الخليل" (٣)، ولا يلامون ايضا حين اطلقوا عليه الكتاب (٤)، فالكتابُ استحق هذا الإعجاب والتقدير بما يحويه من القواعد النحوية التي تُعْتَبر بحق الركائز الأولى التي قام عليها هذا العلم، وما يحتويه من تحليل رائع وإحساس دقيق بِدِقّه

---

(١) معجم الأدباء: ١١٥/١٦ .
(٢) سيبويه إمام النحاة: علي النجدي ناصف، مطبعة لجنة البيان العربي، مصر، ١٩٥٣، ص ٢ .
(٣) المزهر في علوم اللغة: السيوطي، تحقيق محمد جاد المولى ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر للطباعة والنشر، ٤٠٥/٢ .
(٤) أخبار النحويين البصريين: ص ٥٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اللغة وأساليبها وأسرار تركيبها، وما يشتمل عليه من دراسات صرفية وصوتية بحيث لم يُؤْتَ من بعده بجديد في النحو -في الأسس والقواعد- إلى جانب ما يَتَضَمَّنُه من الأغراض البيانية والبلاغية، حتى أن القواميس العربية ترجع في أصول الكثير مِنْ الكلمات إلى ما قاله سيبويه في بنائها واشتقاقها وتقف عنده، ولم يَفُت سيبويه أن يُضَمِّنَه دراسة بعض الظواهر اللغوية المنسوبة إلى لهجات القبائل، وإليك بعض ما جاء فيه من أقوال:

يقول الجرمي ت ٢٢٥هـ: أنا مذ ثلاثون سنة أفتي الناس في الفقه من كتاب سيبويه.

المبرد ت ٢٨٥هـ، يتعلم منه النظر والتفتيش ويقول: "لم يعمل كتاب في علم من العلوم مثل كتاب سيبويه وذلك أن الكتب المصنَّفة في العلوم مضطرة إلى غيرها، وكتاب سيبويه لا يحتاج من فهمه إلى غيره". (١).

ويقول المازني: من أراد أن يعمل كتابا كبيرا في النحو بعد سيبويه فليستحي مما أقدم عليه. (٢)

ويقول ابن جني ت ٣٩٢هـ، وقد حَطَبَ (جمع) بكتابه وهو أَلْفُ ورقة علما مُبْتَكرا ووصفا متجاوزا لما يُسمَع ويُرى. (٣)

والأقوال التي قيلت في الكتاب قديما وحديثا أكثر من أن تحصى.

تقول خديجة الحديثي: "اهتم القدماء والمحدَثون بالكتاب ودرسوه وناقشوه وذكروا آراءهم فيه وبَيَّنوا قيمته وأثره، ولم يَحْظَ أيُّ كتاب أُلِّف قبله ولا بعده بمثل ما حظي به كتاب سيبويه من اهتمام الدارسين والمنتفعين على اختلاف اتجاهاتهم وعصورهم/بحيث لم يمرّ عصر منذ ظهور الكتاب إلا ونجد فيه من درس الكتاب أو كتب عنه أو

---

(١) مجالس العلماء: ٢٥١ - ٢٥٢.

(٢) الفهرست: ص ٧٧.

(٣) الخصائص: ابن جني، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، ط ٢، ٣١٢/٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شرحه أو شرح شواهده، وبَيَّن قيمته أو علّق عليه". (١)
فالكتاب كان وما يزال محورا للدراسة النحوية وما من كاتب أو مؤلّف في هذا العلم إلا واتّخذ هذا الكتاب منْطَلَقا لبحثه. (٢)

يقول شوقي ضيف: "وقد تَحَوَّل ما ذكره من قواعد النحو والصرف إلى ما يشبه نجوما قُطْبِيَّة ثابتة ظل النحاة بعده إلى اليوم يهتدون بأضوائها في مباحثهم ومصنفاتهم". (٣)

ونختتم الكلام عن الكتاب بما قاله علي النجدي ناصف ايضا: بان الكتاب ليس أعظمَ مراجع النحو والصرف وكفى، ولكنه أصل من اصول الثقافة الإسلامية في غير ناحية من نواحيها المُتَعَدِّدة". (٤)

منهجه

يَشِفُّ منهج سيبويه عن معرفته للمستوى الأفصح والأكثر استواءً وشيوعا، كما يَنمُّ عن دراية بالمعايير وقدرة على تمييز جيد الكلام من رديئه، بما اشتمل عليه من وصف دقيق للغة العربية من حيث التركيب والاستعمال والمعنى، فنراه يُحَلِّل التراكيب ويُطَّرِدُ في

---

(١) كتاب سيبويه وشروحه، خديجة الحديثي، نشر المؤلفة، ط ١، ١٩٦٧، ص ٦١.
(٢) ممن أخذوا عن الكتاب من الرواد الأوائل، السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ٢٣، ٦٣، ٢٨٣، أسرار البلاغة: ٣٤١، واخذ منه الثعالبي في فقه اللغة وسر العربية: ٣٢٢، ٣٢٨، ٣٧٨، واخذ منه ابو محمد بن سنان الخفاجي في سرّ الفصاحة: ص ٢٢٧.
(٣) المدارس النحوية: شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، ط ٢، ١٩٧٣، ص ٦٥.
(٤) سيبويه إمام النحاة: ص ١٩٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تاويله للألفاظ من حيث النطقُ والمعنى والتقديرات لما اعتبره من المحذوفات لاستخلاص المعنى المراد، فيُوازِن مرة ويُقيس أخرى ويستفتي الذوق، ويستشهد الشواهد، ويلتمس العلل ويحاور أساتذته ويتَثَبَّت منهم، وكل هذا إما لمجرد النص والاستيعاب، وإما للمناقشة وإعلان الرأي وتقرير القواعد. (١)

ويحتار المرءُ في وصفه لهذا المنهج أتحليليٌّ هو إم نفسيٌّ أم اجتماعي أم تاريخيٌّ ؟ ، اوصفيٌّ هو أم معياري ؟ ، لأنك تلحظ هذه المناهج كلها في الكتاب إذا درست الكتاب حق دراسته، إلا أن هذه المناهج تتفاوت في الكتاب.
ويغلب عليه المنهج التحليلي الذي يُعْنَى في تصوير الموضوع ببيان اقسامه وذكر تفريعاته حيث ابتدأ بدراسة التراكيب والجملة المتمثلة بدراسة النحو ثم دراسة الكلمة وصوْغها وما يطرأ عليها من الإعلال والاعتلال المتمثلة بالدراسة الصرفية واختتم كتابه بدراسة الأصوات. (٢)

ولقد اتبع في تحليله الأوْلَويات في الإدراك الحسّي والذهني والنفسي فجعلها خطوطا عريضة تُبْتَدأ بها الدراسة، فما هو اصل جعل اصلا في الدراسة لما هو فرع عليه، وما هو اقرب إلى النفس جعل اصلا لما هو أبعد، ومن جملة الأصول والفروع كانت دراسة العوامل.
ولعلّي أُضيف هذا المَنْحى العريض إلى ما قيل في منهجه الذي اتبعه في تاليفه لكتابه وتوزيعه لأبوابه، ووصفه للظاهرة النحوية لأن اكثر الدراسات حول منهجه تدور حول فكرة العامل، وأنها الاعتبارُ الوحيد الذي حكم منهج سيبويه، وفرض عليه الترتيب لأبواب الكتاب حيث يقول

---

(١) انظر سيبويه إمام النحاة: ص ٥٨ ، في التطور اللغوي لعبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢ ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، ص ١٣٦ .

(٢) المدارس النحوية: ص ٦٣ - ٦٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

علي النجدي ناصف: "هذا تناويل الفكرة التي كان سيبويه يرعاها ويَصْدُر عنها في تنويع مباحث النحو وترتيب ابوابه كما تَمَثَّلتُ بالنظر والمراجعة في الكتاب مدارها العامل اولا واخيرا". (١)

وتَبِعه في هذا الراي احمد بدوي(٢) وشوقي ضيف(٣) وعبد الرحمن السيد(٤) وعبد الصبور شاهين(٥) إلا أن الأخير اضاف بعض الاعتبارات التي يَرْجِع معظمُها الى العامل.

ومما يدفع إلى إضافة هذا المنحى التعريض باعتباره اصلا من الأصول المنهجية في الكتاب ما استهل به سيبويه كتابه حيث يقول: "هذا باب علم ما الكلم من العربية" الذي أَعْتَبِرُه مُقَدِّمة لكتابه وما بعده من الأبواب وهي "باب مجاري اواخر الكلم من العربية"، و "المسند والمسند إليه" و "اللفظ للمعاني" و "الاستقامة من الكلام والإحالة" و "ما يحتمل الشعر (الضرورة)" تُعْتَبر تفصيلا لهذه المقدمة ومقدمات لما بعدها من الأبواب الى جانب ما تَتَضَمَّنُه من المعاني فلم يحصر دراسته فيما يطرأ على اواخر الكلم من الإعراب، بل شمل دراسة التراكيب وما تضمنته من المعاني إلى جانب الإعراب.

ويَعْمد إلى المنهج العقلي المجرد احيانا فيحاول ان يَحدَّ ما يتحدث عنه من ابواب عن طريق التعريف الكلي الجامع، من ذلك تعريفه للفعل في السطور الأولى من الكتاب إذ يقول: "واما الفعل فامثلة

---

(١) سيبويه إمام النحاة: ص ١٨٣.
(٢) انظر سيبويه، حياته، كتابه: احمد احمد بدوي، مكتبة نهضة مصر، بالفجالة، ص ١٢.
(٣) انظر المدارس النحوية: ص ٩٢.
(٤) انظر مدرسة البصرة: عبد الرحمن السيد، دار المعارف بمصر، ط ١، ص ٢٦٥.
(٥) انظر في التطور اللغوي: ص ١٥٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أُخِذَت من لفظ أحداث (المصادر) الأسماء، وبُنِيت لما مضى ولما يكون ولما يقع ولما هو كائن لم يَنْقَطع". (١)

أما طريقتُه في الكتاب فإنه لا يتشدَّد في تطبيق الأحكام فمتى أكثر ما جاء من القواعد رخصة واتِّساعا وضرورة، في الوقت الذي لا يَتساهل في قياس اللغات والروايات والآراء الضعيفة مع انه يُشير إليها ولا ينكرها، فما وافق منها قاعدة مطَّردة فهو صحيح ومقبول وما يخالف هذه القاعدة فَيَعْتَرِف به ولكن لا يقيس عليه، وقد يُبرِّر استعماله أحيانا.

وكان لا يلجأ إلى الشذوذ إلا إذا انعدم أي سبب يَتشبَّث به لإخراج الصيغة أو الجملة، كالعطف على ضمير الرفع المتَّصل والضمير المستتر بغير توكيد، والعطف على الضمير المجرور بغير إعادة العامل". (٢)

وقد يلْتَمِسُ علَّة لهذا الشذوذ ويقيس عليه ما فسد لكثرة الاستعمال وذلك في نحو عَوِرَ وصَيِدَ وحَوِلَ، فالقاعدة الصرفية تقول: إذا تحركت الواو وانفتحَ ما قبلها تُقلبُ ألفا، فعلل هذا الخروج بأن هذه الأفعال منقولة من بناء أَفْعَل، وهذا البناء مصوغٌ لِتُصاغَ عليه الأفعال الدالَّة على لون أو عيب فكان من حقها أن تُصاغ على مثال أَفْعَل. (٣)

وكان لا يخرج الشيء عن بابه المطَّرد في التأويل ما وجد لالحاقه سبيلا وإن كان بعيدا، فنراه يعالجُ دخول لولا على ضمير مثل لولاي ولولاك بأنها تكون جارَّة، ورفض القول بأن الضمير فيهما

---

(١) الكتاب: ١٢/١ ؛ انظر المدارس النحوية: ص ٦٤ .

(٢) انظر المصدر نفسه: ٣٧٧-٣٧٨ ؛ وانظر القياس في النحو: د. منى إلياس، دار الفكر، دمشق، ط ١ ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، ص ٤٩ .

(٣) المصدر نفسه: ٢٦/٤ ، ٢٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جرَّ استُعير للرفع، لأنَّه لا يَنْبغي لك لما يقول: "أنْ تَكْسِرَ البابَ وهو مطَّرد وأنت تجد له نظائر، وقد يُوَجَّه الشيءُ على الشيء البعيد إذا لم يوجد غيره، وربما وقع ذلك في كلامهم" (١)، لذا نجد أن التعليلات في الكتاب تَكْثُر كثرةً مفرطة، سواء للقواعد المطَّردة أو للأمثلة الشاذَّة حيث يقول: "وليس شيء يضطرون اليه إلا وهم يحاولون به وجها". (٢) ويأخذُ سيبويه بالأكثر استعمالا من الأكثر قياسا يقول ابن جني: "وإذا شذ شيء في الاستعمال وقَوِي في القياس كان استعمال ما كثر استعماله أولى وإن لم ينته قياسه الى ما انتهى إليه استعماله، من ذلك اللغة التميمية في (ما) هي أقوى قياسا وإن كانت الحجازية أسيرَ استعمالا" (٣) ومما ورد شاذًّا في القياس مطَّردا في الاستعمال الحَوْكة والخَوَنة. (٤)

ومن منهجه تَحرِّي الدقة وشدَّة الحيطة فلم يَقْبَل كل ما سمع عن العرب، ولم يَعْتَمِد ما يروى له، فقد كان يَتَثَبَّتُ من كل ما سمعه ويقارنُه بأقوال العلماء ويحكمُ بصحة ما يراه صحيحا من هذه الأقوال حتى انَّه أقلَّ من الاستشهاد بالحديث الشريف (٥)، لاعتقاده أن الكثيرَ من هذه الأحاديث رُوِيَت بالمعنى، فلم تَقُم شواهده على الرواية الضعيفة النادرة أو البيت المشكوك في روايته، فقد اهتمَّ اهتماما شديدا بتوثيق الشواهد لدعم ما يُقرِّره من الأحكام.
وكان يسأل الخليل كثيرا لِيَتَثَبَّتَ من كل ما سمعه، وكان لا يُدلي بقياس ولا بقاعدة نحوية عامة دون التأكُّدِ من السماع، فكان لا يُوغِل وراء

---

(١) الكتاب: ٣٧٦/٢ .
(٢) المصدر نفسه: ٣٢/١، وانظر المدارس النحوية: ص ٨٢ .
(٣) الكتاب: ٥٧/١، الخصائص: ١٢٤/١-١٢٥، المدارس النحوية: ٨٨ .
(٤) المصدر نفسه: ١٢٢/١ .
(٥) انظر نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة: محمد طنطاوي، تعليق عبد العظيم الشناوي، الجامعة الإسلامية البيضاء، ط ٥، ص ٧٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تفسير الظواهر إذا لم تكن لديه مادةٌ يَسْتَنِد إليها.
وكان لا يكتفي بما سمعه عن العلماء بل يضم إليها ما استخرجه من القواعد بنفسه اعتمادا على سماعه من العرب الخلص، فنراه يقول: "سمعنا العرب الفصحاء يقولون انطلقتُ الصيفَ، وقال: وسمعنا بعض العرب الموثوق به يقال له كيف أصبحت فيقول: حمدٌ لله وثناءٌ عليه" . (١)
وإذا اختلفت الأقوال فإنه يوازن بينها ثم يحكم بالترجيح أو التضعيف: ففي تحقير بُنات الياء والواو عند الكلام عن تصغير أَحْوى قال: وأما عيسى فكان يقول أُحَيٌّ ويَصْرف وهذا خطأ،...وأما يونس فقوله: هذا أُحَيٌّ كما ترى وهو القياس والصواب (٢)"، ومنه ايضا في "باب ما يُختار فيه الرفع"، يقول: "وإن قوما من العرب يقولون أما العبيد فذو عبيد يجرونه مجرى المصدر سواء وهو قليل خبيث وذلك انهم شبهوه بالمصدر كما شبهوا الجَّماء الغفير بالمصدر، وكان هؤلاء اجازوا هو الرجل العبيد والدراهم اي للعبيد وللدراهم فهذا لا يُتَكَلَّمُ به". (٣)

وبلغ من إحاطته وشمول معياره لِمِفَة الظاهرة النحوية في العربية ان يقول: "وهذا لم تَكَلَّم به العرب" (٤)، ويقول فيما تلحقه الهاء في الوقف: "وذلك قولك في بنات الياء والواو التي فيهنَّ

---

(١) الكتاب: ٣١٩/١ .
(٢) المصدر نفسه: ٤٧٣/٣ .
(٣) المصدر نفسه: ٣٨٩ .
(٤) انظر المصدر نفسه: ٩/٢، ٢٨، ٣٥، ٣٦، ٣٨، ٤٠، ٥٥، ٦٣، ٦٥، ٦٧، ٧٩، ٨٤، ٩١، ٩٢، ٩٧، ١١٠، ١١١، ١١٢، ١٨٤، ٢٠٩، وانظر١٠/٤، ٤٠، ٤٢، ٤٦، ٤٩، ٥٤، ٥٧، ٩٣، ١٠٩، ١١٦، ١٢١، ١٢٨، ١٣٤، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٥٤، ١٥٩، ١٦٠، ١٦٣، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٨، ١٨١، ١٨٣، ١٩٨، ٢١٩، ٢٢٩، ٢٥٤ .

الياء والواو لام في حال الجزم، ارمِه، ولم يغزُه، وقد يقول بعض العرب ارمِ في الوقف واغزُ واخشَ". (١)

ونجده ينكرُ قول أساتذته أحيانا، فقد أنكرَ تفسير أستاذه الخليل في الكلام على "أيٌّ" عندما تقع موصولة في نحو اضرب أيُّهم افضل فقد انكر تفسير الخليل لمثل هذه العبارة بانها على وجه الحكاية: اي اضرب الذي يقالُ له ايهم افضل (٢)، كما انكر ما ذهب إليه يونس في هذه المسالة من ان الفعل فيها بمنزلة قولك: "أشهد إنك لرسولُ الله"، وانكر قولهما في هذه المسالة بناء على عدم جواز نحو: اضرب أيٌّ افضل وقال: "لو قالت العرب اضرب أيٌّ افضل لقلته، ولم يكن بدٌّ من متابعتهم، ولا ينبغي لك أن تقيس على الشاذ المنكر في القياس، كما انك لا تقيس على أمسِ امسِك ولا على اتقولُ ايقولُ (٣)، لأنه لا يُستَفهَمُ المخاطَبُ عن ظنِّ غيره، وانكر ما جاء به النحويون مما طابق القياس ولم تَتَكَلَّم به العرب نحو: أعطاكَني وأعطاهوني، قياسا لأنه قبيح لا تتكلم به العرب، وانكر كذلك نحو أعطاهوك وقال في ذلك: "واما قول النحويين قد أعطاهوك وأعطاهوني، فإنما هو شيء قاسوه، ولم تَكَلَّم به العرب، فوضعوا الكلام في غير موضعه، وكان قياس هذا لو تُكلِّم كان هينا، ويدخل على من قال هذا أن يقول إذا منحته نفسه قد مَنَحْتَنيني، ألا ترى أن القياس قد قَبُح إذا وُضِعت في غير موضعها" (٤)، والسبب في هذا الإنكار هو أن سيبويه كان يدرس اللغة من واقعها لا من خلال القواعد والقوانين النحوية التي وضعها العلماء.

---

(١) الكتاب: ٤/١٥٩.
(٢) المصدر نفسه: ٢/٣٩٨ - ٣٩٩.
(٣) المصدر نفسه: ٢/٤٠٢.
(٤) المصدر نفسه: ٢/٣٦٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما كان يَفْتَرض الأساليب ويأتي بما فيه بعض التعقيد ويبين صحته وتقديره صارفا النظر عن ان العرب نطقت به أم لا وذلك في مثل: "أيَّ مَنْ يأتِه مَنْ إنْ يأتِنا نُعْطِه يُعْطِه تأتِ يُكْرِمْك" وذلك أن مَنْ الثانية صلتها إنْ يأتِنا نعطِه فيصير بمنزلة زيد، فكأنك قلت أيَّ مَنْ إنْ يأتِه زيدٌ تُعْطِه يأتِ يُكْرِمْك فصار إنْ يأته صلةً لمَنْ الأولى فكأنَّك قلت أيهم تأت يكرمك". (١)

التعليل في الكتاب

إذا ما نظرنا إلى ما تَضَمَّنه الكتاب من التعليلات وجدنا أنَّ معظم هذه العلل تَسْتَنِد إلى اعتبارات تتعلَّق بأغراض الكلام والفائدة المُتَوخّاة منها.

والإطار الذي اعتمده سيبويه في التعليل هو مراعاةُ نوع الصيغ التي يتألف منها الكلام وليس ملاحظة عملها فحسب" (٢)، فلم يَقْتَصِر البحثُ عند سيبويه على النظر في حركات الإعراب بل نظر إلى اللغة نظرةً شمولية تشمل ما يسمونه بعلم التركيب (٣)، وعلم النحو بمعناه التقليدي وتأليف الجمل وما تشتمل عليه من التقديم والتأخير والحذف إلى جانب الدراسات الصَّرْفيّة والصَّوْتيّة، يقول شوقي ضيف في ذلك: "وإنما تلقانا في الكتاب مثل هذه التحليلات الرائعة فهو لا يسجِّل القواعد فقط وإنما يُفَكِّر في العبارات ويلاحظ ويتأمل. ويستنبط

---

(١) الكتاب: ٤٠٥/٢ ، وانظر مدرسة البصرة: ص ٨٣ .

(٢) العلل النحوية: علي ابو المكارم، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ص ١٤٠ .

(٣) علم التركيب: وهو وصف موضوعي للهياكل اللغوية بغية توظيفها دلاليا.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خواصها ومعانيها بحسّه الدقيق المُرْهَف" (١)، ويقول شوقي ضيف ايضا: "اكثر سيبويه من تحليله للعبارات حتى تتّجه مع ما يراه لألفاظها من إعراب، من ذلك نراه يُعْرِبُ المصدرَ حالا إذا اتّجه ذلك في مثل ذهب به مشيًا اي ماشيًا، واشترط لذلك ألا تَدْخُله الألف واللام، إلا ما جاء به سماعا مثل: "أرسَلها العراك أيْ مُعْتَرِكةً" (٢)، لأن طبيعة الدرس في الكتاب في استنباط القواعد والقوانين التي تحكم اللغة وما تسير عليه في صناعة ألفاظها المفردة وصياغة الجمل أو التعابير المركبة التي تؤدي معنى ما يكون مقصودا إليه. (٣)

واتّخذ سيبويه الواقع اللغوي المُعْتَمد ميدانًا لدراسته والمراد بهذا الواقع اللغوي هو ما تعارف العلماءُ الأوائلُ على الاستشهاد به لاستنباط القواعد والنظريات من استقراء أساليب التوظيف اللغوي والموازنة بين القرائن اللفظية والقرائن اللغوية/للخروج من كل هذا بالهيْكل النَحْوي المُجرّد. (٤)

هذا في الوقت الذي لم يخفَ على سيبويه أن اللغة لا يمكن أن تُحْصَرَ في قوانينَ آلية ثابتة، لأنه قد يعرض للمتكلم احيانا في بعض أوضاع التراكيب أو في الاستعمال ما يُخرجه عن هذه القواعد، وقد نَبَّه على ما يجب ان يكون عليه الكلام من مطابقته للواقع.

ومما يسعفه في هذه القدرة وهذه البراعة معرفته بلغات العرب/ودقته في فقه الأسرار اللغوية والتركيبية التي تحتويها اللغة، وحِسّه الدقيق في مواضع الكلام، ونلاحظ هذا فيما خرج عن هذه الهياكل النحوية المجردة، فنجده يعلّلُ للخروجِ بخروجٍ يقابله والدخولِ بدخولٍ يقابله والإعرابِ بإعرابٍ يقابله، كما تعدّدت لديه وجوه الإعراب كما

---

(١) المدارس النحوية: ص ٧٤، ٧٥.

(٢) الكتاب: ط (بولاق)، ١١٨/١.

(٣) انظر القياس في النحو: ص ٣٦.

(٤) انظر أساليب التوكيد من خلال القرآن الكريم: أحمد مختار البرزة، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م، ص ١٤٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جاء في باب النعت/في المدح والذم/فاجاز الاتباع والقطع على انه خبرٌ لمبتدا محذوف او مفعولٌ به لفعل محذوف. (١)

وكانت لسيبويه القدرة على تحليل الالفاظ والكلام تحليلا يُعينُه على ما يريد من توجيهِ الاعراب، ومن طريف تفسيراته في قوله تعالى: "قل افغيرَ الله تامروني اعبدُ ايها الجاهلون" فإن ظاهر العبارة أنَّ (غيرَ الله) منصوبة ب (تامرون) وفي ذلك فساد واضح في المعنى، فاجاب بان (غيرَ) منصوبة ب اعبد و(تامروني) غير عامل فيه كقوله: هو يقول ذاك بلغني، فبلغني لغوٌ وكذلك تامروني، وكانه قال فيما تامروني. (٢)

ومن تاملَ اكثرَ العلل التي تضمّنَها الكتاب، يرى أنَّ البعض منها علَلٌ حسيّةٌ قبل ان تكون ذهنية اي يُثبتُها الحسُّ قبل ان يتعدّى إدراكها إلى الذهن، وان كثيرا من هذه التعليلات يستطيع ان يحسَّها الانسان بادنى تأمّلٍ

كما ان بعضَ هذه العلل يرجع إلى الناحية النفسية كتفاوت الالفاظ ومراتبها في النفس/فبعضُها اشدُّ تمكّنا من بعض/وهي ما عبروا عنه بالاسبقيةِ في النفس، فالاسماء الظاهرة أوفرُ في النفس من الضمائر المهزولة ولا سيما المتصل منها على حرف واحد، يقول ابن جني في تعليل النحويين: "ولستَ تجدُ شيئا علل به القوم وجوه الاعراب إلا والنفسُ تقبلُه والحسُّ منطوٍ على الاعتراف به، ألا ترى ان عوارض ما يوجد في هذه اللغة شيءٌ سبق وقتَ الشرعِ، وفُزِع في

---

(١) الكتاب: ٢٤٨/١ ، ٣٠٧/١ .

(٢) سورة الزمر: الآية ٦٤ ، الكتاب: ١٠٠/٣ .

(٣) انظر القياس في النحو: ص ٦٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التحاكم فيه الى بديهة الطبع، فجميع علل النحو مواطِئَةٌ للطباع". (١)

فإنَّ الكثير من هذه العلل لا يقومُ على فَرْض اعتبارات عقلية بحتة على اللغة، وإخضاعها لمقتضى هذه الاعتبارات، بل إنها تقوم على التأمل الدقيق في أوضاع الكلام ورَمْدِ مُخْتَلَفِ صور التاليف والتمييز بينها والاعتلال لها بما يتفق والنفس البشرية ويتقبله العقل، يقول ابن جني (٢): "كما أنَّ العلل جاءت بما يتناسبُ مع سمو الفطرة العربية التي تَجَلَّت في لسانها، فجاءت أوضاع كلامهم على ما تقتضيه الحكمة، وأنهم كانوا لا يُحِسّون بقوة طباعهم بالعلل التي يعلل بها النحاة وما يستنبطونه من احكام كلامهم، وإنما يريدون ذلك ويَقْصِدون إليه"، وقد جاء على لسان سيبويه مما يُثْبِتُ ذلك حيث قال: وحَدَّثَنا من نَثِق به أن بعض العرب قيل له: أما بمكان كذا وكذا وَجْذٌ؟ فقال: بلَى وِجَاذا أي رايت بها وِجَاذا. (٣)

كما أنه نظر الى الصلات بين الكلمات، وأعطى الكلمة من صفات الاخرى على قدر ما بينهما من صلات، فالفعل الماضي فيه بعض المشابهة للاسم لوقوعه موقعه.

وإليك نموذجا نتبين من خلاله ما ذكرنا من طريقة سيبويه في التعليل، يقول في بناء الفعل الماضي من أنه لم يُبْنَ على السكون لمشابهته للمضارع في بعض المرات/وهذه المشابَهة أعْطَتْهُ صفة من صفات المضارع وهي البناء على الفتح بدلا من البناء على السكون كما شابهت الظروفُ المَبْنِيَّة الاسماء المعربة، وكما أعرب الممنوع من الصرف وذلك لأن الاسم يُعْرَبُ إعرابَ الممنوع من الصرف لمشابهة الفعل

---

(١) الخصائص: ٥١/١، وانظر القياس في النحو: ص ٦٦.

(٢) انظر الخصائص: باب: في أن العرب قد أرادت من العلل والأغراض ما نسبناه إليها وحملناه عليها، ٢٣٧/١ - ٢٥١، وانظر القياس في النحو: ص ٧٣.

(٣) الكتاب: ٢٥٦/١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فيسلب منه بعض خصائص الإعراب، ومشابَهَتِه المُعرب فلا يمْنَعُه من الإعراب.

وحُرِم فِعْلُ الأمر من الإعراب لأنه لم يُشْبه المضارع في الحالات التي أشبهه فيها الفعل الماضي فَبُعْدُه من الفعل المضارع أشبه بعد الأسماء المبنيّة على السكون مثل كم وإذ من الأسماء المعربة. (١)

وعلَّل نصب المثنى بالياء لِيُشْبِهَ الجمعَ من ناحية والأخرى أنَّ نَصْبَه بالياء يجعلُ النصبَ تابعًا للجرّ لأنَّ الجرَّ من خصائص الاسماء ولم يَجْعَلِ النصْبَ تابعاً للرفع لأنَّ الرفعَ ليس من خصائص الأسماء بل ينتقلُ إلى الفعل المضارع أحيانا. (٢)

ومن التعليل المبنيِّ على انعكاس الكلام في اقطاب النفس الداخلية قوله: "واعلم أن بعضَ الكلامِ أَثْقَلُ من بعض فالأفعالُ أَثْقَلُ من الأسماءَ لأن الأسماء في الأولى وهي أَشَدُّ تَمَكُّناً فمن ثَمَّ لم يَلْحَقْها تنوين، ولَحِقها الجزم والسكون". (٣)
وجعل الأصل في الأسماء سبباً في الخِفّة مما يُمَكِّنُه من الإعراب، ويجعلها في الأصل، والأفعال مشتقة منها من خلال هذا التعليل (ألا ترى أنَّ الفعلَ لابُدَّ له من الاسم وإلا لم يَكُنْ كلاماً والاسم قد يَسْتَغني عن الفعل، تقول: "اللهُ إلهُنا" و "عبدُ الله أخونا") (٤)، وهذا ما يسميه النحويون عِلَّةَ العِلّة، والعللَ الثواني والثوالث. (٥)

---

(١) انظر الكتاب: ١٦/١ .
(٢) انظر المصدر نفسه: ١٧/١ .
(٣) انظر المصدر نفسه: ٢٠/١ - ٢١ .
(٤) انظر المصدر نفسه: ١٦/١ - ٢٠.
(٥) انظر الخصائص: ١٧٣/١ - ١٧٤، وانظر الاقتراح في علم أصول النحو: السيوطي، جمعية دار المعارف العثمانية، ط ٣، ١٣٥١هـ، ص ٦٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد يَخْرُجُ من الباب الذي هو فيه لتوضيح ما هو فيه، فنراه في الكلام عن الإعراب والبناء يَسْتَطرد إلى الممنوع من الصرف كما دفعه الاستطراد إلى الكلام عن أصل المشتقات، وهذا الاستطراد لم يَكُنْ خروجا عن الباب وإنما زيادة في التوضيح، لبيان علة هذا البناء وهذا الإعراب، فالاشتقاقُ والأصلُ عِلَلٌ داخلية ولكن التعليل لهذه العلل يكون في معظمه تعليلا سياقيا.

وما ادعاه النحويون من أن الكلام يُقسم إلى جملتين جملة فعلية واخرى اسمية، لم نَلْحَظْهُ عند سيبويه، وإنما الكلام -ويقصد به التام- له ركنان أساسيان مُسْنَدٌ ومُسْنَدٌ إليه ولا فرق في ذلك بين جملة اسمية ولا فعلية، ويُرجعُ التقديم والتاخير للاسم والفعل بناء على رغبة المتكلم والمخاطب حيث يقول: "وإنما يُقَدِّمون الذي بيانُه أهمُّ لهم وإنْ كانَ جميعاً يُهِمّانِهم ويَعنيانِهم". (١)

ويشرك بين الفعل والفاعل في الإسناد إليهما لأن المفعول به حقيقة هو الحدث المترتب على الفعل ويقع هذا الحدث باسم ما أو في مكان أو زمان ما أو لأجل غرض ما ولذلك نراه انفرد في بعض الآراء النحوية فاجاز بناء الفعل اللازم للمجهول حيث اجاز ضُحِكَ وقُعِدَ ويريد ضُحِكَ الضَحْكُ وقُعِدَ القعودُ. (٢)

ومن مراعاته لكثرة الاستعمال في التعليل ما جاء في: "باب علل ما تجعله زائدا من حروف الزوائد وما تجعله من نفس الحرف".

"فمن حروف الزوائد ما تجعله إذا لحق رابعا فصاعدا زائدا ابدا وان لم يُشْتَقّ منه ما تذهب فيه الزيادة، ولا تجعله من نفس الحرف إلا بِكَبَت، ومنها ما تجعله من نفس الحرف ولا تجعله زيادة إلا بِكَبَت. فالهمزة لحقت أولا رابعة فصاعدا فهي مزيدة ابدا عندهم، ألا ترى انك لو سميت رجلا بأَفْكَلَ وأَيْدَعَ لم تَصْرِفْهُ. وانت لا تشتق منهما ما

---

(١) الكتاب: ٣٤/١ .

(٢) المصدر نفسه: ١٧/١، ط (بولاق)، انظر الجمل في النحو: الزجاجي، تحقيق علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٩٨٥م، ص ٧٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تذهب فيه الألف، وإنما صارت هذه الألف عندهم بهذه المنزلة وإن لم يجدوا ما تذهب فيه مشتقا لكثرة تَبَيُّنِها زائدة في الأسماء والأفعال، والصفة التي يشتقون منها تذهب فيه (الألف)، فلما كثر ذلك في كلامهم أجروه على هذا.

ومما يُقَوّي أنها زائدة أنها لم تجيء أولا في فعل فيكون عندهم بمنزلة دحرج فترك صرف العرب لها (١)، وكثرتها أولا زائدة، والحال التي وضعت لها يُقَوّي أنَّها زائدة".

العوامل والمعمولات وموضعها من التحليل النحوي

كان شانُ سيبويه شانَ من سبقه من النحويين حيث اتَّخذ العامل مقياسا يُقاس به، فجعله مفسِّرا للظاهرة الإعرابية ومحلِّلاً للعلاقات اللفظية وموجها لهم في أعمالهم وعاملا أساسيا في استنباط القوانين النحوية.

واتَّخذوا هذا المقياس من خلال استقراء شبه تام، فنواميسُ الأشياء أنَّه إذا اقترَنت ظاهرتان وسبقت إحداهما الأخرى جُعِلت الأولى علة لما بعدها، وهكذا وجدوا اقتران كلمة بأخرى في نظام معين يجعل الأخرى على صورة إعرابية معينة، وبمراعاة عدة صور لهذا الاقتران وهذا الإعراب جعلت الكلمة الأولى كالسبب فيما ترتب على الكلمة الثانية من إعراب.

ولعل الخليلَ بن أحمد أولُ من اهتدى إلى فكرة العامل، واستعان هو ومن تبعه بما ألقوه إليه من العمل في تَقْعيد القواعد، إلا أن هذا التَّصَرُّف في القواعد الأساسية عن طريق الافتراض وحاجة كلمة إلى أخرى لم يجدوا طريقة تحصره وتحدِّده إلا باختلاق فكرة العامل، في

---

(١) الكتاب: ٢٣/١ .

(٢) المصدر نفسه: ٣٣/١ - ٣٤ .

(٣) المصدر نفسه: ٣٤٣/٢، ط (بولاق)، ٣٧٦/٢ ط (باريس) ٣٠٧/٤، عبد السلام هارون .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مثل: "هذا رجلٌ ضَرَبَنا"، ليكون في موضع ضارب، فأُعطي البناء على الفتح ولم يُبْنَ على السكون كالأمر. (١)

أما الفعل المضارع فأُعرِبَ لمشابهته الاسم في الوزن وأنَّه يحلُّ محله ويشبهه في المعنى فأُعطي الإعراب كالاسم.

ولكن الأمر يُبنى على السكون لانتفاء المشابهة بينه وبين الاسم، كما انه خَصَّ الفعلَ بالجزم ليكون كالعوض من الجرّ في الاسم ليجعل لكل من الاسم والفعل ثلاثة أوجه من الإعراب (٢)، ويلتمس ابن جني له عذرا حيث يقول (٣): "فإن قيل ما الذي سوّغ سيبويه هذا وليس مما يرويه عن العرب رواية -ويَقْصِدُ به التحليل- وإنما هو شيء رآه واعتقده لنفسه وعلل به ؟ ، قيل يدل على صحة ما رآه من هذا وذهب إليه ما عرفه وعرفناه معه من أن العرب إذا شبهت شيئا بشيء مكّنت ذلك الشبه لهما وعمرت به الحال بينهما، ألا تراهم لما شبهوا الفعل المضارع بالاسم فأعربوه تَمّموا ذلك المعنى بأن شبهوا اسم الفاعل بالفعل فأعملوه".

ومكنوا هذا الشبه أيضا بين المفردات والجمل، فجعلوا محلا من الإعراب للجملة التي تَحِل مَحِلَّ المفرد والجملة التي لا تَحِلُّ مَحِلَّ الاسم المفرد لا مَحِلَّ لها من الإعراب. (٤)

ونجد بعض القواعد وضعت ولم يكن لها أصل كالنصب على التَّشبيه بالمفعول به في معمول الصفة المشبهة المنصوب.

---

(١) الكتاب: ١٣/١، ١٥، ١٧، ١٩، ٢١، ٢٢.

(٢) انظر الأشموني: محمد بن علي الصبان، دار إحياء الكتب العربية، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ٦١/١.

(٣) الخصائص: ٣٠٤/١.

(٤) انظر مغني اللبيب: ابن هشام، تحقيق سعيد الأفغاني - مازن المبارك، محمد علي حمد الله - دار الفكر - بيروت - الطبعة الثانية، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م، ص ٤٢٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

غير أن هذا الإطلاق لفكرة العامل في حقيقته عامل مساعد لتأطير القواعد النحوية، وللاحتراز فيما تشابه من هذه القواعد في الإعراب والمعنى، لأن الظواهر اللغوية ليست ظواهر طبيعية تتسم بالقطع والثبات، فلا يُقْطَع بحتمية تلك الظاهرة ونتائجها، بل في قوانين طبيعية تَتَمشّى بطبع الناطقين بها، وقد أدرك هذا سيبويه فجاءت العلل الثواني والثوالث (١) وتعددت وجوه الإعراب وخرجت الكثير من المسائل عن القواعد الأساسية، لأن العامل ليس هو المسبب، وأجمع الكثير من النحويين قديمهم وحديثهم على هذا وإليك بعض ما قالوه.

يقول ابن جني في العوامل: "إنما قال النحويون: عامل لفظي وعامل معنوي ليروك أن بعض العمل يأتي مسببا عن لفظ يصحبه، كمررت بزيد، وليت عمرا قائم.

وبعضه يأتي عاريا عن مصاحبة لفظ يتعلق به كَرَفْعِ المبتدأ بالابتداء ورفع الفعل لوقوعه موقع الاسم، هذا ظاهر الأمر وعليه صفحة القول، فأما في الحقيقة ومحصول الحديث، فالعملُ من الرفع والنصب والجر والجزم، إنما هو للمتكلم نفسِه لا لشيء غيره، وإنما قالوا لفظيٌّ ومعنويٌّ لما ظهرت آثار فعل المتكلم بِمُضامَّةِ اللفظ للفظ أو باشتمال المعنى على اللفظ". (٢)

وقال ابن الحاجب: "والنحاة جعلوا العامل كالعلة المُؤَثِّرة، وإن كان علامة لا علة، ثم اعلم أنَّ مُحْدِثَ هذه المعاني في كل اسم هو المتكلم، وكذا مُحْدِثُ علاماتها لكونه كالسبب للعلامة، كما أنه

---

(١) انظر الخصائص: ١/١٧٣، ١٧٤؛ وانظر الاقتراح: ص ٦٧؛ وانظر الإيضاح في علل النحو للزجّاجي: تحقيق محمد مازن مبارك، دار النفائس، بيروت، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، ص ٦٤.

(٢) الخصائص: ١/١٠٩ - ١١٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كالسبب للمعنى المُعلَّم فقيل العامل في الفاعل هو الفعل لأنه صار به أحد جزأي الكلام". (١)

ويقول نهاد الموسى: "ومعروفٌ أنهم شُغِلوا بتفسير هذه الظاهرة وذهبوا إلى القول بالعمل، عمل العناصر اللغوية، بعضها في بعض لا على وجه الحقيقة بل على وجه العَلاقات المطَّردة الثابتة بينها في تلازمها، والقول بالعمل افتراضٌ في التحليل الداخلي أغناهم عن تفسير كثير من الظواهر في الإعراب وما يتعلق به". (٢)

وإذا ما تَمَعَّنَّا في الأسس التي قامت عليها هذه العلل نجدها مستمدة من الواقع الخارجي للغة، ومن العناصر السياقية وما يتعلق بها من اعتبارات، وسنذكر بعضا منها في الكلام عن السياق في منهج سيبويه في الفصل القادم بإذن الله، وأختتم هذا الفصل بما قاله الخليل عندما سُئِل عن تعليله للنحو لأنه يعبر أصدق تعبير عن منهج سيبويه حيث يقول عندما سئل: "عن العرب أَخَذْتَها أم اخترعتها من نفسك؟" فقال: "إن العرب نطقت على سَجِيَّتها وطباعها، وعرفت مواقع كلامها، وقام في عقولها عِلَلُه، وإن لم يُنْقَل ذلك عنها، واعتَلَلْت أنا بما عندي أنه علة لما عللته فيه؛ فإن أكن أَصَبْتُ العلة فهو الذي التمست، وإن تكن هناك علة له، فمِثلي في ذلك، مِثلُ رجل حكيم دخل دارا محكمة البناء عجيبة النظم والأقسام وقد صحَّت عنده حِكْمةُ بانيها بالخبر الصادق، أو بالبراهين الواضحة والحجج اللائحة، فكلما وقف هذا الرجل في الدار على شيء منها قال: إنَّما فعل هذا هكذا لعلة كذا وكذا ولسبب كذا وكذا، سنحت له وخطرت بباله محتملة لذلك

---

(١) الكافية في النحو: ابن الحاجب، شرح رضا الدين محمد بن حسن الاستراباذي - دار المكتبة العامة - بيروت - ٢١/١ .

(٢) نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث: نهاد الموسى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م ص ٣٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فجائز أن يكون الحكيم الباني فعل ذلك للعلة التي ذكرها هذا الذي دخل الدار، وجائز أن يكون فعله لغير تلك العلة، إلا أن ذلك مما ذكره هذا الرجل مُحْتَمَل أن يكون علة لذلك، فإن سنح لغيري علةٌ لما عللته من النحو هي أليق مما ذكرت فَلْيأتِ بها".(١)

---

(١) الإيضاح في علل النحو: ص ٦٥ - ٦٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني

السياق

اقسامه

ذوره

اهميته

اللغة والسياق

علماؤنا والسياق

سياق الحال

سياق الكلام

السياق اللفظي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السيـــــاق

مفهومه

لم ترد كلمة السياق بمعناها الاصطلاحي الذي نقصده منها في المعاجم العربية وإنما وردت بمعنى النزاع وإخراج الروح، وبمعنى المَهْر (١) .

وإذا وردت كلمة السياق اثناء الحديث كان يُقْصد منها مجرى الكلام، فقد ذكر الزمخشري في أساس البلاغة من المجاز قولهم "فلان يَسُوق الحديث أحسن سِياق" و "إليك يُسَاق الحديث" و "جئتك بالحديث على سَوْقه" أي مسْرَدِه . (٢)

ولعل اقدمَ من جاء بها على معنى قريب من المعنى الاصطلاحي الذي نقصده الإمام الشافعي في "الرسالة" يقول: "وفطرته أن يخاطب الشيء بالشيء عاما يُراد به الظاهر، ويستغني بأول هذا منه عن آخره، وعامّاً ظاهرا يُراد به الخاصّ ظاهرا يعرف في سياقه أنه يراد به غير ظاهره" أي أن النص يؤشر على دلالة القول فيعدل به عن الظاهر إلى غيره . (٣)

ونستشف هذا المعنى الاصطلاحي من ابن خَلْدون وإنْ لم يَرد بصريح اللفظ في كلامه عن علم البيان حيث يقول (٤): "هذا العلمُ حادِثٌ في المِلّة بعد علم العربية، وهوَ من العلوم اللسانيّة لأنه مُتَعلّقٌ بالألفاظ وما تفيدُه ويُقْصَد بها الدّلالة عليه من المعاني، وذلك أن الأمور التي يَقصِدُ المتكلمُ إفادة السامع من كلامه في إما تَصَوُّرُ

---

(١) لسان العرب: "مادة سَوَق" والقاموس المحيط "مادة ساق".

(٢) أساس البلاغة: الزمخشري، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ١٩٧٩ "مادة سوق" .

(٣) الرسالة: الشافعي محمد بن ادريس، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت، ص ٥٢ .

(٤) مقدمة ابن خَلدون: دار القلم، بيروت، ط ٤، ١٩٨١، ص ٥٥٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مفردات تُسْنَدُ ويسنَدُ إليها ويُفْضِي بعضُها إلى بعض، والدّالّة على هذه في المفرداتُ من الأسماءِ والأفعال والحروف، وإما تَمْييزُ المسندات من المسند إليها والأزمنة، ويُدَلَّ عليها بِتَغَيُّرِ الحركاتِ من الإعراب وابْنِيَةِ الكلمات، وهذه كلُّها في صناعَةُ النحو، ويَبْقى من الأُمورِ المُخْتَلِفَةِ بالواقِعاتِ المُحْتاجة لِلدّلالة، احوال المتخاطبين أو الفاعلين وما يَقْتَضيه حالُ الفعل وهو محتاجٌ إلى الدّلالة عليه لأنّه من تمام الإفادة، وإذا حَصَلَتْ للمُتَكَلِّم فقد بلغَ غايةَ الإفادةِ في كلامه وإذا لم يَشْتَمل على شيءٍ لها فَلَيْس منَ جِنْسِ كلامِ العرب فإنَّ كلامَهم واسعٌ، ولكلِّ مقامٍ عندهم مقالٌ يُخْتَصُّ به بعد كَمَالِ الإعراب والإبانة".

أما معناه الاصطلاحي عند الغربيين؛ فهو الإطار الذي جرى فيه التفاهم بين شخصين أو أكثر،ويشمل ذلك الزمن الذي دار فيه الحديث والمفاهيم المشتركة والكلام السابق للمحادثة، وهو يرادف القرينة Context ، فللكلمتين مدلول واحد، وفي ذاته المجال يُفَضَّلُ أن يُسمى سياقا لغويا، وهو يشمل البيئة اللغوية المحيطة بالكلمة أو الجملة وقد يضيق ليشمل البيئة المحيطة بالصوت اللغوي "الفونيم" أو الزيادة الصوتية "المورفيم". (١)

فالسياق اللغوي هو البيئة الكلية التي يتم فيها التفاعل العضوي بين جميع عناصر اللغة، ابتداء من المادة الخام المتمثلة في الأصوات وانتهاء بالمضمون العام، والبيئة الكُلِّيَّة في المجتمع الإنساني وبيئته العامة، وتعتبر هذه البيئة في الظروف الطبيعية للطبع اللغوي، بمعنى انه لا يمكن أن تكون هناك لغة بمعزل عن هذه الظروف، لأن هذه الظروف ملازمة للغة بالضرورة لا تَنْفَكُّ عنها.

---

(١) عن السياق في البحث اللغوي عند العرب؛ إبراهيم خليل، مخطوطة رسالة دكتوراه في الجامعة الأردنية، ص ٣٧ ، عن معجم علم اللغة النظري - محمد علي الخولي، مكتبة لبنان، بيروت ، طبعة ١ ١٩٨٢ مادة Situational Context .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكلمة السياق من المصطلحات الحديثة التي انبنى عليها علم اللغة الحديث، ولما له من اهمية في التركيب اللغوي اصبح مفهوما لنظرية علمية حديثة في علم اللغة تَبَنَّتْها المدرسةُ الاُلسنية الاجتماعية (١)، واهم ما امتازت به هذه المدرسة عن غيرها من المدارس اللغوية هو استدراكها على علم اللسان الحديث المعتمد على التحليل الداخلي الخالص إغفاله للسياق الذي تستعمل فيه اللغة.

وللعلماء العرب خطوات رائدة وآراء مُعْجبة في مراعاة هذه الظروف في تَقْعيدهم للقواعد النحوية، وإن لم تَرِد صريحة بهذا المفهوم حتى انه اصبح اصلا متواترا في معظم الاُبواب النحوية او معظم القضايا اللغوية، يقول نهاد الموسى: وحقيق بالذكر في هذا المقام ان العربية قد انتظمت في بنائها الائْتِلافي قواعد "المنطوق" إلى قواعد "المكتوب"، فقد تَنَبَّهَ النحويون خاصة إلى دور السياق او الحال المشاهدة في مواطن الجواز النحوي، وتَبَيَّنَ ما يكون لهم من اثر التفاعل بين اللغة ومحيطها الخارجي الذي يَكْتَنِف استعمالها". (٢)

---

(١) المدرسة الاُلسنية الاجتماعية: في المدرسة الإنجليزية، ومن ابرز علمائها اللغوي الإنجليزي فيرث Firth، وقد توفي عام ١٩٦٠ وقد اهتم تلاميذه من بعده بهذه النظرية ومنهم متشل Mitchell، وقد اكد لغويو هذه المدرسة على دور السياق في تحديد المعنى واهتموا ايضا بالاستعمال الفعلي للكلمة في إطار مجتمع بعينه ويحكم هذا الاستعمال امران هما السياق اللغوي وسياق الموقف - انظر اصول تراثية في علم اللغة، كريم زكي حسام الدين، مكتبة الاُنجلو مصرية - القاهرة، ط ٢، ١٤٠٥ - ١٩٨٥، ص ٧١ - ٧٦.

(٢) قضية التحول إلى الفصحى، نهاد الموسى، دار الفكر، عمان، ط ١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، ص ٦٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونستطيع أن نَتَبَيَّن هذه الظروف بعد دراسة السياق من حيثُ أقسامُه ودورُه وأهمية هذا الدور في بناء اللغة، وبعد دراسة اللغة من حيث معناها وأهم ما ورد فيها من تعريفات ومن حيث عناصرها ووظيفتها، حتى نَتَبَيَّن ما بينهما من علاقة متينة بحيث لا يمكن الفصل بينهما.

أقسامـــه

١) السيـــاق اللغـــوي Linguistic Context; Verbal Context

ويُقْصَد به: السياق الذي يُحدِّد معنى الكلمة من خلال تفاعلها بما يسبقها وما يلحقها من الكلمات، ولا ينظر إلى الكلمات كوحدات منعزلة مستقلة، ولا يتحدَّد معنى هذه الكلمة إلا من خلال سياقها الذي تَرِدُ فيه، فكلمة: عملية، لا نستطيع تحديد معناها إلا من خلال وجودها في سياق معين: إما أن تكون عملية جراحية أو عسكرية أو حسابية، ومثلها كلمة: حسن، لعب. (١)

٢) سياق الحال Context of Situation

ويُسَمّيه مالينوفسكي (توفي ١٩٤٤) (٢) Situational Context

وتبنى هذه النظرية فيرث Firth.

---

(١) انظر علم الدلالة: أحمد مختار عمر، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، ط ١، ١٩٨٢م، ص ٧٠، انظر أصول تراثية في علم اللغة: ص ٧٤.

(٢) انظر: أ- علم اللغة مقدمة للقارىء العربي: محمود السعران، ط ١٠، ١٩٦٢م، دار المعارف بمصر، ص ٣٣٨. ب- الألسنية علم اللغة الحديث: ميشال زكريا، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م، ط ٢، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر- بيروت ص ٢٨٢. ج- الأعراف أو نحو اللسانيات الاجتماعية: نهاد الموسى، ص ٢. د- أصول تراثية: ص ٧٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولسياق الحال دور رئيس في مجال الدلالة،كما أن له الدَّوْرَ نفسه في تحليل اللغة من خلال ارتباطها بالمعطيات أو الماجْرَيات التي تحيط باللغة ،الى جانب أن الدلالة في الغاية الأساسية من عملية الكلام. وسياق الحال هو جملة العناصر المكونة للموقف الكلامي، ويَأْتَلِف سياق الحال من عناصر ثلاثة هي:

أ- شخصية المتكلم والسامع وتكوينهما الثقافي، ومن يشهد الكلام معهما ودور هذا الشاهد في المشاركة أو المراقبة، فنجد شخصية المتكلم وجنسه ومكانته تُؤَدّي دورا هاما الى جانب القواعد اللغوية المتعارفة.

ب- العوامل والظواهر الاجتماعية ذات العلاقة باللغة وبالسلوك اللغوي وتشمل الزمان والمكان وحالة الجو ... إلخ.

ج- أثر النص الكلامي في المشتركين كالاقتناع والألم والإغراء، ويَتَبَيَّنُ من خلال هذه العناصر أن أهم ما يتميز به سياق الحال: هو إبراز الدور الاجتماعي الذي يقوم به المتكلم وسائر المشتركين في الحدث الكلامي.

٣) السياق العاطفي Emotional Context

وهو درجة القوة والضعف في الانفعال مما يقتضي تاكيدا أو مبالغة أو اعتدالا، فنجد فرقا بين صيغة آكل وأكول في العربية وبين love و like في الانجليزية رغم اشتراكهما في المعنى. (١)

٤) السياق الثقافي Cultural Context

ويقصد به القدرة على تنظيم الوحدات التعبيرية (٢) ضمن المستوى الصوابي من الناحية اللغوية وذلك بالتزام القواعد

---

(١) انظر علم الدلالة : ص ٧٢ .

(٢) هي المعاني الجزئية التي تؤلّف معنى رئيسيا في سياق واحد .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأساسية للغة، كما يترتب عليه تحديدُ المحيط الثقافي أو الاجتماعي الذي تستخدم فيه اللغة. (١)
بعد دراسة هذه الأقسام نجد أنها سياقات متداخمة لا يمكن الفصل بينها،وما هي إلا رَوافِدُ تَصُبُّ في السياق العام.

دوره

يشمل السياق جميع عناصر اللغة،حيث يَنْفُذُ الى المادة الخام التي تتكون منها الوحدة الأساسية الصغيرة، وهي الكلمة التي تُعْتَبَرُ اللَّبِنَة الأساسية الأولى في بناء الصرح اللغوي، والمادة الخام هي الأصوات التي تَنْتَظِمُ ضمن سياق معين يتّفق والعرف اللغوي من الناحية الصوتية والدلالية، فنجد المقاطع الصوتية : الياء، والزاي، والدال تأتي على عدة صور تركيبية مثل زيد، ديز، يزد ....إلخ، ولكن الصورة التركيبية الصحيحة هي زيد ، لأنها في الصيغة المتعارف عليها،والتي تحمل رمزا لغويا في المعاجم اللغوية، هذا من الناحية الدلالية، ومن الناحية الصوتية نجد ان المقطع الصوتي مرتبط بما قبله وما بعده من المقاطع، فالتاء والظاء لا يلتقيان في مقطع واحد لأن التاء صوت مهموس والظاء مجهور، والسياق الصوتي لا يسمح بنطقهما متجاورين.

وينظم السياق هذه الوحدات الأساسية الصغيرة في وحدات تعبيرية ضمن أُطُرٍ متداخلة : الصغير فالكبير فالأكبر، على أن يتحقق في هذا النظام المستوى الصوابي المتعارَفُ عليه من الناحية التركيبية والناحية الدلالية، لأن هذه الوحدات لا تؤدي دورها إلا من خلال انتظامها في سياق عام يربط بينها،فتتسايق عناصر اللغة فيما بينها لتؤدي دورها كاملا.

---

(١) انظر علم الدلالة : ص ٧٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويُشِفُّ دور السياق من هذا التعريف لدي سوسير (١): "إن معنى السياق ينبغي أن يشمل لا الكلمات والجمل السابقة واللاحقة فحسب بل والقطعة كلها و الكتاب كله، كما ينبغي أن يشمل بوجه من الوجوه كل ما يتصل بالكلمة من ظروف وملابسات" ، لذا نجد أن السياق لا ينطبق على الكلمات فرادى فحسب، بل على مجموعة الكلمات والوحدات المركبة مهما بلغت من الطول والتنوع، كالكلمات المركبة والمشتقات والجمل التامة وأجزاء الجمل كما قال دي سوسير. (٢)

ويقول دي سوسير أيضا (٣): "ولكن يجب أن نعترف بأنه لا وجود في ميدان السياق لحد فاصل فصاد مطلقا بين الحدث المنتمي إلى اللغة، الذي هو علامة من علامات الاستعمال الجماعي، والحدث المنتمي إلى اللفظ المنتمي لحرية الفرد، ويَعْسُر علينا في عدد كبير من الحالات أن ندرج توليفة ما من الوحدات في هذا الصف او ذاك، وذلك لأن كِلا العاملين الجماعي والفردي قد ساهما في إنشائها مساهمة يستحيل تحديد نسبتها".

مما مضى يتبيَّن أن دور السياق كدور الضابط أو الموزع للأدوار المنوطة بكل عنصر من عناصر اللغة، فهو يحدد صيغة الكلمة بالصيغة التي تتناسب مع جهاز النطق كما يحدّد معناها المراد من خلال تركيبها في الجملة، وعن طريق توزيع هذه الأدوار يتكون المضمون العام أو الفكرة الكلية.

ولا يقتصر دوره على توزيع هذه الأدوار بل يشارك مشاركة فعالة في توزيعها لأنه الوَسَطُ الذي تَتِمُّ فيه عملية التوزيع، وهو الجِسْر الذي يربط بينها، بعد أن كانت لا قيمة لها منفردة، لأن هذه العناصر لا

---

(١) دور الكلمة في اللغة: إستيفن أولمان - ترجمة كمال بشر - مكتبة الشباب، مصر ص ٥٤ .

(٢) دروس في الألسنية: دي سوسير، ترجمة صالح القرمادي وآخرين، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٥م ، ص ١٨٩ .

(٣) دروس في الألسنية: ص ١٩٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تقوم بدورها إلا باكتمال الدائرة السياقية، وتكتمل الدائرة السياقية بعد أنْ يتمَّ التفاعلُ بين مراحلها وهذه المراحل هي (١):

١) التماسك السياقي: ويقصد به الترابط بين الكلمات من حيث الوظائف التي تؤديها كل واحدة منها بالنسبة للأخرى في الكلام، كأن تؤدي الكلمة وظيفة الفاعل بالنسبة للفعل، أو وظيفة الخبر بالنسبة للمبتدأ، فاداء كل كلمة وظيفتها النحوية حسب نظام اللغة يؤدي إلى التماسك بينها وبين غيرها من الكلمات في السياق.

٢) التوافق السياقي: ويقتضي التطابق بين بعض أجزاء الكلام من حيث الجنس والعدد والتكلم والغيبة، ومن هذا التطابق في العربية في التطابق بين المبتدأ والخبر واسم الإشارة والمشار إليه والصفة والموصوف .... إلخ.

٣) التأثير السياقي: بعد أن تتمَّ العمليتان أو المرحلتان السابقتان تؤدي الكلمات وظائفها ويتماسك سياقها بتطابق أجزائها، وبهذا تقوم المراحل الثلاث بتأدية الغرض عند اكتمال الدائرة الكلامية.

وقد عَبَّرَ عن ذلك أحد الباحثين المعاصرين بقوله (٢): "ولا يَذْهَبَنَّ بنا هذا المنهج الى الغفلة عن التفاعل العضوي القائم في عملية الخطاب، الذي لا يكون مخاطب بدون مخاطب وخطاب، كما لا يكون مخاطب ولا خطاب ما لم تكتمل أضلاع المثلث، ويعمد الفكر الأسلوبي إلى منهج اختياري في إثبات حضور الفصل في عملية الإبداع. فإذا

---

(١) أصول النحو العربي: محمد عيد، عالم الكتب، القاهرة، ص ٢٦٦.

(٢) الأسلوبية والأسلوب: عبد السلام المسدي، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، الدار العربية للكتاب، ص ٧١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اهتدينا الى التجربة اهتدينا الى أن المتكلم عامة يُكيِّفُ صنعة خطابه حسب أصناف الذين يخاطبهم، وهذا التكييف او التأقلم ليس اصطناعيا"، وإذا تَمَعَّنّا في عملية التكييف والتاقلم نجد أن المقصود بها:عملية الانسجام مع السياق العام.

اهميتـــه

تبرز اهمية البسياق من خلال دوره الذي ذكرناه والذي يَشْمَل جميع عناصر اللغة الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية والاجتماعية ويتجاوزها إلى المعاني المجازية، وتتلخص اهميته فيما يلي:

١- تحليل الظاهرة اللغوية او اللسانية تحليلا يشمل جميع عناصرها، واستعير هذه الميزة عن استاذي الدكتور "نهاد الموسى" حيث يقول: "وحقا انه يظل للسانيات الاجتماعية فضل التصريح الشمولي المجرد عن هذا المنحى في تحليل الظاهرة اللسانية وتفسيرها".(١)

٢- تستطيع أن تعرف الحالة الداخلية للمتكلم، وتحكم على طباعه وإحساسه ومزاجه من خلال خطابه، من حيث قوة الصوت وضعفه ونبرته وحالته المشاهدة، وقد ورد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "اخاف حتى يتكلم"، وعن ابن جني: "وقال لي بعض مشايخنا رحمهم الله: انا لا أُحسِنُ أن أُكَلِّم إنسانا في الظَّلْمة". (٢)

٣- السياق هو العامل المساعد في القدرة على التعبير عما يدور في اذهاننا بعدة صور، وأن أي فكرة من الأفكار يمكن الإبلاغ عنها باشكال وكيفيات متنوعة، وأن الشحنة الإخبارية يُمكن سَبْكُها في صناعة لسانية متعددة. (٣)

---

(١) انظر الأعراف أو نحو اللسانيات الاجتماعية: ص ١٢ - ٣٨.

(٢) الخصائص: ٢٤٧/١.

(٣) الأسلوبية والأسلوب: ص ٥٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤- يجعل العبارة ملائمة في السياق التواصلي للكلام لأن العبارة لا تُحدَّد من خلال بنيتها والمعاني المرتبطة بها بل تُحدَّد من خلال القيام بدورها في المضمون العام، ويتَأتَّى هذا من خلال انتظامها في السياق التواصلي.

٥- يعتبر السياق عاملا من العوامل الأساسية في تبويب الظواهر النحوية من خلال مراعاة حال المخاطِب والمخاطَب والظروف العامة، وتقوم القواعد النحوية مراعاة لهذه الظروف، لأن التداخل بين العناصر اللغوية تداخل عضوي ولا تستطيع أن تقيم حدا فاصلا بينها، والعلاقة بين العلاقات السياقية والعلاقات الترابطية هي التي توحي إلينا بطريقة ما في تبويب الأبواب النحوية، وتفرض نفسها بنفسها وهي الطريقة التي تتخذها أسا نبني عليه النظام النحوي. (١)

٦- وبناء على ما تقدم يعتبر السياق عاملا من عوامل نمو اللغة وتطورها لأنها تواكب الظروف العامة لمجتمعها (٢)، فلا تقف عند حد معين.

٧- كما ان له اهمية في تعليم اللغة وتَعَلُّمِها (٣)، وكيف لا تكون له هذه الأهمية وهو التربة الخصبة التي تنبت فيها اللغة والمناخ الملائم لنموها والكنف الذي يحتضنها.

اللغة والسياق

إن البحث في اللغة طويل ولا حدود له والذي يهمنا في هذا المجال البحث الذي نَتَبَيَّن من خلاله السياق الذي تنتظم اللغة من خلاله، فيقتصر البحث على وجود اللغة ونظامها والظروف العامة التي تؤثر فيها.

---

(١) دروس في الألسنية : ص ٢٠٤ .

(٢) مباحث في النظرية الألسنية : ميشال زكريا، ط ٢ ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ، المؤسسة الجامعية للدراسة والنشر، ص ٥٧ .

(٣) الأعراف أو نحو اللسانيات الاجتماعية : ص ١٢ .

All Rights Reserved -:Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اللغة، عُرِّفَتْ اللغةُ تعريفات شتى لعل معظمَها لا يتجاوز ما عرَّفها به ابن جني (١)، من انها اصوات يُعَبِّرُ بها كلُّ قومٍ عن اغراضهم ويشاركه ابن خلدون (٢) في هذا التعريف، من انها عبارة المتكلم عن مقصوده. إذا تمعنا في هذين التعريفين وما جاء فيها من تعريفات لعلماء مَحْدَثِين من عَرَب وأجانب (٣) نجد ان هذه التعريفات تَتَضَمَّنُ الأركان الأساسية التي تشترك فيها معظم اللغات إن لم تكن جميعها، وهذه الأركان هي:

---

(١) الخصائص: ٣٣/١ .
(٢) مقدمة ابن خلدون: ص ٥٤٦ .
(٣) هذه بعض التعريفات لمشاهير العلماء الغربيين والعرب:
إدوارد سابير: اللغة وسيلة إنسانية خالصة وغير غريزية إطلاقا لتوصيل الأفكار والرغبات عن طريق نظام من الرموز التي تصدر بطريقة إرادية، اللغة والمجتمع: محمود السعران، ص ١٢ .

أوتوجسبرسن: مجموعة محددة من المفردات والتراكيب والتعبيرات توجد في كتب القواعد والقواميس مدونة ومحفوظة، اللغة والمجتمع: محمود السعران، ص ١٣ .

دي سوسير: نتاج جماعي لملكة اللسان وتواضعات ملحة ولازمة يتبناها الجسم الاجتماعي ليسهل ممارسة هذه الملكة لدى الأفراد، دروس في الألسنية، ص ١١٣ .

مالينوفسكي: إن اللغة لم تكن مجرد وسيلة للتفاهم والاتصال فحسب بل في سلسلة وحلقة للنشاط الإنساني المنظم وإنها جزء من السلوك الإنساني وهي ضرب من العمل وليست اداة عاكسة للفكر فقط، التطور اللغوي التاريخي، إبراهيم السامرائي، ص ١٤٢ .

هنري سويت: في التعبير عن الأفكار بواسطة الأصوات الكلامية المؤتلفة بها، اللغة والمجتمع: محمود السعران، ص ١١ .

مارتينيه: هي وسيلة إبلاغ يستطيع الإنسان بها أن يحلل خبرته إلى وحدات لكن هذا التحليل يختلف من مجتمع إلى مجتمع، مبادئ اللسانيات العامة، ص ٢٧ .

انطوان ماييه: هي تنظيم متماسك مرتبط بوسائل التعبير المشترك بين مجموعة متكلمين ولا وجود لهذا التنظيم خارج الأفراد الذين يتكلمون اللغة أو يكتبونها، الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون، ص ١٥ .

تمام حسان: هي مجموعة شحنات تعبيرية منفصلة بعضها عن بعض والأسلوب هو بالذات يدخلها في تفاعل فيما بينها عبر الاستعمال في السياق الكلامي، اللغة بين الوصفية والمعيارية، ص ٣٣ .

علي عبد الواحد وافي: اللغة مرآة ينعكس عليها ما يسير عليه الناطقون في شئونهم الاجتماعية العامة، اللغة والمجتمع: علي عبد الواحد وافي، ص ٢٧ .

العلايلي: مجموعة من الأفكار والتقاليد والعواطف والأحاسيس والنزوات وشتى المشاعر تنتظمها الألفاظ انتظاما أصبح منها كما يكون الشيء من الطبيعة، تهذيب المقدمة اللغوية، ص ٦٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١) ان اللغة ظاهرة اجتماعية .

٢) ترتبط اللغة بافراد مجتمعها عبر اصوات ورموز منتظمة ومتعارف عليها بينهم .

٣) دور اللغة الوظيفي هو الربط بين عناصر مجتمعها .

٤) ترتبط اللغة بالفكر تلقائيا .

تدرس هذه الأركان من زاوية العلاقات التبادلية بين هذه العناصر والمحيط العام الذي يحتضن هذه اللغة واثر كل منهما في الآخر، وتتمحورُ هذه الدراسة حول السياق العام الذي هو الهدف من دراستنا، والذي يُهمِّنا الأركان الثلاثة الأولى.

الركن الأول - اللغة ظاهرة اجتماعية : تعتبر اللغة العنصر الرئيسي في تكوين المجتمع وهي الدعامة الأساسية التي تقوم عليها أركانه، ولا يمكن أن تكون لغة بدون مجتمعها وكذلك لا يمكن أن يقوم مجتمع دون لغة لما بينهما من علاقة تبادلية حتمية .
واللغة في الميدان العملي للدائرة الكلامية التي أعتبرها (الهاتف) بينها وبين مجتمعها، وهي بمثابة الدماغ بالنسبة للجسم الاجتماعي، فأيُّ عُطْلٍ في هذا الدماغ يؤدي إلى الشلل التام في التنظيم الاجتماعي، لأنها تقوم بتنظيم العلاقة بين أفراد المجتمع، كما تقوم بتنظيم العلاقة بين الأفراد والظروف المحيطة بهم، ويَتَأتّى هذا من خلال ما حفظ في حافظته من المعلومات التي رصدت فيه، فهي أيضا كالحاسوب الذي حفظ في حافظته الأسس والنظم الاجتماعية، لذا لا يمكن دراسة اللغة بمعزل عن المجتمع والبيئة لما بينهما من العلاقات التبادلية في الوجود، كما لا تستطيع أن تدرس اللغة في فترة زمنية محددة وبيئة محددة / لأن اللغة تسير جنبا إلى جنب مواكبة لمجتمعها في تطوره/ويشترك في هذا الكثير من العلماء العرب والأجانب لأن المجتمع والبيئة لا يبقيان على حال،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فلا نستطيع أن نُجَمِّدَ اللغة ونحفظها مُحَنَّطةً في قوالب صنعت في فترة معينة ومكان معين وبيئة معينة لكل زمان ومكان.

والفرد في مجتمعه يؤدي دورَ الممثل على المسرح اللغوي، والمجتمع والبيئة هما اللذان يُمِدّانه بالنص والمضمون، والظروف العامة تحدد له الطريق لبلوغ الهدف، لأنها تفرض عليه سلوكا معينا يتناسب مع الزمان والمكان والبيئة والمجتمع لأن هذه العناصر تتبادل الأدوار فيما بينها على هذا المسرح.

فالظروف الاجتماعية والسياسية والدينية تؤثر تاثيرا مباشرا في اللغة، ونجد أن علم اللغة الحديث أولى الناحية الاجتماعية اهتماما بالغا. (١)

الركن الثاني: إن جميع اللغات الإنسانية تتمثل في أصوات منتظمة، ويتم التعبير عن اللغة بهذه الأصوات التي تكون الكلمات الموضوعة للدلالة على مُعَيَّنات متعارف عليها.

إن اللغة عبارة عن منظمة ضخمة من الأجهزة المتكاملة التي تعمل كلها في اتجاه واحد، منها الجهاز الصوتي والصرفي والنحوي والمعجمي مثلها في ذلك مثل الجسم الإنساني وما فيه من انسجة متكاملة أيضا تعمل كلها على استدامة الحياة لهذا الكائن، وموقف الباحث اللغوي كموقف الباحث في تشريح الجسم الإنساني،فهو يلاحظ أجزاءه،وطرق تركيبها،وعلاقة كل جزء منها بالآخر،وموضعه من هذه

---

(١) انظر: دروس في الألسنية: ص ٢٣ ، ١٢٣ .
اللغة بين الفرد والمجتمع: أوتوجسبرسن، ترجمة عبد الرحمن ايوب، مكتبة الأنجلو مصرية، ص ٢٣٧ .
التطور اللغوي التاريخي: إبراهيم السامرائي، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ، دار الأندلس، بيروت، ص ١٤ .
مباحث في النظرية الألسنية: ص ٥٧ .
اللغة والمجتمع: علي عبد الواحد وافي، ط ٢ ، ١٣٧٠هـ - ١٩٥١م ، دار إحياء الكتب، عيسى البابي الحلبي، ص ١٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنظمة الجهازية (١)، ودور هذه الأجهزة يتمثل في توزيع الأصوات بشكل لا يتراكب فيه صوت مع آخر وله تنظيمه المعجمي الذي يولد المفردات بموجب قواعد معينة وله تنظيمه الصرفي الذي يميز الصيغة ويفصلها عن شقيقاتها، وله تنظيمه النحوي الذي يُدْخِل الاسم خامة في باب من أبواب الوظائف النحوية وله تنظيمه الجملي الذي يجعل من المفردات سياقا مترابطا ومسلسلا وتركيبا متماسكا. (٢)

وهذه صفات تشترك فيها جميع اللغات، فكل اللغات تتكون من أصوات منتظمة متعارَف عليها تصدرها أعضاء النطق، وتتآلف هذه الأصوات في وحدات صغيرة تدل على معنى اصطلاحي متفق عليه بين أعضاء الجماعة اللغوية، وهذا المعنى وضعي، وليس هناك أي رابطة فطرية بين اللفظ ومدلوله، ولا يصح هذا الافتراض لأنه لو صح لكان حتما أن يتكلم الناس لغة واحدة. (٣)

تأخذ الدلالة مكانها المطلوب ضمن السياق الذي ترد فيه والذي يحدد معناها، فالعبارة الكلامية لا تتحدد من خلال بنيتها الذاتية والمعاني المرتبطة بها بل يوجد شروط وضوابط تشترط على هذه العبارة الانسجام والتلاؤم مع موقعها من السياق التواصلي للكلام، الذي يجمع بين العرف اللغوي والعرف الاجتماعي، ويجدر بنا أن نشير إلى ما قاله دي سوسير (٤) بخصوص المستوى التنظيمي لكل لغة: "إن النظام اللغوي لأية لغة لا يفضله معيار أو نظام لغوي آخر بالنسبة لهذه اللغة"، ويترتب على هذا القول نفي ما قيل من أن هناك لغة سامية وأخرى وضيعة.

---

(١) انظر اللغة بين الفرد والمجتمع: ص ١٥٤.

(٢) فنون التقعيد وعلوم الألسنية: ريمون طحان، دنيز بيطار، ط ١، ١٤٠٠هـ - ١٩٨١م، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ص ١٣٢.

(٣) انظر أسس علم اللغة: ماريوباي، ترجمة أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط ٢، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ص ٤١.

(٤) دروس في الألسنية: ص ٤٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الركن الثالث وهو دور اللغة الوظيفي: إن حاجة الإنسان للتفاهم والاتّصال والارتباط في مجتمعه جعلته بحاجةٍ مُلِحَّةٍ لخلق الوسيلة التي تُحَقِّقُ له هذا الغرض، وهذه الوسيلة في اللغة، فالحاجة إلى خلق اللغة في حاجةُ الأفراد إلى التفاهم المتبادل بينهم لتتم عملية الاتصال والارتباط التي في الدعائم الأساسية التي يقوم عليها النظام الاجتماعي.

والذي يهمنا هو هذا الدور الطبيعي في تنظيم العلاقة بين عناصر مجتمعها المتمثل في أدوار منسابة في السياق الاجتماعي العام، فنجد الفرد يعبر عن الدور الذي سيقوم به وعن الفكرة التي تخطر في ذهنه بما يتناسب والظروف العامة والخاصة التي تحيط بالكلام، لأن اللغة في جسر التواصل الإنساني الذي تتواصل مجتمعاته من خلاله.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

علماؤنا والسياق

لعلمائنا خطوات رائدة في هذا المجال وإن لم ترد صريحة في هذا المفهوم وإنما وردت تحت قضية اللفظ والمعنى.
وما جاء به العلماء العرب في هذه القضية يُعْتَبَرُ أساسا لما وصل إليه علم اللغة الحديث في أيامنا هذه.
ونظريات العلماء العرب متلاحقة متممة لبعضها إلى أن تُوِّجت بنظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني، والتي تُعتبر بحق حجر الأساس لهذا العلم حتى أيامنا هذه.

لقد شغلت قضية اللفظ والمعنى العلماء العرب سواء أكانوا من اللغويين أم الأصوليين أم النقاد أم البيانيين، لأنهم يسعون لتحقيق هدف واحد وهو المطالبة بالتعبير عما يجول في خاطر صاحب الخطاب، مهما كان موضوع هذا الخطاب، بأسلوب فصيح بليغ يتمشى مع النظام اللغوي.
وإن علماءنا لم يتهاونوا في أي خلل يُخِلُّ بنظام الجملة سواء أكان ذلك من الناحية الصوتية أم الصرفية أم النحوية أم الدلالية، بل كانوا يعتبرون النظام النحوي السليم من البديهيات التي يجب أن يمتلكها صاحب الخطاب.

ولسيبويه يد طولى في هذا المجال لأنه يتجاوز التحليل الشكلي للتراكيب النحوية والأبنية الصرفية ويتخذ المعنى ملحظا ثابتا في وضع المعايير (٢)، ويتضح هذا في "باب اللفظ للمعاني" (٣)، حيث قرر ما لاحظ في كلام العرب من اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، كما في جلس وذهب واختلاف اللفظين والمعنى واحد كما في ذهب

---

(١) علم الدلالة : ص ٢٥٣ .
(٢) الوجهة الاجتماعية في منهج سيبويه في كتابه : ص ٥ .
(٣) الكتاب، ط (بولاق)، ٢٥٦/٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والطلق، واتفاق اللفظين والمعنى مُختلف، كما في قولك وجِدتُ عليه من الموجدة ووَجَدْتُ من وجدان الضالة.

ولقد تجاوز اللغة في مجالها الذاتي إلى دراستها في المجال الخارجي، مما كان له الأثر الكبير في نظرية النظم للإمام عبد القاهر الجرجاني، ومعظم الدراسات التي أعطت الدراسات النحوية أهمية كبيرة في النظم. (١)

ونخصُّ سيبويه بالذكر لأنه يُعتبر رائد النحو العربي الأول الذي جمع شتات من سبقه من العلماء، وتجاوز المفهوم المألوف لدى العلماء أنفسهم في علم النحو (الذي خصوه بالوظيفة الإعرابية للمفردات والجمل) إلى الاهتمام بدراسة الدلالات في نطاق المحور السياقي الذي ترد فيه، ويعتمد إبراز الخصائص اللغوية وما يترتب عليها في تقعيده للقواعد النحوية.

وتبع سيبويه أبو الفتح عثمان بن جني في تعريفه للغة كما سبق، كما أنه توصل إلى الغاية من درس النحو، إذ يقول في باب القول في النحو وتعريفه له: "انتحاء سَمْتِ كلام العرب في تصرُّفه من إعراب وغيره كالتثنية والجمع والتحقير والتكسير والإضافة والنسب والتركيب وغير ذلك، ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة. (٢)

---

(١) انظر: أ- أثر القرآن في تطور البلاغة العربية: كامل الخولي، ط ١، ١٣٨١هـ - ١٩٦٢م، دار الأنوار للطباعة والنشر، مصر، ص ٧.

ب- سيبويه جامع النحو العربي، فوزي مسعود، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م، ص ١٣٥.

ج- نظرية النظم: وليد مراد، دار الفكر، دمشق، ص ٥٧، ط ١، ١٩٨٣م.

(٢) الخصائص: ٣٤/١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فجعل درس النحو هو الطريق للفصاحة، كما افصح عن دور الإعراب في بيان المعنى بقوله في: "القول في الإعراب" هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ (١)، وفهم ابن جني فكرة العامل فهما لغويا صحيحا (٢) لأنه فهمها من خلال التركيب أو النظم، فالذي لا شك فيه أن الكلام حين يتركب في جمل تنشأ بين كلمة واخرى علاقة نحوية تؤثر على شكل الكلمة، كما في الحال في العربية، وليست هذه العلاقات سوى العوامل التي تحدث عنها العلماء العرب وذلك جلي من تقرير ابن جني انها تنشأ "بِمُضَامَّةِ اللفظ للَّفظ".

أما قضية اللفظ والمعنى التي شغلت النقاد والبيانيين واللغويين في القرون الثالث والرابع والخامس الهجرية (٣) فلهم فيها خطوات رائدة وآراء مُعْجِبة تُعْتَبَرُ مشاعل تضيء الطريق أمام

---

(١) الخصائص: ٣٥/١ .

(٢) فقه اللغة في الكتب العربية: عبده الراجحي، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م، دار النهضة، بيروت، ص ١٥٨ .

(٣) إليك بعض ما قيل فيها: انظر: عيار الشعر لابن طباطبا، ص ١٣ ، يقول: "للمعاني ألفاظ تُشاكِلُها فَتَحْسُنَ فيها وتقبح في غيرها فهي لها كالمعرض للجارية الحسناء التي تزداد حسنا في بعض المعارض دون بعض، وكم من معنى حسن قد شِين بمعرضه وكم معرض حسن قد ابتذل على معنى قبيح ألبسه". ويقول قدامة بن جعفر في نقد الشعر ص ١٥٢: "كانت ألفاظه قوالب لمعانيه"، ويقول القاضي علي عبد العزيز الجرجاني في الوساطة ص ٤١٢: "واقل الناس حظا في هذه الصناعة من لا يعبأ باختلاف الترتيب، واضطراب النظم، وسوء التاليف، وقلقلة النسج، ولا يقابل بين الألفاظ ومعانيها، ولا يُسَيِّرُ ما بينها من نسب ولا يَمْتَحِنُ ما يجتمعان فيه من سبب".
ويقول ابن رشيق في العمدة ص ٩١ ، "اللفظ جسم روحه المعنى وارتباطه كارتباط الروح بالجسد يَضْعُفُ بِضَعْفِهِ ويَقْوى بقوَّته".

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الباحثين في علم اللغة حتى يومنا هذا، ونقتصر منها هنا على ما نخالُه ذا علاقة بموضوعنا.

يعتبر الجاحظ (١) اول من اولى قضية اللفظ والمعنى اهمية كبيرة في بيان مزايا الكلام من الشعر والنثر، وقد اعتبره الكثير من العلماء والباحثين من انصار اللفظ على حساب المعنى، ولكن المُتَفَهِّمَ والمُتَبَصِّرَ لمقولته: "المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العربي والعجمي والبدوي والقروي وإنما الشان في إقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج وكثرة الماء وفي صحة الطبع وجودة السبك، وإنما الشعر صياغة وضرب من التصوير" يرى غير ذلك.
فمن ظن انه من انصار اللفظ التفت الى الجزء الاول واهمل الجزء الثاني منها، وإلا فما الذي يعنيه بالسبك والصياغة والوزن والتصوير إلا إدخال التركيب اللغوي بكل علاقاته النحوية المتفرعة إلى خصائص مؤثرة في الدلالة وكذلك الايقاع الموسيقي في تَخَيُّرِ الاوزان واستقامتها الى جانب القدرة الابداعية في الاساليب والاستعارة وما يمكن أن يُدْرَجَ في وصف التصوير.

جهود الخطابي اللغوية: ومن جهود المتكلمين اللغوية التي تُعْتَبَرُ خطوات على الطريق لنظرية النظم جهود الخطابي المتوفى سنة ٣٨٨هـ صاحب "بيان إعجاز القرآن". (٢)

---

(١) الحيوان للجاحظ: تحقيق عبد السلام هارون، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، ط ٢، ١٣٠/٣.
(٢) انظر: ا- اثر القرآن في تطور البلاغة العربية: ص ١٠٩.
ب- المعجزة الكبرى القرآن: محمد ابو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، ص ١٣٤.
ج- اثر القرآن على النقد العربي: محمد زغلول، دار المعارف، مصر: ص ٥٧.
د- نظرية النظم: وليد مراد، ص ٢٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ما جاء عن الخطابي في بيان إعجاز القرآن لا يقل شأنا عما جاء به القاضي عبد الجبار وما جاء به عبد القاهر الجرجاني، فهو لا يهمل أيَّ عنصر من عناصر اللغة، سواء أكانت الألفاظ أم المعاني أم النظم، حيث يقول: "فأما المعاني التي تحملها الألفاظ فالأمر في معاناتها أشد لأنها نتاج العقول وولائد الأفهام أو بنات الأفكار.

ولم يقتصر فيما اعتمدناه من البلاغة لإعجاز القرآن على مفرد الألفاظ التي منها يتركب الكلام دون ما يتضمنه من ودائعه التي هي معانيه وملابسه التي هي نظوم الكلام".

ويقول أيضا: "وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور في غاية الشرف والفضيلة حتى لا ترى شيئا من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه ولا ترى نظماً أحسنَ تأليفاً وأشدَّ تلاؤماً وتشاكلاً من نظمه، والقرآن إنما صار معجزا لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مُضَمّناً أحلى المعاني".

فتراه يشيد بالألفاظ بألا تكون بعيدة المخارج، ولا نفرة فيها، ويتلاقى نغمُها مع مخارجها، فلا تنبو لفظة عن أُخْتِها بل تتآلف وتتآخى في سياق منتظم لجميع عناصر اللغة، وما التلاؤم والتشاكل إلا الانسجام في السياق العام، ولا ينسى الخطابي ما يجب أن يكون عليه المتكلم من القدرة على التأليف والنظم فيقول:

"وأما رسوم النظم فالحاجة إلى الثقافة والحذق فيها أكثر لأنها لحام الألفاظ وزمام المعاني وبه تنتظم أجزاء الكلام ويلْتَئِم بعضه ببعض فتقوم له صورة في النفس فيتكلم بها البيان".

فيما ورد عن الخطابي نستشف الصلة الوثيقة والتفاعل العضوي بين اللفظ والمعنى، وما للنظم من تأثير في إبراز هذه الصلة والكشف عن أسرار ودقائق هذا التفاعل.

ولقد خطا القاضي عبد الجبار الأَسْدي قاضي الدولة البويهية المتوفى

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عام ٤١٥هـ (١) خطوة رائعة في نظرية النظم،حيث أعطى المعاني النحوية والتركيب النحوي أهمية كبيرة في طريقة النظم، وتعتبر خطوته: هذه نقطة البداية للإمام عبد القاهر الجرجاني، كما تعتبر أيضا أساسا من أسس علم اللغة الحديث في عصرنا إذ يبين لنا أثر السياق في تحديد المعنى،حيث نحدد معنى الكلمة من خلال ورودها في السياق بقوله: "(٢) اعلم أن الذي قدمناه من أن الكلام إنما يدل بالمواضعة، وأن المتكلم به إذا كان حكيما فلا بد متى تجرّد للكلام من أن يريد ما يقتضيه ظاهره، وإلا كان ملبسا أو معميا، أو فاعلا فعلا قبيحا،وهذه الطريقة تقتضي في جميع الكلام أن يدل على حد واحد".

فالكلمة تؤدي معناها المناسب إذا أَخَذَتْ مكانها المناسب في سياقها وإن لم تأخذ مكانها المناسب من السياق تنقص قدرتها على تأدية المعنى الذي وضعت من أجله.

كما أنه لا يهمل اللفظ ولا يستطيع عالم لغوي ان يهمل اللفظ أو المعنى أو التركيب، وإذا ادّعى ذلك تجده يهتم به تلقائيا، وسياق البحث يفرض عليه هذا الاهتمام.

عبد القاهر الجرجاني ونظرية النظم: جاءت نظرية النظم تتويجا لما أسفرت عنه جهود سابقيه من العلماء، وتتجسّد هذه النظرية في وضع بناء متكامل ينسجم فيه شكله الخارجي المتمثل في الشكل والتركيب مع شكله الداخلي المتمثل في الأفكار، ويتناسب هذا البناء طرديا على حسب العلاقة التي تربط بين الشكلين: البناء البرّاني والبناء

---

(١) انظر: أ- البلاغة تطور وتاريخ، شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، ١٩٦٣، ط ١، ص ١١٢.

ب- أثر القرآن في تطور البلاغة، ص ١٦٥ - ١٧٤.

ج- نظرية النظم: وليد مراد، ٣٦ - ٣٧.

(٢) نظرية النظم: ص ٦٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الجوّاني، لذا نجده يضع ميزاناً لهذه النظرية حيث يقول: "النظم تعليقُ الكَلِم بعضها ببعض وجَعْلُ بعضِها من سبب بعض". (١)

هذه حدود النظرية الأساسية، وإذا أردنا تطبيق هذه النظرية نجدها تشمل جميع العناصر اللغوية، فالنظم عند عبد القاهر يبدأ من المادة الخام المتمثلة في الأصوات التي تتألف منها البنية الأساسية الأولى وهي الكلمة، يقول: "وذلك أن نظم الحروف هو توالِيها في النطق فقط وليس نظمها بمقتضى معنى ولا الناظم لها بمقتضٍ في ذلك رسما من الفعل اقتضى أن يتحرى في نظمه ما تحراه، فلو أن واضع اللغة كان قد قال (رَبَض) في ضَرَب، لما كان ذلك ما يؤدي إلى فساده". (٢)

وهذا يتفق مع ما جاء به دي سوسير من أن الدلالة الوضعية هي دلالة اعتباطية ولا ارتباط بين اللفظ ومدلوله إلا في الذهن بعد ما اتفق على وضعه ليدل على هذا الشيء. (٣)

ثم ينتقل بعد ذلك ليبين نظم الكلم وأن عملية النظم هذه تفرضها المعاني فيجب أن توضع الكلمة في الموضع الذي تؤدي معناها ودلالتها الحقيقية الموضوعة أو المرادة منها باتحادها مع ما يجاورها فيقول: "وأما نظم الكلم فليس الأمر فيه كذلك لأنك تقتفي في نظمها آثار المعاني وترتيبها على حسب ترتيب المعاني في النفس فهو إذا نظم فيه حال المنظوم بعضه مع بعض، وليس هو النظم الذي معناه ضَمُّ الشيء إلى الشيء كيف جاء واتّفق".

---

(١) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمد رشيد رضا، مكتبة القاهرة، ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م، ص ٢٥.

(٢) المصدر نفسه: ص ٤.

(٣) هذه تبطل ما جاء به عباد بن سليمان الصيمغري من أن هناك مناسبة طبيعية بين اللفظ ومدلوله، انظر المزهر، ص ٤٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نكتفي بهذا القدر من مساهمة العلماء في هذه النظرية إذ نستشف من خلالها مراعاة السياق في اللفظ والتركيب والمعنى الذي مهّد له سيبويه، وإليك ما جاء في الكتاب من مراعاة لسياق الحال والكلام والسياق اللفظي.

سياق الحال

إن الحال لم ترد في الكتاب إلا بمفهومها الاصطلاحي الدال على الوظيفة النحوية المعروفة، وإنما صدر سيبويه عن ملاحظة سياق الحال في مواضع شتّى من كتابه دون أن يسميها هذه التسمية، وإليك بعض ما جاء في الكتاب حول هذا المفهوم تتبين من خلالها مراعاة سياق الحال في التركيب وأمن اللبس.

ما يجوز وما لا يجوز من التركيب مراعاة لسياق الحال

وذلك في مثل: رأيتُ زيداً أباه، والأبُ غيرُ زيد، لأنك تُبيِّنُه بغيره ولا لشيء ليس منه وكذلك لا تُثنّي الاسم توكيدا وليس بالأول ولا شيء منه فإنما تُثنّيه وتُؤكّدُه مما هو منه أو هو هو" (٣)، أي انك لا تستطيع أن تاتي بالأب بدلا أو توكيدا وهو غيرُ المُبْدَلِ منه وغير المؤكد، ومما لا يجوز أيضا من هذا القبيل ما جاء في بابِ نِعْمَ قوله: "واعلم أنه محالٌ أن تقول: عبدُ الله نِعْمَ الرجلُ، والرجلُ غيرُ عبدِ الله (لأنه هو المخصوص بالمدح) كما انه محال أن تقول:

---

(١) انظر مغني اللبيب: ١٣٢/١ .

(٢) الكتاب: ١٨/٣ .

(٣) المصدر نفسه: ٣٨٦/٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عبدُ الله هو فيها وهو غيره (لأن المُسْتَقَرَّ له)" (١) لأنه لا يجوز ان تَصِفَ إنسانا بغيره او تَخُصَّه بغيره .

جعل السياق فَيْصلاً في تحديد المعنى وأمن اللَبْس (٢)

قد يحتمل الكلام عدة احتمالات وعدة معان في مثل: ما اتاك رجل، والسياق هو الفيصل في الحكم وامن اللَبْس، فهذه الجملة لها عدةُ احتمالات منها:

١- ما يحتمل من الإفراد والتثنية والجمع، أي انه ما اتاك رجل بل اكثر.

٢- ومنها معنى الرجولة من القوة والقدرة بأن تنفي هذه المعاني عنه اي ما اتاك رجل قوي بل اتاك رجل ضعيف لا ينطبق عليه معنى الرجولة.

٣- ومنها ايضا نَفْيُ الجنس عنه اي انه ما اتاك رجل بل امراة.

هنا الحال المشاهدة وما يَكْتَنِفُ المَوْقِفَ الكلامي من القرائن هي التي تُحَدِّدُ المعنى في ظل هذه الاحتمالات، قال سيبويه في هذه الجملة: "يقول الرجل: اتاني الرجل يريدُ واحداً في العدد لا اثنين، فيقال: ما اتاك رجل، اي اتاك اكثرُ من ذلك، او يقولُ اتاني رجل لا امراة، فيقال: ما اتاك رجلٌ، اي امراةٌ أَتَتْك، يقول: اتاني اليوم رجل اي في قُوَّتِه ونفاذِه، فيقول: ما اتاك رجل، اي اتاك الضعفاء". (٣)

---

(١) الكتاب: ١٧٧/٢ .

(٢) المصدر نفسه: ٥٥/١ .

(٣) انظر الوجهة الاجتماعية في منهج سيبويه في كتابه، ص ١٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سياق الكلام

ويقصد به ما يجب أن يكون عليه الكلام من التركيب من خلال موافقته للهياكل النحوية المجردة المتمثلة في القواعد، والسياق يقتضي أحيانا الخروج على هذه القواعد فنرى سيبويه في الكثير من المرات يلجأ إلى السياق ليلتمس عذرا لهذا الخروج، كما التمس عذرا للوجود على الأصل، وإليك هذا الدور في التركيب.

سياق الكلام يحدد النظام في التركيب

أعني بهذا ما وضع من قواعد لتحديد المواقع، واختصاص بعض مواضع الكلم: كان يكون لبعضها الصدارة، كحروف الاستفهام، وما وضع لبعضها من معان كمعاني بعض الحروف، وما يترتب على هذه المعاني من التركيب، وما يترتب على السياق من انتقاض المعنى في مثل -سآتيك أمس- (انتقض أوّلُ الكلام بآخره) ومن ذلك أيضا عدم عودة الضمير على متأخّر لفظاً ورتبة وما إلى ذلك، ولم تات هذه القواعد إلا باستقراء شبه تام.

فمن سياق الكلام: سياقُ العطفِ، فلِكُلِّ حرف من حروف العطف حكمٌ ومعنى أوجب لكل حرف استعمالا، وأوجب لكلِّ معنى مرادٍ حرفا في إشراك الكلام وحمل بعضه على بعض، فلا يجوز أن تقول: مررت برجل صالح لكن طالح، لأن لكن لا يُتَدَارَكُ بها بعد إيجاب ولكنها يُثْبَتُ بها بعد النفي، فهذا من سياق المعنى المترتب على سياق الكلام (١)، والمعنى هو الغاية من الكلام كما لا يجوز العطف بالفاء في مثل مررت بزيد اخيك فصاحِبك، والصاحبُ زيد، مثلما يجوز مررت بزيد أخيك وصاحبك في جميع حالاتها. (٢)

---

(١) انظر الكتاب: ٤٣٥/١ .

(٢) انظر المصدر نفسه: ٣٩٩/١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن هذا التحديد لا يجوز إبدال المستثنى من المستثنى منه في مثل قولك: ما اتاني مِنْ احدٍ إلا زيدٌ، وما رايت من احدٍ إلا زيداً، فلا يجوز البدلُ على موضع المستثنى لأنه مجرورٌ بِمنْ الزائدة ومِنْ لا تدخلُ إلا على المَنْفِيِّ ولا تدخلُ على التام، فإذا كان ما قبلَ (إلا) منفيّاً فما بعدَ (إلا) لا يخرجُ من هذا النفي الى الإيجاب، فلا يجوز ما اتاني إلا مِنْ زيدٍ من ناحية المعنى. (١)

دور سياق الكلام في تقعيد القواعد النحوية

اقول هذا تجاوزاً لأنَّ الذي يحدّدُه ما وُضِع من قواعد، ولم تقعّدَ القواعدُ جُزافا بل قُعِّدَتْ بمراعاة جميع ما يُحيط بها من الظروف كالمعنى والواقع ومطابقة هذا الكلام لهذا المعنى وهذا الواقع، فالقواعد التي وضعت حددت النظام النحوي المُجَرَّد، ولكنَّ إثبات هذه القاعدةِ او تلك لا يكونُ إلا من خلال السياق وأورد هذه القضية في سياق الكلام، لأن هذا التحديد يترتب عليه بناءُ قاعدةٍ على قاعدة اخرى.

في الوقت الذي يكون سياق الكلام فيه سبباً في بناء قاعدةٍ على اخرى كما مرَّ، يكونُ سبباً في إبْطال قاعدة، ويكون هذا إذا نظرنا نظرة مُجَرَّدةً إلى ما وُضِع من قواعد، ولم نراعِ الترقيم في مثل قول جميل:

لا . لا أبوح بحب بثنة إنها اخذت علي مواثقا وعهودا

يقول النحويون: نَفْيُ النفي إثباتٌ، فيترتب على هذه القاعدة أنَّ جميلاً سيبوحُ بِحُبِه لِبُثَيْنة، ولكن سياق الكلام في الشطر الثاني من البيت لا يدل على هذا المعنى، إذ لا يعقل ان تاخذ عليه مواثقا وعهودا ليبوحَ بحبها.

---

(١) الكتاب: ٣١٥/٢ - ٣١٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولكي نخرج مما نحن فيه إلى المعنى المراد يترتب علينا الفصل بين (لا) الأولى و (لا) الثانية بنقطة، لأنه يجوز أن يقتصر الكلام على حرف وعلى كلمة إذا أدى المعنى المراد كأحرف الجواب مثلا. فهنا يقتضي الكلام أن تضع فاصلة بعد (لا) الأولى لأن المعنى لا أبوح بحب بثنة و (لا) الثانية تأكيد لها.

دور سياق الكلام في التركيب

ما انتصب على المدح والتعظيم لأنه لا يكون وصفا للأول ولا عطفا عليه وذلك في مثل: يا أيها الرجلُ وزيدُ المسلمين الصالحين، ولم تات الصفة ولا البدل منهما لأن رفْعَهما مختلفٌ، الرجل رفع على انه نعت، وزيدٌ رفع على انه منادى، ولكن إذا كان رفعُهما على النداء في مثل يا زيدُ و يا عمرو الطويلين يجوز فيهما الرفع على النعت لأنه بمنزلة قولك يا زيدُ الطويلُ. (١)

ومما كان فيه سياق الكلام مبررا للحذف

ما حُذِف من افعال المصادر التي تنوب عن فعلها في الدعاء يقول فيها: "وإنما انتصب هذا وما أشبهه إذا ذُكِر مذكورٌ فدعوتَ له أو عليه على إضمار الفعل، كأنك قلت: سقاكَ الله سُقيا، ورعاك الله رعيا، فكل هذا واشباهه على هذا ينتصب". (٢)

ومنه حَذْفُ تاء التانيث من الفعل المسنَد للمؤنث الظاهر إذا فُصِل بين الفعل وفاعله، وذلك استحسنوه كلما طال الكلام، يقول سيبويه: "قال بعضُ العرب: قال فلانةٌ، وكلما طال الكلام فهو أحسن نحو قولك حضرَ القاضي امرأةٌ لأنه إذا طال الكلام كان الحذف أجمل،

---

(١) انظر الكتاب: ١٩٤/٢ - ١٩٥، نلاحظ أنه استعمل الرفع بدل البناء على الضم في المنادى.

(٢) المصدر نفسه: ٣١٢/١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكأنّه شيءٌ يصير بدلا من شيء كالمعاقَبة نحو قولك: زنادقة، زناديق فتحذف الياء لمكان الهاء.

وإنما حذفوا التاء لأنهم صار عندهم إظهارُ المؤنث يكفيهم عن ذكرهم التاء كما كفاهم الجميع والاثنان حين أظهروهم عن الواو والألف. (١)

ومنه حَذْفُ الفعل لما نُصِبَ على المدح او الذمّ او الشَتْمِ نحو قول الشاعر:

ويأوي إلى نسوة عُطَّلٍ وشُعْثاً مراضيعَ مثل السعالي

كأنه حين قال إلى نسوة عُطَّلٍ مِرّن عنده ممن علم أنهن شُعْثٌ ولكنه ذكر ذلك تشنيعاً لهن وتشويهاً، قال الخليل كأنه قال: "واذكرهن شعثا". (٢)

ومن الحذف أيضا ألف الوصل إذا كانت وسط الكلام يقول: "واعلم أن هذه الألفات إذا كان قبلها كلام حُذِفَت لأنَّ الكلامَ قد جاء قبله ما يَسْتَغني به عن الألف كما حذفت الهاء حين قلت عِ يا فتى فجاء بعدها كلام، وذلك قولك يا زيدُ اضرب ويا زيدُ اقتل واستخرج وكذلك جميع ما كانت ألفه موصولة". (٣)

---

(١) الكتاب: ٣٨/٣ .

(٢) المصدر نفسه: ٦١/٣ .

(٣) المصدر نفسه: ١٤٦/٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سياق الكلام يخرج بالشيء عن أصله

يَتَبَيَّنُ هذا الخروج من خلال ما جاء في الكتاب في الإجابة عن هذا السؤال: "هل رأيتم شيئا يكون موصوفا لا يُسْكَتُ عليه ؟ فقيل لهم: نعم، يا أيُّها الرجل، الرجل وصف لقوله يا أيها، ولا يجوز أن يُسْكَتَ على يا أيها، فَرُبَّ اسم لا يَحْسُنُ عليه عندهم السكوت حتى يصفوه، وحتى يصيرَ وَصْفُهُ عندهم كأنه به يَتِمُّ الاسم، لأنهم إنما جاءوا بيا أيها ليصلوا إلى نداء الذي فيه الألف واللام فلذلك جيء به". (١)

"وكذلك من وما إنما يذكران لحشوهما ولوصفهما، ولم يُرَد بهما خِلْوَيْن شيء، فلزمه الوصف كما لزمه الحشو وليس لهما بغير حشو ولا وصف معنى، تقول: هذا من أعرف منطلقٌ فتجعلُ (أعرفُ) صفةً، وتقول: هذا من أعرف منطلقا، تجعلُ (أعْرِفُ) صلة، وقد يجوز منطلقٌ على قولك هذا عبد الله منطلق". (٢)

ومما أخرجه سياق الكلام عن أصله: إعطاءُ النكرةِ صفةَ المعرفة في مثل: هذا أوَّلُ فارسٍ مقبلاً، فَتُحْمَلُ هذه النكرةُ التي ابْتُدِيء بها على المعرفة لأنه لا يستطيع أن يقول: هذا أوَّلُ الفارسِ مقبلا، فَتُدْخِلَ عليه الألف واللام - وعدم الجواز هذا من ناحية التركيب ومن ناحية المعنى، فصار بمنزلة المعرفة حملا على هذا رجل منطلقا، لأنَّهم أرادوا هذا أولُ فارسٍ من الفرسان مقبلا. (٣)

---

(١) الكتاب: ١٠٦/٢ .

(٢) المصدر نفسه: ١٠٦/٢ - ١٠٧ .

(٣) المصدر نفسه: ١١٢/٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومما كان فيه سياق الكلام عذرا في الخروج عن الأصل (١): نَصْبُ النكرة المقصودة في النداء والقاعدة تقول يجب في مثلها البناءُ على الضَمِّ وذلك ما جاء في هذا البيت:

لعلك يا تيساً نزا في مريرةٍ مُعَذَّبُ ليلى أنْ تَراني ازورها (٢)

فنصَبَ المنادى هنا وجعلَ العُذْرَ في هذا النصب عندما طال الكلام بالصفة جملة (نزا).

---

(١) الكتاب: ٢/٣٠٠ .

(٢) قائله: توبة يتوعد زوج ليلى الأخيلية لمنعه من زيارتها والشاهد فيه نصب "تيسا" وهو نكرة مقصودة والسبب في هذا الخروج هو أن الكلام طال بما بعدها من الصفة وهذه علة نصب المنادى المضاف أيضا.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن اللجوء إلى سياق الكلام في التحليل

ما جاء في باب من أبواب الاستثناء من مجيء ليس ولا يكونُ على معنى الاستثناء يقول فيهما: "وذلك قولك ما أتاني القوم ليس زيداً، وأتوني لا يكونُ زيداً، وما أتاني أحد لا يكونُ زيداً كأنه حين قال: أتوني صار المخاطَبُ عنده قد وقع في خَلَدِه أن بعض الآتين زيدٌ." (١)

ومنه أيضا مجيء إلا وصفا بمعنى غير وذلك في قولك لو كان معنا رجلٌ إلا زيدٌ لَغُلِبْنا والدليل على أنه وَصْفٌ، أنك لو قلت لو كان معنا إلا زيد لهَلَكْنا وأنْ تريدَ الاستثناء لكنت أَحَلْتَ. (٢)

ومما يجوز إذا طال الكلام مما لا يجوز في غير ذلك: أن يشرك المُظهَرُ المرفوع المُضْمَرَ المرفوع في مثل: ذهبت وزيد لأنهم استقبحوا هذا الإشراك من أن الضمير بني مع الفعل كالكلمة الواحدة فاستقبحوا أن يشرك المظهرُ مضْمراً فيغير الفعل عن حاله إذا بعد منه ويجوز أن يشرك المظهرُ المضمرَ إذا أكّدت هذا الضميرَ بضميرٍ منفصل وقلت ذهبتَ أنت وزيد جاز لأنه طالَ الكلام. (٣)

كما أن سياقَ الكلام لَمْ يُسَوِّغ إظهار الضمائر في المواقع التي تضمر فيها وجوبا ولا يوجد من سبب إلا أن الكلام استغنى عن هذا الظهور. (٤)

---

(١) الكتاب: ٣٤٧/٢ .
(٢) المصدر نفسه: ٣٣١/٢ .
(٣) انظر المصدر نفسه: ٣٧٨/٢ .
(٤) انظر المصدر نفسه: ٣٥٠/٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومما لا يجوز في سياق الكلام لأنه لم يكتف بما فيه من الكلام؛ ما جاء في باب نِعْمَ حيث يقول: "ولا يجوز لك أن تقول نِعْمَ ولا رَبَّه وتَسكت لأنَّهم إنَّما بدأوا بالإضمار على شريطة التفسير، وإنما هو إضمار مُقَدَّمٌ قبل الاسم والإضمارُ الذي يجوز عليه السكوت نحو زيدٌ ضربْتُه إنما أَضمرَ بعدما ذَكر الاسم مُظهَرا، فالذي تَقَدَّم من الإضمار لازمٌ له التفسير حتى يُبَيِّنَه، ولا يكونُ في موضع الإضمار في هذا الباب مُظْهَرٌ". (١)

ومما كان سياق الكلام فيه مرجحا في التقدير

وذلك في مثل قوله تعالى: "ولَئِن سألْتَهم من خلقَ السموات والأرض ليقولُنَّ اللهُ" (٢) أي خَلَقَهُنَّ اللهُ، يقول الأشموني وهذا أولى من تقدير هذه المرفوعات أخبار مبتدآت محذوفة لاعتضاد التقدير الأول بما رجحه بما يشبهها وهو قوله تعالى: "ولَئِن سألْتَهم من خلق السمواتِ والأرضَ ليقولُنَّ خَلَقَهُنَّ العزيزُ العليم" (٣)؛ ومن هذا القبيل قوله تعالى: "الزانيةُ والزاني" (٤) يجوز أن يكون خبرًا لمبتدأ محذوف، والتقديرُ الزاني والزانية في الفرائض، أو تكون مبتدأً وخبرُه محذوف والتقديرُ في الفرائض، الزانية وكان من سياق الكلام مرجح لهذا التقدير، يقول سيبويه: "وكذلك الزانية والزاني [كأنه] قال جَلَّ ثناؤُه "سورةٌ أنزلْنَاها وفرضْنَاها" قال: "في الفرائض الزانيةُ والزاني [أو الزانيةُ والزاني في الفرائض]". (٥)

---

(١) انظر الكتاب: ١٧٦/٢ .

(٢) الآية ٣٨ من سورة الزمر، والآية ٢٥ من سورة لقمان، انظر الأشموني: ٤٩/١ .

(٣) الآية ٨ من سورة الزخرف.

(٤) من الآية ٢ من سورة النور.

(٥) الكتاب: ١٤٣/١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما أن سياق الكلام يُحدِّد العاملَ في بعض المرات، نجد أن سيبويه يجعل من الكلام ميدان سباق، فالعملُ لمن يسبق من العوامل، وله الأولوية في العمل لتقدمه، وذلك إذا اجتمعت إذن والقسم، ونحن نعرف أن من شروط إعمال إذَن أن تكونَ مُتَصَدِّرة، فالقسم وغيره سواء، ألا ترى أنه فَضَّلَ العمل للأقرب من المعمول في باب التنازع يقول في إذَن والقسم: "ومِنْ ذلك ايضاً والله إذَن لا أَفْعَلُ، من قبل أن أَفْعَل معتمِدٌ على اليمين وإذَن لغوٌ".

وليس الكلام ههنا بمنزلة إذا كانت إذن في أوله لأن اليمين ههنا الغالبةُ، ألا ترى أنَّك تقول إذا كانت إذَن مُبْتَدَأةً: إذَنٌ والله لا أَفْعلَ لأن الكلامَ على إذَن ووالله لا يعملُ شيئا. (١)

سياق الكلام وأمن اللَبْس

وذلك في مثل عدم جواز تاكيد الضمير المرفوع المتّصل إلا بعد أن تأتيَ بضميرٍ منفَصلٍ وذلك في مثل: إيّاكَ أنتَ نَفْسَك أن تفعلَ، وإياك نَفْسَك أن تفعل، ويبين لنا سيبويه عدم هذا الجواز أمنا لِلَّبْس بقوله: "فإن عنيت الفاعل المضمر في النية قلت: إياكَ أنتَ نفسُك أن تفعل كأنك قلت نَحِّ أنتَ نفسَك وحَمَلْتَه على المُضْمَر في نَحِّ، فإن قلت إياك نفسُك تريدُ الاسم المُضْمَرَ الفاعل فهو قبيح، وهو على قبحه رَفْعٌ ويَدُلُّك على قبحه أنك لو قلت اذهب نَفْسُك كان قبيحا حتى تقول أَنْتَ لأنَّك إذا وصَفْتَ بنفسِك المضمرَ المنصوبَ بغير أَنْتَ جاز، تقول: رأيْتُكَ نفسَك، ولا تقول: انطلقتَ نفسُك" (٢) وذلك لأنه لا يجوزُ تاكيدُ الضمير المتصل مستترا كان أو بارزا إلا بعد الضمير المنفصل وذلك لأمن اللَبْس، ويتضح اللَبْس في قولك هندٌ خرجت نفسُها وجعلتَ النفسَ توكيداً للضمير

---

(١) الكتاب: ٣/١٥.

(٢) المصدر نفسه: ١/٢٧٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في خرجت فإنه يُتَوَهَّم أن الفعل للنفس وهي الفاعل، فإن قلت خرجت هي نَفْسُها عُلِم أنَّ النفسَ توكيدٌ. (١)

وكذلك لا يجوز أن تقول مررتُ برجلٍ سواءٌ والعدم بأن تُشرِك بين العدم وسواء فلا معنى لهذا الكلام، ونتبين هذا من قول سيبويه: "وإنك لا تقول مررت برجل سواءٌ والعدم فهو قبيحٌ حتى تقولَ هو والعدمُ لأن في سواء اسماً مضمراً مرفوعاً كما تقول مررت بقوم عربٍ أجمعون، فارتفع أجمعون على مُضْمَرٍ في عرب بالنية، فهي هنا معطوفة على المُضْمَرَ لأن عرب يَحْمَل على مُتَعَرِّبين وكذلك سواءٌ على مستوٍ". (٢)

---

(١) انظر الأشموني: ٣/٧٩.

(٢) الكتاب: ٢/٣١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السياق اللفظي

السياق اللفظي في الكتاب أكثر من أن يحصى، فما من علة صرفية من إعلال واعتلال وعِوَضٍ وحَذْفٍ وقَلْبٍ وتغْيِيرِ حركةٍ وما إلى ذلك إلا وسَبَبُها التخفيف على اللسان والهروب من الثِقَل.

وكذلك البناء والإعراب والصَرْفُ ومَنْعه ما هو إلا تكييف للفظ في عملية الكلام، وأَقْتَصِرُ على ذكر أمثلة من هذا التخفيف وهذا التكييف، وقبل البدء بها أذكر ما جاء به سيبويه من وصف للأصوات ووصْفٍ لمسيرتها أثناءَ النطق بها، والسياق الذي تمر به /ومن تصوير دقيق إذ يقول في وصفه الحروف المهموسة في الوقف: "وأما الحروفُ المهموسةُ فكلُّها تقف عندها مع نَفْخٍ، لأنَّهُنَّ يَخْرُجْن مع التنفس لا صوتِ الصدر، وإنما تنسَلُّ معه.
وبعضُ العربِ أَشدُّ نفخاً، كأنهم الذين يرومون الحركةَ فلابد من النفخ، لأن النَفَس تَسمَعُه كالنَفْخ". (١)

يُلاَحظ أَنَّ سيبويه لاحظ في دقة تصويره النفس من شدة وضعف، فكيف يكون الحال إذا كانت بعض اللغات تعتمد اعتمادا كليا في تحديد معنى الكلمة على كيفية النطق بها، من حيث كون بعض حروفها ينطق مجهورا أو ينطق مهموسا، وذلك نحو كلمة use في الإنجليزية فالجهر في السين يجعلها فعلا والهمس فيه يُصَيِّرُها اسما، وكذلك اللغات الصينية تعتمد اعتمادا كليا على النطق في تحديد المعنى، ولنفرض أن الناطقَ أَلْثَغُ لا يستطيعُ الجهرَ والهمسَ فكيف تعرف معاني مثل هذه الكلمات ؟

ويلاحظُ سيبويه الحركة الخفيفة التي تلحق حروف القلقلة في الوقف حيث يقول: "واعلم أن من الحروفِ حروفاً مُشْرَبة ضُغِطَتْ من

---

(١) الكتاب: ٤/١٧٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مواضعها، فإذا وقفتَ خرج معها من الفم صُوَيْتٌ ونبا اللسان عن موضعه، وهي حروف القلقلة... وذلك القاف والجيم والطاء والدال والباء، والدليل على ذلك أنّك تقول: الحِذْقْ، فلا تستطيع أنْ تَقِفَ إلا مع الصويت، لِشدّة ضَغْطِ الحرف، وبعضُ العرب أشدُّ صوتا، كأنهم الذين يرومون الحركة، ومن المُشْرَبة حروف إذا وَقَفْتَ عندها خرج معها نحو النفخة، ولم تُضْغَط ضَغْطَ الأُولى، وهي الزاي والظاء والذال والضاد، لأن هذه الحروف إذا خرجت بصوت الصدر انسلّ آخره وقد فَتَرَ من بين الثنايا لأنه يجدُ منفذا، فتسمع نحو النفخة، وبعضُ العرب أشدُّ صوتا وهم كأنهم الذين يرومون الحركة، والضاد تَجِدُ المنفذَ بين الأضراس. (١)

ومما جاء في الحروف المهموسة في الوقف تلاحظ الفرق بينها وبين حروف القلقلة.

ونَسْتَشِفُّ التصويرَ الدقيق لمسار الصوت من خلال هذا التصوير، يقول: "ومنها حروفٌ مُشْرَبَةٌ لا تسمعُ بعدها في الوقف شيئا مما ذكرنا، لأنها لم تُضْغط ضغطَ القاف ولا تجد منْفَذاً، كما وجد في الحروف الأربعة (ويقصد بها الزاي والطاء والذال والضاد) وذلك اللام والنون، لأنهما ارتفعتا عن الثنايا فلم تَجِدا منفذا، وكذلك الميم لأنك تَضُمُّ شفتيك ولا تجافيهما كما جافيت لسانك في الأربعة حيث وجدت المنفذ، وكذلك العين والغين والهمزة لأنك لو أردت النفخ من مواضعها لم يكن كما لا يكون من مواضع اللام والميم وما ذكرت لك من نحوهما، ولو وضعت لسانك في مواضع الأربعة لاستطعت النفخ فكان آخر الصوت حيث يَفْتُر نفخا. (٢)

---

(١) الكتاب: ٤/١٧٤.

(٢) المصدر نفسه: ٤/١٧٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن التعبير الدقيق في تصوير المسار الصوتي للحروف ما جاء في "هذا باب الوقف في الواو والياء والألف"، يقول فيها: "وهذه الحروفُ غيرُ مهموساتٍ، وهي حروفُ لين ومدٍّ، ومخارِجُها متَّسِعةٌ لهواء الصوت، وليس شيءٌ من الحروف اوسعَ مخارجَ منها، ولا أَمَدَّ للصوت، فإذا وقفت عندها لم تَضُمَّها بشفة ولا لسان ولا حلق كضم غيرها، فيهوي الصوت إذا وجد متَّسعاً حتى ينقطعَ آخره في موضع الهمزة، وإذا تَفَطَّنت وجدت مسَّ ذلك، وذلك قولك ظلموا ورموا وعَمِي وحُبْلى. (١)

فليس بعد هذا التصوير تصوير، وإذا تفطنت كما قال نجد أن الصوت (في هذه الحروف لاتساع مجراه في سياقه) كأنه يهوي فعلا، وتشعر وأنت تقرأ هذا الوصفَ وهذه المواكبةَ للأصوات من مَنْبَعِها إلى مَصَبِّها من خلال السياق الذي تمر فيه، كأنك أمام جهاز صوتي من الأجهزة الحديثة في الدقة والوصف إذا ما حاولت تطبيق ما تقرأ، وهو أكثر من أن يحصى في الكتاب، فإذا ما نظرت في وصف الحروف من الجهر والهمس والشدة والرخاوة، والمنحرف منها والمكرر واللين والهاوي والمطبق والمنفتح/ترى أن الكتاب هو الواصِفُ الأوّل والمؤسِّس لعلم الأصوات. (٢)

ومما جاء في الكتاب من التغيير طلباً للتخفيف في سياق اللفظ ما جاء في البناء على فتح الجزأين فيما بين العِقْدَين الأوَّلين في العدد، يقول سيبويه: "فإذا زِدْتَ على العشرة شيئا من أسماء أدنى العدد فإنه يُجْعَلُ مع الأول اسما واحدا استخفافا، ويكونُ في موضع اسم منون وذلك قولك أحد عشر درهما، واثنا عشر درهما، وإحدى عشرة جارية فعلى هذا يجري من الواحد الى التسعة". (٣)

---

(١) الكتاب: ٤/١٧٦ .

(٢) انظر المصدر نفسه: ٤/٤٣٣ - ٤٣٦ .

(٣) المصدر نفسه: ١/٢٠٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي المقابل يكونُ لأسماء العقود اسمٌ من لفظها لخِفَّتِه حيث يقول: "فإذا ضاعفت أدنى العقود كان له اسم من لفظة ولا يثنى العقد، ويجري ذلك الاسم مجرى الاسم الواحد الذي لَحِقَتْهُ الزيادة للجمع كما لحقته الزيادة للتثنية، ويكون حرفُ الإعراب بعدهما الواوَ والياءَ وبعدهما النون". (١)

ومما حُذِف تخفيفا على اللسان ما جاء في: لاهِ أبوك، ولقيتُه أمسِ، يقول في هذا الحذف: "وزعم الخليل أن قولهم: لاهِ أبوك ولقيته أمسِ إنما هو على للّهِ أبوك، ولقيتُه بالأمس، ولكنهم حذفوا الجار والألف واللام تخفيفا على اللسان". (٢)

ويَجْدُرُ بي أن أُشير إلى ما قاله ابن جني في التخفيف على لسان الزجّاجي في رفع الفعل ونَصْبِ المفعول، حيث يقول: "(٣) إنما فعل ذلك للفرق بينهما، فقال: "فهلا عكست الحال فكان فرقا أيضا؟ قيل الذي فِعْله أحزم، وذلك أن الفعلَ لا يكونُ له اكثرُ من فعلٍ واحد، وقد يكونُ له مفعولاتٌ كثيرة، فَرَفَعَ الفاعلَ لِقِلَّتِه ونَصَبَ المفعولَ لكثرته، وذلك لِيَقِلَّ في كلامهم ما يستثقلون ويكثُرَ في كلامهم ما يَسْتَخِفّون".

ومن القلب تخفيفا ما جاء في قولهم في مهما أن أصلها ماما فقلبوا الألف الأولى هاء تخفيفا". (٤)

ومن سياق اللفظ حذفُ التنوين من الأسماء الممنوعة من الصرف، ونصبُها بالكسرةِ نيابةً عن الفتحة، ويكون المنع لعلتين إحداهما

---

(١) الكتاب: ٣٠٦/١ .
(٢) المصدر نفسه: ١٦٢/٣ .
(٣) الخصائص: ٤٩/١ .
(٤) الكتاب: ٦٠/٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لفظيّة والأخرى معنويّة، أو يكون لعلة واحدة ولكن هذه العلة في ذاتها علتان كصيغة منتهى الجموع مثلاً، فدلالتها على الجميع علة معنوية، وصيغتها التي لا توجد مثلها في المفرد علة أخرى، فمنعوا هذه الأسماء من الصرف تخفيفاً، يقول سيبويه في تعليل ما جاء على افعلٍ غير مُنْصَرِف إذا كان صفة وهو نكرة: "فاستثقلوا التنوين فيه كما استثقلوه في الأفعال، وأرادوا أن يكونَ في الاستثقال كالفعل إذا كان مثلَه في البناء والزيادة". (١)

ومما كان السياق اللفظي فيه سببا في الزيادة: تحريكُ أوّلِ الساكنين بالكسر، يقول فيه: "فإن قلت: اضرب الرجل، فَتَكْسِر، فإنك لم تَكْسِرْها كسرا يكون للأسماء وإنما يكون هذا لالتقاء الساكنين". (٢)

ومنه تَغْييرُ حركةِ ما قبل الياء الى كسرة لمناسبة الياء في مثل هذا كتابي، وقرآن كتابي، لأن الياء تطلب قبلها ما يناسبها من الحركات.

ومن الزيادة أيضا إلحاقُ نونِ الوقايةِ لِتَقِيَ آخر الفعل من الكسر عند اتّصال الفعل بياء المتكلم وفي بعض الحروف أيضا.

وقد لا يَسْمَحُ السياقُ اللفظيُّ بإلحاق هذه النون في بعض المرات، يقول في هذا: "وسألناه رحِمَه الله عن إليَّ ولَدَيَّ وعَليَّ (٣) فقلنا: هذه الحروف ساكنة ولا ترى النون دخلت عليها، فقال: من قِبَل أنَّ الألفَ في لدَيَّ والياءَ في عليَّ اللذين قبلهما حرف مفتوح لا تَحرَّك في كلامهم واحدة منها لياء الإضافة، ويكون التحريكُ لازما لياء الإضافة، فلما عَلموا أنَّ هذه المواضعَ ليس لياء الإضافة عليها سبيل

---

(١) الكتاب: ١٩٣/٣ .

(٢) المصدر نفسه: ١٦٣/٣ .

(٣) المصدر نفسه: ٣٦٩/٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بتحريك، كما كان لها السبيلُ على سائرِ حروفِ المعجمِ لم يجيئوا بالنون، إذ علموا أنَّ الياءَ في ذا الموضع والألف ليستا من الحروف التي تُحَرَّك لياء الإضافة". (١)

ومما لم يُحْذَف طلباً للتخفيف وفروباً من ثِقَلٍ أَشَدَّ وكراهيةَ أن يَكْثُرَ في كلامِهم ما يستثقلون: ما جاء في باب النسب إلى شديدة، فالأصل في النسبة إليه شدَدَي، ولكنهم لم يحذفوا الياء فروبا من تضعيف الدال، فقالوا شديدي، لأنهم يكرهون التضعيف، يقول سيبويه في ذلك: "(٢) وسألتُه عن شديدة فقال: لا أحذف لاستثقالهم التضعيف وكانهم تنكبوا التقاء الدالين وسائر هذه الحروف، قلت: فكيف تقول في بني طويلة ؟ فقال: لا أَحْذِف لكراهيتهم تحريك هذه الواو في فَعْل ألا ترى أن فَعْل من هذا الباب العين فيه ساكنة والألف مُبْدَلة، فيُكْرَه هذا لما يُكْرَه التضعيف". (٣)

وفي الكتاب الكثيرُ الكثيرُ من مراعاة الخِفة في النطق من حذفٍ وزيادة وإبدال وقلب وإدغام وبناء وإعراب وإنما اقتصرت على ما ذكرت من أمثلة لأُبَيِّنَ أن هذا التغييرَ كلَّه كان سَبَبُه التخفيفَ على اللسان، والتخفيفَ على تكييف النطقِ بما يتناسب مع جهازه وما يتناسب مع السياق الذي يَسير فيه.

---

(١) الكتاب: ٣/٣٧٢ .

(٢) المقصود بالسؤال الخليل عندما يقول سيبويه: وسألته دون ذكر اسمه.

(٣) الكتاب: ٣/٣٣٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

دور المتكلم

المتكلم عُنصرٌ هامٌ من عناصر الخطاب، بل هو العنصرُ الرئيسيُّ في عملية الخطاب لما له من دور في تكييف الخطاب حسبما تقتضيه العناصر الأخرى/من مخاطَبٍ/ومن تركيبٍ/ومن معنى، مراعيًا في ذلك ما يُحيط به من المعطياتِ والظروفِ الخارجيةِ لِيَبْلُغَ الخطابُ غايَتَه.
ولما له من أهميّة أولاهُ علماؤنا عنايةً خاصة، ورائِدُهم في هذه العناية، رائِدُهم في هذا العلم، سيبويه لما تَضَمَّنَه الكتابُ من مراعاة لحال المتكلم/وللدور الذي يقوم به في بناء الجملة، فراعوا الحال التي عليها المتكلم/وما يُناسِبُها من الأفعال وأحداثِها، فلا يجوزُ للأعمى مثلا أن يقولَ رأيْتُ (الرُّؤيةَ الحسّية)، ولا يجوز للشيخ الكبير في السن التَمَنّي كقوله: ليت الشباب يعود يوما، وعدم هذا الجواز لأن طَلَبَه ميئوس منه. (١)

وراعوا جنس المتكلم وما يتناسب معه من الأساليب فالصقوا الندبةَ بالنساءِ لما فيها من التَفَجُّع والتَرَنُّم. (٢)

وأعطوا المتكلم الحرية في الخروج عن الأصل، وذلك في أن يُخْبِر المتكلم عن نفسه بضمير الجمع كما ورد كثيرا في القرآن الكريم، وما يدور في أيامنا هذه من مخاطبة الأعلى للأدنى، وبدأت تتسرب هذه العادة الى الناس في الخطاب العادي كالتخاطب بالرسائل مثلا.

ومن الخروج عن الأصل: خروج الكلام عن مجراه المعتاد في الأساليب، كخروج الاستفهام الذي هو طَلَبُ معرفةِ ما هو مجهول الى الإنكار والتوْبيخ والتَهديد...الخ، وخروجُ الخبر الى الدعاء، وخروج

---

(١) انظر شرح قطر الندى وبل الصدى: تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية، القاهرة، ط ٨، ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م.
(٢) انظر الأعراف: ص ١٨، أو نحو اللسانيات الاجتماعية: ص ١٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

النفي الى اغراض اخرى، كما يدور هذا كثيرا في حياتنا اليومية فعندما ترى شيئا غريبا تقولُ: ليسَ معقولاً، أو تَسْتَكْثِر حصول شيء من إنسان فَتُرَدِّدَ نفس الكلام، وإذا رأيت إنسانا يَعِزُّ عليك لم تره منذ زمن طويل ولم تتوقع رؤيته تقول ايضا: ليس معقولا، فلان ؟ وهكذا، كما انهم أجازوا له الخروج في لفظ الكلمة،وذلك في سياق الكلام إذا نسي ما يريدُ قولَه فيقول: قالا في قالَ وقدِي في قَدْ، وما الى ذلك من إشباع للحركات لِيَتَذَكَّرَ ما يريدُ قوله.

وأعطوه الحرية في تكييف الخطاب بما يتناسب مع ظروف الكلام ومعطياته دون مراعاة الهَيْكلِ النَحْويِّ الذي حددوه للجملة، فقد تطول الجملة وقد تقتصر على كلمة واحدة حتى لو كانت حرفا كحروف الجواب ب نعم أو لا وغيرها، وقد يُحْذَفُ المبتدأ وقد يُحْذَفُ الخبرُ في نحو (إذا قال لك قائل: مَنْ عندك ؟ قلتَ: زيدٌ، أَيْ زيدٌ عندي، وإذا قال لك كيف حالُك ؟ قلتَ:صالحٌ، أَيْ انا صالحٌ) (١)، فالحذفُ يكون بِناءً على ما يراه المتخاطبون من أَنَّ المحذوفَ معلومٌ لديهم، وقال الشيخ محمد الخضر حسين في باب من أبواب الحذف في التحذير:

"ومن قَلَّبَ النظرَ في طُرقِ الايجاز في كلام العرب، ورآهم كيف يعتمدون على ظهور المعنى من الجمل ولا يبالون حذف ما كان عمدة في الكلام او فضلة، لم يَرَ في حَذْفِهم لِفِعْلَيْنِ في صيغة التحذير واكتفائهم بالمفعولين ما ينبو عنه المعنى نبوا كبيرا أو صغيرا،وقد تكلم العرب في مثل هذا الضرب من الايجاز إذ قالوا: كُلَّ شيء ولا شتيمةَ حُرٍّ، والتقدير اصنع كُلَّ شيءٍ ولا تَرْتَكِب شتيمةَ حُرٍّ، وقالوا: أَهْلَكَ والليلَ، والتقديرُ: الحق أَهْلَكَ وبادرِ الليْلَ، والتقدير الصحيح

---

(١) انظر الكتاب: ٣/٤١٨ ، وانظر اللمع في العربية: ابن جني، تحقيق حسين محمد محمد شرف، ط ١ ، ١٣٩١هـ - ١٩٧٩م ، دار عالم الكتب، القاهرة، ص ١١٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المقبولُ ما كان مطابقا لِأُصول اللغة ملائِماً لِلْغرض الذي يرمي اليه المتكلم". (١)

كما انهم نَفَذُوا الى أقطار النفس الداخلية،وراعوا ما يدور في ذهن المتكلم من التَرَدُّدِ في بدل الغلط أو النسيان مثلا، وفيما وصلت إليه افعال القلوب من درجات الشك واليقين،وما يَتَرَتَّبُ عليها تبعا لهذا الشك أو اليقين من الاعراب، وفيما إذا أراد الاستفهام عَمَّنْ يَجْهَلُه مِنْ تغيير اسم الاستفهام مَنْ تبعا للمستَفْهَم عنه من الإفراد والتثنية والجمع والتذكير والتانيث والتعريف والتنكير. (٢)

وأجازوا للمتكلم التقديم دون مراعاة لما حددوه من التركيب في بناء الجملة بما يراه المتكلم من الاهمية، وأصبح هذا الخروجُ كلُّه كالاصل المتواتِر في التركيب، وكان جميع هذه الظروف والمعطيات التي يراعيها المتكلم تَحِلُّ مَحِلَّ الاركان الاساسية المحذوفة من الجملة، ويبلغ الخطابُ غايَتَه دون اللجوء إلى التقديرات،وما يدور حولها من الخلافات، لأن كلَّ هذه المعطيات والماجريات أصبحت عرفا لغويا تأصَّلت لدى الجميع، لأن اللغة لها بالطَبْع ولنا بالتكليف. (٣)
فكل ما تقدم من الادوار التي أُبيحت للمتكلم أصبحت طَبْعاً معروفا يتعاملُ به الجميع.
ويأتي علمُ اللغةِ الحديثُ بعد هذا كله ليقولَ لنا إنَّه أصبح من الضروري ان نَتَعَرَّضَ لشخصية المتكلم،بل والسامعين أحيانا فالعنصرُ الشخصيُّ ودراسةُ الماجريات لا يمكنُ الاستغناءُ عنه إذا كان المراد

---

(١) انظر الكتاب: ٢٨١/١ ، وانظر الخصائص: ٢٨٩/١ ، وانظر دراسات في اللغة ، محمد الخضر حسين، تحقيق ودراسة محمد رضا التونسي، ١٣٨٥هـ - ١٩٧٥م ، الشركة المتحدة للتوزيع، دمشق، ص ٩٦ .
(٢) انظر الكتاب: ٤٠٧/٢ .
(٣) دلائل الاعجاز، ص ١٦٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هو التحليل الدقيق المراد للنص بحيث يوصل تحليله الى المعنى الاجتماعي التام. (١)

او ليقول: "اما بعد. فإني ارجو ان تكون مُقْتَنِعا بأنَّ للفرد دَوْرَه الخطير في كل انواع التطور اللغوي،سواءٌ أكان ذلك التطور في الأصوات أم في الألفاظ أم في التركيب". (٢)

وهناك الكثيرُ والكثيرُ من الأقوال في أهمية دور المتكلم لعلماء مُحدَثين من العرب والأجانب، كما أن المتكلم يُعتبَرُ عنصرا أساسيا في النحو العربي ،وفي بناء اللغة،وله دوره المُمَيَّز في تطورها، ولم يكن النحو العربي مغفلا له، ولا يستطيع كائن من كان أن يُغْفِلَ هذا الدور، وكيف يُغْفِلُه وهو الصانعُ والمُنَفِّذُ للغة، وإليك بعض المسائل من الكتاب الرائد في النحو العربي تبين الدور الهام والمميز للمتكلم ، لأقول لهم ما قاله أستاذي الدكتور نهاد الموسى بانه اتَّسع ما لم يَتَّسعوا وسبقَ ما لم يَسْبِقوا. (٣)

هذا إلى جانب ما تكونُ عليه حالة المتكلم والطريقة التي يتكلم بها، لأن الكلام يُشِفُّ عن الحالة النفسية لصاحبه، والطريقة التي يتكلم بها تبين حالتَه من التواضُع والتَكَبّر، وصوته من حيث الشدّة والضعف والتوتر، كل ذلك يقف جنبا الى جنب مع القرائن المقالية لِتُعَبِّر للمتكلم عن الغرض من الكلام، ، وقد تنبه علماؤنا لهذه الحالة ، فقال الخليفة الفاروق: "أَخافُ حتى يتكلم". (٤)

---

(١) انظر اللغة بين المعيارية والوصفية : تمام حسان، ص ٨٨ .

(٢) انظر اللغة بين الفرد والمجتمع: جسبرسن، ترجمة عبد الرحمن أيوب، ص ٥١ .

(٣) انظر الوجهة الاجتماعية في منهج سيبويه في كتابه : ص ٢٥ .

(٤) علم اللسان: رضوان القضماني، ط ١ ، ١٤٠٤هـ ، ١٩٨٤م مؤسسة الرسالة ، بيروت، ص ١٢٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال ابن جني: "فلو كان استماع الأذن مغنيا عن مقابلة العين مجزئا عنه لما تكلّف القائلُ ولا كلّف صاحبه الإقبالَ عليه والإصغاء إليه، وعلى ذلك قالوا ربَّ إشارة أبلغُ من عبارة، وقال لي بعض مشايخنا رحمهم الله: أنا لا أحسن أن أكلم إنسانا في الظلمة، (١) ومما جاء عن دور الفرد في الألسنية الغربية الحديثة ما قاله رائدها دي سوسير (٢)، ويشاركه في ذلك جسبرسن، من أن دورَ الفردِ في اللغة كدورِ لاعبِ الشطرنج، ولِلعبةِ الشطرنج قوانينُ عامة معروفة لدى الجميع، ويَعْتَبِر دي سوسير هذه القوانين العامة هي القواعد الأساسية للغة، وبعدها يأتي دورُ اللاعبِ الفرد بتحريك هذه الحجارة، كل حسب الدور الذي يتحقق الفوزُ من خلاله، وكذلك الفرد يكيف كلامه حسبما تقتضيه الظروف المحيطة به مراعيا في ذلك هذه القوانين المتعارَف عليها لدى الجميع.

<u>تفاوت درجات العلم بين الشك واليقين وما يترتب على هذا التفاوت</u>

تتفاوت درجاتُ العلم بالنسبة للمتكلم بين الشك واليقين، وبناء على هذا التفاوت في أفعال القلب (٣)، التي تتعلق بالعلم والمعرفة، تجيء هذه الأفعال إما مُتَعَدِّيةً لمفعولٍ أو لمفعولين أو لثلاثة مفاعيل، وتجيءُ في بعض الأحيان لازمةً، إذا قُصِد بها الإخبار عن شيء معروفٍ لدى المتخاطبين، وذلك في مثل "دعا"، تقول: دعوتُه التي تجري مجرى سَمَّيْتُه، فإنه يتعدى لمفعولين، وإن أردت: دعوته لأمر ما، فإنه يتعدى لمفعول واحد. (٤)

---

(١) انظر الخصائص: ٢٤٧/١، الأعراف أو نحو اللسانيات الاجتماعية: نهاد الموسى، ص ١٣.

(٢) دروس في الألسنية: ص ٤٦، اللغة بين الفرد والمجتمع، جسبرسن، ص ٩٨.

(٣) يسميها العلماء أفعال القلب، لأن معانيها تقوم في القلب، انظر حاشية الصبان على شرح الأشموني، ١٩/٢، وانظر شرح المفصل ابن يعيش ت ٦٤٣هـ، عالم الكتب، بيروت، ٧٧/٣.

(٤) انظر الكتاب: ٣٧/١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإن قلت: رأيتُ، فأردتَ رؤية العين، فإن الفعل يتعدى لمفعول واحد، وإذا أردت به عَلِمْتُ، يتعدى لمفعولين، وكذلك وَجَدْتُ إذا أردتَ به عَلِمْتُ فإنه يتعدى لمفعولين، وإذا أردت به وجدان الضالة فإنه يتعدى لمفعول واحد، وإذا جاء بمعنى حَقِدَ أو خَسِرَ فإنه لازم. (١)

يقول سيبويه في هذه الأفعال: "وقد تكون عَلِمْتُ بمنزلة عَرَفْتُ لا تريد إلا علمَ الأول، فمن ذلك قوله تعالى: "ولقد عَلِمْتُم الذين اعتَدَوْا منكم في السبت" (٢)، وقوله: "وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم"(٣)، فهي هنا بمنزلة عرفت"، ويقول أبو حيان في تفسيره لهذه الآية: "لا تعلمون أي لا تعلمون أشخاصَهم إذ هم يَتَسَتَّرون عن أن تعلموهم بالإسلام، فالعلم هنا كالمعرفة تعدى الى واحد، وهو مُتَعَلَّقٌ بالذوات، وليس متعلقُهُ بالنسبة". (٤)

وقد يجيء هذا الفعل لازما، قال سيبويه: "وإن شِئْتَ قلتَ: قد عَلِمْتُ، زيدا أبو من هو، كما تقول ذاك فيما لا يتعدى إلى مفعول، وذلك قولك: اذهب فانظر، زيدٌ أبو من هو، ولا تقول نظرتُ زيدا، واذهب فَسَلْ زيدٌ أبو من هو، وإنما المعنى اذهب فسل عن زيد ولو قلت: اسأل زيدا على هذا الحد لم يَجُز". (٥)

وأما الفعل الذي يتعدى لمفعولين أصلهما مبتدأ وخبرٌ فلا بُدَّ من ذِكْرِ المفعولين لأنه لا تَتِمُّ الفائدة إلا بهما، ويَترَتَّبُ على تَرْكِ أحدِهما سؤالُ المتكلم في مثل: ظَنَّ عمروٌ خالدًا أباك، عندما يُسْمَعُ ظَنَّ عمرو خالدا، يقول المتكلم: ماذا ظَنَّهُ؟ مستفسرا عن الخبر المحذوف،

---

(١) الكتاب: ٤٠/١، الأشموني: ٢٩/٢.
(٢) الآية ٦٥ من سورة البقرة.
(٣) الآية ٦٠ من سورة الأنفال.
(٤) تفسير البحر المحيط، ٥١٣/٤.
(٥) الكتاب: ٢٣٧/١ - ٢٣٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقول سيبويه: "وإنما مَنَعكَ أنْ تَقْتَصِرَ على احد المفعولين ما اسْتَقَرَّ عندك من حالِ المفعول الأول يقيناً كان او شكاً، وذكرتَ الأوَّلَ لِتُعْلِمَ الذي تضيف إليه ما استقرَّ عندك [من هو] فإنما ذكرتَ ظننتَ ونحوه لتجعلَ خبرَ المفعولِ الأوَّل يقينا او شكا ولم تُرِدْ ان تجعلَ الأوَّلَ فيه الشكَ او تُقيمَ عليه اليقين". (١)

وقد راعى سيبويه في حمل بعض معاني هذه الأفعال على بعض المعطيات التي تحيط بالكلام، من حيث المنطق والمعقول، حيث يقول في حمل الفعل قال على ظَنَّ: "واعلم ان (قلتَ) إنما وقَعَت في كلام العرب على ان يُحكى بها وإنما تَحْكِي بعد القول ما كان كلاماً لا قولا (٢)، نحو قلتُ زيدٌ منطلقٌ، لأنه يَحْسُنُ ان تقولَ: زيدٌ منطلقٌ ولا تدخل قُلْتَ... وكذلك جميع ما تَصَرَّفَ من فعله إلا (تقول) في الاستفهام شبهوها بِتَظُنُّ، ولم يجعلوها كَيَظُنُّ وأَظُنُّ في الاستفهام لأنه لا يكادُ يُسْتَفْهَمُ المخاطَبُ عن ظَنِّ غيره ولا يُسْتَفْهَمُ هو إلا عن ظَنِّه". (٣)

ويُحْمَلُ الفعلُ ظنَّ على اتَّهم، فياخذ مفعولا واحدا، وذلك من خلال السؤال عن امر ما فيقال: لك من تَظُنُّ أيْ مَنْ تَتَّهم، فتقول: ظننتُ زيداً كانه قال: اتهمت زيداً، وعلى هذا قيل ظَنِينٌ أيْ مُتَّهم ومن هذه الأفعال (زعمَ) مصدرها (زَعْم) وهو قول مقرونٌ باعتقاد صحَّ ام لا، وقال عبد القاهر الجرجاني هو قول مع عِلْم، وقال ابن الأنباري

---

(١) الكتاب: ٤٠/١ .

(٢) الكلام: كل لفظ مستقل بنفسه مفيد لمعناه، وهو الذي يسميه النحويون: الجمل، نحو زيد اخوك، وقام محمد... فكل لفظ استقل بنفسه وجنيت منه ثمرة معناه فهو كلام، واما القول فاصله كل لفظ مذل به اللسان تاما كان او ناقصا - فكل كلام قول وليس كل قول كلاماً، هذا بعض من ما ورد من التعريف فيهما في كتاب الخصائص: ١٧/١ .

(٣) الكتاب: ١٢٢/١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تستعمل في القول من غير صحته، وإذا كان بمعنى رأى أو تَكَفَّل تتعدى لمفعول واحد. (١)

ومما جاز فيه الإعراب حملاً على ما ثَبَت لدى المُتَكَلِّم من درجات الشكِّ واليقين: نَصْبُ الفعلِ المضارع من أفعال القَلْب إذا لم يَصِلْ الفعل منها الى درجة اليقين، وإذا ما وصل الى درجة اليقين فإنه لا يُنْصَبُ لأنه يَصِيرُ كَعَلِمْتُ، يقول سيبويه: "فأما ظَنَنْتُ وحَسِبْتُ وخِلْتُ ورأيتُ،فإنَّ أنْ تكون فيها على وجهين،على أنها تكون أنْ التي تَنْصِبُ الفعلَ وتكون أنَّ الثقيلة، فإذا رفعتَ قلتَ قَدْ حَسِبْتُ أن لا يقول ذاك، وأرى أنه سيفعل ذاك، ولا تدخل هذه السين هنا حتى تكون أنه، وقال عزَّ وجل: "وحَسِبوا أن لا تكون فتنة (٢)" كأنك قلت: قد حَسِبْتُ أنه لا يقول ذاك، وإنما حسنت (إنَّه) ههنا لأنك قد أثْبَتَّ هذا في ظنِّك كما أثْبَتَّهُ في علمك، وأدْخَلْتَه في ظَنِّك على أنه ثابت الآن كما كان في العلم، ولولا ذاك لم يَحْسُن (أنَّك) ههنا ولا (أنَّه) فجرى الظن ههنا مجرى اليقين لأنه نَفْيَه -أي نَفْيَ الظنِّ الى اليقين- وإن شئت نصبت فجعلتَهُن بمنزلةِ خَشِيت وخِفْتُ فتقولُ ظَنَنْت "أنْ لا تفعلَ ذاك". (٣)

ويعلل عدم تنزيل خَشِيتُ من الظنِّ منزلةَ عَلِمْتُ بقوله: "لأنَّك، إذا قلتَ: خَشِيتُ فإنَّك تَخشى شيئاً ليس ثابتاً ومعلوما لديك، وإن كنت تخشى فعلاً من رجلٍ وقد استَقَرَّ عِنْدَه أنَّه كائن فترفع الفعل بعدها لأنك أنزلت الخشية منزلة العلم من الثبات". (٤)

وقد أجاز أن تُحمل أنَّ على إنَّ في جملة القَوْل وَفْقاً لما يريده المتكلم (٥) "وذلك إذا أراد المُتَكلِّم مِنْ قال معنى ظنَّ فيجوز له أن

---

(١) الأشموني: ٣/٣٩ .

(٢) الآية ٧١ من سورة المائدة.

(٣) الكتاب: ٣/١٦٦ .

(٤) المصدر نفسه: ٣/١٦٦ .

(٥) المصدر نفسه: ٣/١٤٢ - ١٤٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقول : متى تقول انّك ذاهبٌ، وإن أردت الحكاية قلت: متى تقول إنك ذاهب.
وتقول : أول ما أقولُ أني أحمدُ الله ، كأنك قلت: ما اقولُ الحمدُ لله .
وتقول : أولُ ما أقولُ إني أَحْمَدُ الله ، أردت أن تقول ما حُكِي".

جواز ما يجيزه المتكلم من الإعراب

يقول سيبويه في جواز رفع ما جاء منصوباً على الشتم أو الذم أو التعظيم، نحو : اتاني زيدٌ الفاسقُ، حدثني ابوكَ الصالحُ.
ويجيز ما اجازه يونس ولم يعترض عليه بقوله : "وزعم يونس أنّك إن شِئْتَ رَفَعْتَ -ما مضى من النَصْبِ على الشتم والمدح- جميعا على الابتداء، تُضْمِرُ في نَفْسك شيئًا لو أظهرتَه لم يَكُنْ ما بعده إلا رفعا".(١) فيكون إمّا فاعلاً لفعل محذوف أو خبرًا لمبتدإٍ محذوف او مبتدأً وخبرُهُ محذوفٌ.
ومما اخرجه سيبويه على هذا الإضمار قول حسان بن ثابت (٢):

لا بأسَ بالقوم من طول ومن غِلَظ جِسْمُ البِغال وأحلامُ العصافير

فلم يُرِد أن يجعَله شتمًا ولكنه أرادَ أن يُعدِّد صفاتهم ويفسرها، فكأنه قال : أما أجسامُهم فكذا وأما أحلامُهم فكذا.

---

(١) المصدر نفسه : ٢/٧١ .
(٢) ديوان حسان بن ثابت: ص ١٢٢ ، دار صادر بيروت، الكتاب: ٢/٧٤ ، ابن يعيش: ٢/١٠٢ وأمالي ابن الشجري ٢:٨ من قصيدة هجا بها الحارث بن كعب المجاشعي، وهم رهط النجاشي، انظر شواهد الشعر في كتاب سيبويه، خالد عبد الكريم جمعة -مكتبة دار العروبة- الكويت ٢٦٤ . الظاهر من هذا البيت الذم والاستهزاء وكما عرفنا أن هذه القبيلة (وهي قبيلة بني عبد المدان) كانت تخجل من أجسامها بعد هجائها، لأنه ينعتهم بضخامة الأبدان وضآلة العقول ويستشهد به النقاد لبيان أهمية الشعر والشعراء وكيف كان بيت من الشعر يرفع من شأن القبيلة وينزل من شانها مثل هذا البيت.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومما ارجعه سيبويه من الجواز إلى ما يريده المتكلم من المعنى

ومما يَنْتَصِبُ على ذلك قولك: هذه مائةٌ وزنَ سبعةٍ ونقدَ الناسِ، وهذه مائةٌ ضربَ الأميرِ، ويُبَيِّنُ لنا سيبويه جوازَ الرفع بما جاء على لسان الخليل بقوله: "قال الخليل رحمه الله إذا جعلت (وَزْنَ) مصدراً نَصَبْتَ، وإن جعلتَه اسماً وصفتَ به، وشبَّه ذلك بالخَلْقِ قال: قد يكون (الخَلْقُ) المصدرَ ويكون الخلقُ المخلوقَ، وقد يكون (الحَلَب) الفعلَ و(الحَلَب) المحلوبَ، فكأنَّ الوزنَ ههنا اسمٌ، وكأنَّ الضربَ اسمٌ، كما تقول رجل رضاً وامرأةٌ عَدْلٌ ويومٌ غَمٌّ فيصيرُ هذا الكلامُ صفةً.
وقال: أَسْتَقْبِحُ أنْ اقولَ هذه مائةٌ ضَرْبُ الأميرِ، فاجعلَ الضربَ صفةً فيكون نكرةً وُصِفت بمعرفة ولكن أَرْفَعُه على الابتداء، كأنه قيل له ما هي؟ فقال: ضربُ الأميرِ، فإن قال: ضربُ أميرٍ حَسُنَت الصفةُ لأن النكرةَ توصف بالنكرة". (١)

ومن تصويرِ مواقفِ الخطابِ من خلال ما يدور في ذهن المتكلم من المعنى من خلال الحركة؛ ما جاء في رَفْعِ الفعلِ المضارعِ ونَصْبِه بعد الفاء وكيف يُصَوِّر لنا الحركةَ وما يَتْبَعُها من حركةٍ في المعنى وحركةٍ في الموقف.
يُنْصَبُ الفعلُ المضارعُ بأَنْ مضمرة وجوباً بعد الفاء إذا كانت الفاء سببية، بحيث تعتمد على الطلب، وإذا لم تكن سببية (أي لم يكن ما بعدها مسببا عما قبلها لم يَجُزْ النصبُ بإضمار أَنْ وإنما يكون مرفوعا في مثل: ائْتِني فأُحَدِّثُك فلم يكن الحديثُ مُسَبَّباً عن الإتيان وإنما جَعل نفسَه مِمَّن يُحَدِّثُه على كل حال. (٢)
ويتضح لنا المعنى الذي يقصده المتكلم من خلال نَصْبٍ أو رَفْعِ الفعلِ بعدها من خلال مدارستنا لهذه الجملة: "ما تأتينا فتحدثنا"، المعاني التي تحتملها من خلال رفع الفعل المضارع ونصبه بعد الفاء:

---

(١) الكتاب: ١٢٠/٣ - ١٢١ .
(٢) انظر مغني اللبيب: ٦٢٤/٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أولا : ما تأتينا فما تحدثنا ، هنا النفي مُتسلّطٌ على ما قبلها وما بعدها فيكونُ الفعلُ مرفوعا .

ثانيا : ما تأتينا فأنتَ تُحدّثُنا الآن : يكون هنا إتيان ويكون تحديث ويثبت له هذا الكلام وهذا التحديث ويكون الفعل مرفوعا لأن الكلام مستأنف .

ثالثا : ما يكون منك إتيانٌ يعقُبه تحديث بل يكون منك إتيانٌ ولا يكونُ تحديثٌ : هنا يكون الفعل منصوبًا بأنْ مضمرة بعد الفعل ويكون هذا النصب على تَصَيُّدِ مصدر في الجملة المُتَسببة عنها الفاء فتُقدّر أنْ بعدها ، فتُسبكَ مع ما بعدها بمصدر يُعطَف على المصدر المُتَصَيَّد مما قبلها ، لئلا تَعطِف الاسم على الفعل ، فالنفيُ هنا يَنصَبُ على المعطوف دون المعطوف عليه فيَجِبُ النصبُ .

رابعا : ما يكون منك إتيان فكيف يكونُ منك تحديث ، وذلك بتقدير العطف بين المصدر المؤوّل من أنْ المضمرة والفعل على المصدر المقدّر قبل الفعل ، والنفيُ مُنصَبٌّ على المعطوف عليه فينتفي المعطوفُ لأنه مُسبَّب عنه ، فهذا أيضًا يجب فيه النصب أي لو أتيتنا لحدثتنا .
يقول سيبويه فيما مضى : "تقول لا تأتيني فتُحدِثُني لم تُرِد أن تُدْخِل الآخِر فيما دخل فيه الأوّل فتقول : لا تأتيني ولا تُحدِثُني ولكنك لما حوّلت المعنى عن ذلك تَحوّلَ الى الاسم ، كأنك قلت : ليس منك إتيان فحديث ، فلما أردت ذلك استحال أن تضم الفعل الى الاسم كأنك قلت : ليس يكونُ منك إتيانٌ فحديثٌ فلما أردْتَ ذلك استحال أن تَضُمَّ الفعل إلى الاسم فاضمروا أنْ ، لأنَّ أنْ مع الفعل بمنزلة الاسم فلما نووا أن يكون الأول بمنزلة قولهم : لم يَكُنْ إتيانٌ ، استحالوا أن يَضُموا الفعل إليه ، فلما أضمروا أنْ حَسُنَ لِأنَّه مع الفعل بمنزلة الاسم" . (١)

---

(١) الكتاب : ٣/٢٨ - ٣١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

دور المتكلّم من خلال ما يدورُ في ذهنه

منه ما جاء في باب البدل، يُرْجِع بدل الجزء من الكل أو بدل الغلط أو الإضراب إلى ما يدور في ذهن المخاطبِ من النسيان أو الغلط فيقول في مثل "رأيتُ قومَك أكثرَهم، على أنه أراد: رأيتُ أكثرَ قومك، ولكنّه ثَنّى الاسم توكيدا كما قال في قوله جلّ ثناؤه: "فسجَدَ الملائكةُ كلُّهم أجمعون" (١) وأشباه ذلك، فمن ذلك قوله عز وجل: "يسألونك عن الشهر الحرام قتالٍ فيه". (٢)

ويكون على الوجه الآخر الذي أذكره لك، وهو أن يتكلمَ فيقول: رأيت قومكَ، ثم يبدو له أن يُبيِّنَ ما الذي رأى منهم فيقول أكثرَهم أو ناسا منهم. (٣)

وإنما يجوز (بدل الغلط) رأيتُ زيداً أباه، ورأيتُ زيداً عمراً، على أن المتكلم أراد أن يقول: رأيتُ عمراً أو رأيتُ أبا زيد، فغَلِطَ أو نَسِيَ ثم استدرك كلامه بعد، وإمّا أنْ يكونَ أضرب عن ذلك فَنَحّاه وجعل عمرا مكانه". (٤)

ومما يُضْمَر بناء على ما يدور في ذهن المتكلم: منه ما يُضْمَر بعد أدوات العرض والتحضيض لِتَضَمُّن أداة العرض معنى ما حُذِف،وذلك ما جاء في قوله: "ومما يَنْتَصِب على إضمار الفعل المستعمِل إظهارُه قولك: هلّا خيراً من ذلك أو غيرَ ذلك، كأنك قلت: ألا تفعل خيرا من ذلك أو ألا تفعل غير ذلك، وهلّا تأتي خيراً من ذلك". (٥)

---

(١) الآية ٣٠ من سورة الحجر.
(٢) من الآية ٢١٧ من سورة البقرة.
(٣) الكتاب: ١/١٥١.
(٤) المصدر نفسه: ١/١٥٢.
(٥) المصدر نفسه: ١/٣٦٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يجدر بنا أن نُشير هنا الى ما يسمونه في علم اللغة الحديث الدلالة العدمية Zero morpheme وذلك كأن تقولَ لرجلٍ رآك تأكل تمرا مثلا : تأكل ؟ بنَغمةِ العرض ألا تأكل، فهنا تُغني النغمةُ عن الأداة، فيصبح معنى الأداة قد تحقق على رَغْمِ حذفها، وهنا الأداة نفسُها تدلُّ على المحذوف. (١)

ولم يَفُتْ سيبويه ما يدورُ في ذهن المخاطب من أن يُجَرِّد من نفسه شخصاً آخر ليخاطبه ويعرضَ عليه فيقول : "وربما عَرَضْتَ على نفسِك فكنتَ فيه كالمخاطَب كقولك: هلاّ افعلُ وألا أفعلُ". (٢)

ومما يُحْذَفُ مراعاةً لما يدور في ذهن المتكلم : وذلك إذا رأى حالا له لا تعجبه، أو رأى حالةً غير مناسبة مع صديق له، فيريدَ أن يَتْرِك هذه الحال الى حال آخر، وكذلك إذا رأيتَ حالةً او وَضْعًا لشخص آخر ولم يُعْجِبْك فتطالِبَه بِتَرْكِها وتُوَجِّهه إلى طريق غيرِها قد تكون أفضلَ مما هو عليه، فإنكارُه لهذه الحالة ناب عن الفعل الذي نَصَبَ هذه الأسماء في مثل : أوَ فَرَقا خيرا من حُبٍّ، يقول سيبويه : "قولك أوَ فَرَقا خيرًا من حُبٍّ، أي أو أفْرَقُك فرقاً خيراً من حب وإنما حمله على الفعل لأنه سُئِل عن فعله فاجابه على الفعل الذي هو عليه" (٣)، ويدارس هذه الجملة من خلال ما يدورُ في ذِهْن المخاطَب وكيْفَ حُمِل على الفعل بقوله : "وإنما انْتَصبَ هذا النحو على أنه يكون الرجلُ في فعلٍ فيريد أن ينقلَه أو ينتقلَ هو الى فعل آخر، فمن ثم نَصَبَ أو فَرَقا، لأنه اجاب على أفْرِقَك وترك الحُبّ". (٤)

---

(١) اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٣م ، ص ١٢٨ .

(٢) الكتاب: ٢٦٨/١ .

(٣) المصدر نفسه : ٢٦٨/١ - ٢٦٩ .

(٤) المصدر نفسه : ٢٧٧/١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومما انتصب في هذا الباب على إضمار الفعل ما جاء في قوله تعالى: "انتهوا خيرا لكم" (١)، وحُسْبُكَ خيرًا لك إذا كنت تأمر، يقول سيبويه (٢): "وإنما نَصَبْتَ خيرًا لأنَّك حين قلت: انته، فأنت تريد أن تخرجه من أمرٍ وتُدْخِلَه في آخر، وقال الخليلُ: كأنك تَحْمِلُه على ذلك المعنى، كأنك قلت: انته وادخل فيما هو خيرٌ لك، فتنصِبَه لأنك قد عرفتَ أنَّك إذا قلت انته أنَّك تَحْوِلُه على أمر آخر".

وحذفوا الفعل لكثرة استعمالهم إياه في الكلام ولعلم المتكلم أنه محمول على أمر حين قال له انته. (٣)

ومن محاوراته اللطيفة لما يدور في ذهن المتكلم وما يَتْبَعُه من الدوران في التركيب: ذلك فيما أرادَه المتكلِّم من هذه الجملة: من ذا خيرٌ منك؟ فإذا أراد أن يُنْكِر وجودَ من هو خيرٌ منك، وذلك من قبيل المبالغة في مدح من يُخاطِبُه في مثل هذه الجملة أو فيما أراد أن ينسبه له من الصفات، فيأتي بهذه الصفة مرفوعة، ولكن إذا أراد الاستفهام فعلاً عمَّن يَفْضُله في هذه الصفة أو هذه الحال فيأتي بها منصوبةً، يقول سيبويه: "وأما قولهم: من ذا خيرٌ منك، فهو على قوله: من الذي هو خير منك؟.

لأنك لم تُرِد أن تشيرَ أو تومِئَ إلى إنسان قد استبان لك فضلُه على المسئول فَيُعْلِمَكه، ولكنك أردت من الذي هو أفضل منك؟ فإن أومأت إلى إنسان قد استبان لك فضلُه عليه. فأردت أن يُعْلِمَك نصبت خيرا منك كما قلت من ذا قائما؟ كأنك قلت: إنما أريد أن أسألك عن هذا الذي قد صار في حال قد فضلك بها، ونَصْبُه كَنَصْبِ ما شأنك قائما؟ أي يَستفهم عن الحالة التي أنت بها من القيام". (٤)

---

(١) من الآية ١٧١ من سورة النساء وانظر تفسير البحر المحيط: ٤٠١/٣ .

(٢) الكتاب: ٢٨٣/١ .

(٣) انظر مغني اللبيب: ٧٠٢/٢ .

(٤) الكتاب: ٦١/٢ ، وانظر الوجهة الاجتماعية: ص ١٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ما يدور في ذهن المتكلم دوران في جواز الاعراب: منه بقاء التنوين في اسم لا ؛ نحن نعرف أن اسمَ لا مبنيٌّ على الفتح لأنه جعل مع لا بمنزلة اسم واحد ؛ وقد قال بهذا سيبويه فكيف يخرج من هذا المأزق وقد جاء اسم لا منونا في مثل : -لا آمرًا بالمعروف لك- إنه يخرج من هذا المأزق بما يُرْجِعُه إلى ما يدورُ في ذهن المخاطب، فلم يكتفِ بأن جعل لا مع اسمها كالكلمة الواحدة وإنما جعل (بالمعروف) من تمام اسمها ومتّصِلاً بها ؛ والتنوين كحرف من هذه الكلمة ، وكأنك قلت لا آمرًا معروفًا لك، فوقع التنوينُ وَسْطَ هذا الاسم (١) ، ويُصَوِّر لنا هذا الضم من خادل ما يدور في ذهن المخاطب -لأن: لا آمرا بمعروف- يجعلنا أتينا بمعروف- بعدما أضمرنا مستَقَرًّا لاسم لا وجعلناه خبرا ثم جئنا بمعروفٍ بعدما بنينا الكلام على الأول . (٢)

كما انه يُجِيز للمُتَكلم أن يأتيَ بالمستقَر بعد أن يَفْصِل بينه وبين اسم لا بالجار والمجرور أو الظرف حيث يقول على لسان الخليل : "وقال الخليل رحمه الله : كذلك لا آمرا بالمعروف لك، إذا جعلت بالمعروف من تمام الاسم وجعلته متّصلا به كأنك قلت لا آمرا معروفا لك.

وإن قلت لا آمرَ بمعروفٍ، فكأنك جئت بمعروفٍ بعدما بَنَيْتَ على الأول كلاماً كقولك لا آمرَ في الدار يوم الجمعة ، وإن شئت جعلته كأنك قلت لا آمرَ يومَ الجمعة فيها، فيصير المبني على الأول مؤخرا ويكون المُلْغَى مُقَدَّما . (٣)

---

(١) الكتاب: ٢٨٧/٢ .

(٢) المصدر نفسه : ٢٨٨/٢ .

(٣) المصدر نفسه : ٢٨٧/٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جواز الخروج عن الأصل بناء على علم المتكلم

منه أن تُعْمِل لا في معرفة، ويرجع سيبويه هذا الخروج عن الهيكلِ النَحْوِي إلى ما يريده المتكلم، ويسوِّغ له هذا الخروج بخروج آخر، وهو أن تخرجَ المعرفةُ عن أصلها إلى النكرة، وتتمثل لنا براعته في تصوير هذا الخروج بقوله: "وتقول قضيةً ولا أبا حسن (١)، بجعله نكرة، قلت: فكيف يكون هذا وإنما اراد عليًا رضي الله عنه فقال: لأنه لا يجوزُ لكَ أن تُعْمِل لا في معرفة، وإنما تعملها في النكرة، فإذا جعلت أبا حسن نكرة حَسُنَ لك أن تُعْمِل لا، وعِلمُ المخاطب أنه قد دخل في هؤلاء المنكورين علي، وأنه قد غُيِّب عنها.
فإن قلت: "انه لَمْ يُرِد أن ينفيَ كل من اسمه علي، فإنما أراد أن ينفي منكورين كلهم في قضيته مثل علي، كأنه قال: لا أمثال علي لهذه القضية، ودل هذا الكلام على أنه ليس لها علي، وأنه قد غيب عنها" (٢) أي هذه قضية ولا أبا حسن قاضٍ لها.

ومما خرج عن أصله إسناد الفعل لغير العاقل كما تسنده للعاقل: وهو أيضا خروجٌ قائمٌ على خروج وكان الخروجُ الأول مُسَوِّغا للخروج الثاني، وذلك بأن يُنَزَّل غيرُ العاقل منزلةَ العاقل بما يلحق بهم من الصفات التي تخص العاقل، وذلك في قوله تعالى: "كلٌ في فَلَكٍ يسبحون" (٣) و "رأيتُهم لي ساجدين" (٤) و "يا أيها النملُ ادخلوا مساكنكم" (٥)، يقول سيبويه: "فزعم -ويقصد الخليل- أنه بمنزلة ما يعقل وما يسمع،

---

(١) هذا من كلام عمر رضي الله عنه في حق علي كرم الله وجهه وصار مثلا يضرب في الأمر العسير، انظر الأشموني: ٤/٢.
(٢) الكتاب: ٢٩٧/٢.
(٣) الآية ٣٣ من سورة الأنبياء، وفي سورة يس "وكل في فلك يسبحون" من الآية ٤٠.
(٤) الآية ٤ من سوزة يوسف.
(٥) الآية ١٨ من سورة النمل.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لما ذكرهم بالسجود، وصار النملُ بتلك المنزلة حين حَدَّثْتَ عنه كما تُحَدِّث عن الأُناسيّ فَأُجْرِي عليه الفعل كما يجري على من يَعْقل، وكذلك "في فلك يسبحون" لأنها جُعِلت في طاعتها بمنزلة من يعقل من المخلوقين ويُبْصِر الأمور.

فجاز هذا حيث صارت هذه الأشياء عندهم تُؤْمَر وتُطِيع وتَفْهم الكلام وتَعْبُد بمنزلة الآدميين". (١)

ومن الخروج أيضا إجراء النكرة المقصودة نكرة غير مقصودة: وذلك في قول الشاعر:

فيا راكباً إما عرضت فَبَلِّغَنْ ندامايَ من نجران ألا تلاقيا (٢)

هنا التمس الشاعر راكباً من الركبان، فنزّل النكرة غير المقصودة منزلة النكرة المقصودة، وطلب منه أن يُبَلِّغ قومه خبرَ وداعه، بأن انزل الشاعر نفسه منزلة الأعمى يقول لرجلٍ في الطريق: يا رجل خذ بيدي، فجعلها منصوبة لأن هذا هو حكم النكرة غير المقصودة.

سياق حال المتكلم يخرج بالكلام عن أصله المتعارف عليه: من المعروف أنه لا يظهر الاسم بعد الإضمار، لأن الضمير كما قالوا أعرفُ المعارف، ولا داعي لذكر اسمه بعده، لأنه حشو وزيادة وتحصيل حاصل، ولكن يجوز الخروج عن هذا الأصل في حالات نَتَبَيَّنُها من قول سيبويه: "وتقول إني عبد الله، مُصَغِّرا نَفْسَه لربه، ثم تُفَسِّر حال العبيد، تقول: آكلُ كما تَأكل العبيد" (٣) لأن الاسم لا يظهرُ بعد ضميره ولا يُضْمَرُ الضميرُ إلا بعدما تَعْلَم أنَّ مَنْ يُحَدِّث قد عرف مَنْ تعني وما تعني وإنك تريد شيئا يعلمه، وقد يخرج المتكلم عن الهيكل

---

(١) الكتاب: ٤٧/٢ - ٤٩.

(٢) انظر المصدر نفسه: ٢٠٠/٢، قائله: عبد يغوث، الخزانه ٣١٣/١، والبيت من آخر قصيدة له قالها حين جهز للقتل بعد أن اسرته تميم في يوم الكلاب الثاني.

(٣) المصدر نفسه: ٨٠/٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

النحوي المعروف في الظروف غير العادية، يقول سيبويه: "وقد تقول هو عبدُ الله وأنا عبدُ الله فاخرًا أو موعدًا، أيْ اعْرِفْني بما بلغك عنّي، ثم يُفَسِّرُ الحالَ التي كان يعلمه عليها أو تبلغه فيقول: أنا عبد الله كريماً جوادا، وهو عبد الله شجاعا بطلا" (١)، ويبين سيبويه الحالة التي يجوز فيها هذا الخروج عن الأصل فيقول: "وإذا ذكرت شيئا من هذه الأسماء التي هي علامة للمُضْمَرِ فإنه محالٌ أن يظهرَ بعدها الاسم" إذا كنت تُخْبِر عن عمل أو صفة غير عمل، ولا تريد أن تعرفه بأنه زيد أو عمر، وكذلك إذا لم تُوعد ولم تَفْخر أو تصغِّر نفسك، لأنك في هذه الأحوال تَعْرِف ما ترى أنه قد جَهِل، أو تُنَزِّل المخاطَب منزلةَ من يجهل فخرًا أو تهددا أو وعيدا، فصار هذا كتعريفك إياه باسمه". (٢)

ويذكرُ لنا الحالَ التي يجوزُ أن يُذْكَرَ الاسم بعد الضمير في مثل هذه الأحوال، أي يجوزُ أن تقول: أنا عبد الله منطلقا، بقوله: "وإنما ذكر الخليل رَحِمَه الله هذا لِتَعْرِفَ ما يُحال ويَحْسُن فإن النحويين مما يتهاونون بالخَلْفِ إذا عرفوا الإعراب، وذلك أن رجلا من إخوانك ومعرفتك لو أراد أن يخبرَك عن نفسه أو عن غيره بأمر فقال: أنا عبدُ الله منطلقًا، وهو زيدٌ منطلقاً كان محالا، لأنه إنما أراد أن يخبرَك بالانطلاق، ولم يَقُل هو ولا أنا حتى استغنيت أنت عن التسمية، لأن أنا وهو علامتان للمُضْمَر، وإنما يُضْمِرُ إذا علم أنك قد عرفت من يعني، إلا أن رجلاً لو كان خلف حائط أو في موضع تَجْهَلُه فيه فقلت: من أنت؟ فقال: أنا عبد الله منطلقا في حاجتك، كان حسنا". (٣)

---

(١) الكتاب: ٨٠/٢ .

(٢) المصدر نفسه: ٨٠/٢ - ٨١، وانظر الأعراف: ص ٣٤ .

(٣) المصدر نفسه: ٨١/٢ - ٨٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن الخروج عن الأصل أنك تشيرُ للمخاطب إلى نفسه؛ وهذا خروج عن الأصل لأنَّه لا يجوز أن تُعَرِّفه نفسه، ويبين سيبويه هذا الخروج بتصوير الموقف الذي يُتِمُّ فيه هذا الخروج حيث يقول: "وحدثنا يونس تصديقا لقول أبي الخطاب (١) أنَّ العربَ تقولُ: هذا أنتَ تقول كذا وكذا، ولم يُرِد بقوله هذا أنت أن يُعَرِّفَه نفسَه، كأنه يريدُ أن يُعْلِمَه أنه ليس غيره وهذا محال، ولكنه أراد أن يُنَبِّهَه، كأنه قال: الحاضرُ عندنا أنت، والحاضرُ القائلُ كذا وكذا أنت" (٢) وهذا مما يجري كثيرا في حياتنا اليومية عندما نستغربُ حدوثَ أمرٍ من شخص لا يُتَوَقَّع حدوثه منه، أو أن يَحْدُث أمرٌ غيرُ مناسب من قريب أو صديق.

اللجوء إلى السياق في التحليل

كثيرا ما كان يلجأ سيبويه في تحليله النحوي إلى السياق عن طريق تصوير الخطاب، أو الحال التي جرى فيها الخطاب، أو الظروف العامة، لأن المتكلم يُكَيِّف كلامه بما يتناسب والظروف التي تكتنف الموقف الكلامي، يتبين لنا هذا اللجوء في التحليل من خلال مدارساته لهذه الجمل يقول:

"قد علمت لَعَبْدُ الله خيرٌ منك، فهذه اللام تمنع العمل كما تمنع ألف الاستفهام لأنها إنما في لام الابتداء وإنما أَدْخَلْتَ عليه عَلِمْتُ لِتُؤَكِّدَه وتجعلَه يقينا قد علمته، ولا تُحِيلُ على علم غيرك، كما أنك إذا قلت: أزيدٌ ثَمَّ أم عمرو، أردت أن تخبرَ أنَّك قد علمت أيُّهما ثم، فأردت أن تُسَوِّيَ علمَ المخاطب فيهما كما استوى علمُك في المسألة حين قلت: أزيدٌ ثَمَّ أم عمرو، ومثل ذلك قوله عزَّ وجل: "ولقد عَلِموا لَمَنِ اشتراه ماله في الآخرة من خلاق". (٣)

---

(١) أبو الخطاب هو عبد الحميد بن عبد المجيد أبو الخطاب الأخفش الأكبر من شيوخ سيبويه، ت ١٧٧هـ.

(٢) الكتاب: ٣٥٥/٢.

(٣) الآية ١٠٢ من سورة البقرة، انظر تفسير البحر المحيط ٣٣٣/١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومما جاء في الاستفهام من تصوير لموقف الكلام في التحليل: ما جاء في مثل: زيدٌ كَمْ مرةً رأيتَه ؟ وعبدُ الله هل لقيتَه ؟ ترفع هذه الأسماء على الابتداء، وبَيِّن لنا كيف تم رفعُ هذه الأسماء في تصويره لما يريد المتكلم والذي يُدلُّ عليه من عنوان هذا الباب الذي يقول: "هذا باب من الاستفهام يكونُ الاسم فيه رفعاً لأنك تَبْتَدِئُهُ لِتُنَبِّهَ المخاطَب ثم تَستَفْهِم بعد ذلك" (١) وقد يكونُ في الأمر والنهي كما يكون في الاستفهام، من أن تذكَر الاسمَ الأول لِتُنَبِّه المخاطَب ثم تبني عليه الكلام من أمر أو نهي كما تنبه عليه في الاستفهام، يقول: "وقد يكون الأمرُ والنهي أن يُبْنَى الفعلُ على الاسم وذلك قولك عبد الله اضربه، ابتدأت عبد الله فرفعتَه بالابتداء ونَبَّهْت المخاطَب له ليعرفَه باسمه، ثم بَنَيْت الفعل عليه كما فعلت ذلك في الخبر، ومثل ذلك: أما زيدٌ فاقْتُلْه". (٢)

سياق موقف المتكلم:

من ذلك أن المتكلم يريد شيئاً وفي أثناء الكلام يخطر بباله شيءٌ آخر فيقطع الكلام ويبدأ كلاما جديدا، ولم يترك سيبويه الشاردة ولا واردة مما يدورُ في ذهن المخاطب في تحليله للمواقف التي يدور فيها الكلام إلا أحصاها إذ يقول في باب أَمْ منقطعة: "وذلك قولك: أعمروٌ عندك أم عندك زيدٌ ؟ فهذا ليس بمنزلة أيهما عندك" (٣) لأنهما لا يستويان عندك في وجودهما عنده، وتريدُ أن تَتَأَكَّدَ مَنْ منهما موجود، وإنما استفهمت عن عمرو وخطر ببالك في أثناء الكلام زيد، فقطعتَ وابتدأت بالاستفهام عنه بعد أن استغنى الكلام.

---

(١) الكتاب: ١٢٧/١ .

(٢) المصدر نفسه: ١٣٨/١ .

(٣) المصدر نفسه: ١٧٣/٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن التصوير الدرامي في مواقف الخطاب ما جاء في جعل أم بمنزلة أيهما أو أيهم: تُحْمَلُ أَمْ على أَيُّهما أو أَيُّهم عندما يريد المتكلم أن يثبت معلومة مما لديه من معلومات لم يتأكد منها، ويريد أن يثبت هذه المعلومة من خلال الاستفهام بأم، لأنه يوجد لديه معلومات عن أحداث وإنها حاصلةٌ ولكنه يريد أن يَعْرِفَ من قام بها، أو على من وقعت، أو بمن وقعت، فنرى سيبويه يصور لنا هذا الموقف من خلال الاستفهام بقوله: "أزيدٌ عندك أم عمرو ؟ و أزيداً لقيت أم بشرا ؟ فأنت الآن مُدَّعٍ أن عنده احدهما لأنك إذا قلت أَيُّهما عندك ؟ وأَيُّهما لقيت ؟ فأنت مدَّعٍ أن المسئول قد لقي أحدهما أو عنده أحدهما، إلا أن عِلْمَك قد استوى فيهما لا تدري أيهما هو" (١)، فأنت هنا تريد أن تثبت من منهما لقيه أو موجود عنده، ويثبت لنا قوله هنا من أَنَّ أَمْ هنا بمنزلة أيهما من خلال ما يقصده المتكلم من السؤال بقوله: "والدليل على ان قولَك أزيدٌ عندك أم عمرو بمنزلة قولك: أيهما عندك، أنك لو قلت: أَزيدٌ عندك ام بِشْرٌ فقال المسئول: لا، كان محالا، كما أنه إذا قال: أَيُّهما عندك فقال: لا، فقد أحال" (٢)، لأن السائل يَسأل عنهما معا، ولا يَسأل عن الفعل لأن الفعل ثابت لديه، وأن الذي قام به واحد من الاثنين وهو يريد أن يستفهم عمن قام به منهما.

مما لجأ إليه سيبويه في التحليل إلى تصوير المواقف: التصوير في جواز إبدال المعرفة من النكرة، لأننا نعرف انهم جعلوا نوعا من التعامل فيما بين الكلمات، فالمعارف تتعامل مع بعضها بعضا، والنكرات تتعامل مع بعضها بعضا، وإن كان هناك خروج في التعامل فلا بد له من تبرير، يقول سيبويه في هذا الجواز: "قولك مررت برجلٍ عبدِ الله، كأنه قِيل له: بِمَنْ مررت ؟ أو ظنَّ أنه يُقال له ذاك، فأبدل

---

(١) الكتاب: ١٦٩/٣ .

(٢) المصدر نفسه: ١٦٩/٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مكانه ما هو أَعْرَفُ منه، ومن ذلك قوله عزّ وجل: "وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم صراطِ الله". (١)

ومن تصويره لموقف الحوار ما جاء في بيان المخصوص بالمدح والذم: نحو، إذا قال المتكلّم: عبد الله نعم الرجل، فهو بمنزلة: عبد الله ذهب أخوه (أي عبدُ الله مبتدأ والجملة بعده خبر عنه)، كأن المتكلم قال: نِعْمَ الرجل فقيل له من هو؟ فقال عبد الله، وإذ قالَ عبدُ الله فكأنه قيل له، ما شأنُه؟ فقال نِعْمَ الرجلُ. (٢)

ومما جاء من تصويره أيضا ما جاء في رد بعض التراكيب أو استقباحه: وذلك في استقباح وصف النكرة بالمعرفة في مثل: هذه مائةٌ ضَرْبُ الأمير، يقول على لسان الخليل: "أستقبح أن أقول هذه مائة ضرب الأمير، فأجعلَ الضرب صفة، فيكون نكرة وُصِفت بمعرفة، ولكن أَرْفَعه على الابتداء، وكأنه قيل له من هو؟ فقال ضربُ الأمير". (٣)

وإليك هذا التصوير من خلال مدارسته لهذه الجملة: حسبته شتمني فأَثِبَ عليه (بِنَصْبِ الفعل المضارع بعد الفاء) ومعنى الكلام: لو شتمني لوثبتُ عليه، فهنا لم يُشْتَم ولم يَثِب هو على أحد، فهنا الفعل المضارع يكون منصوبا، ولو كان الفعلُ مرفوعًا لتوقّع المخاطَب أنه شتمه فوثبَ عليه، فهنا وقع الشتمُ ووقع الوثوبُ منه، لأنه بمنزلة قوله: ألستَ قَدْ فعلتَ فأَفْعَلُ. (٤)

ومن تحليله أيضا ما جاء في تحليله لمجيء ليس، ولا يكون على معنى الاستثناء: فقد بَيَّن سيبويه عن طريق الحوار معنى الاستثناء فيهما

---

(١) من الآيتين ٥٢ - ٥٣ من سورة الشورى، الكتاب: ١٤/٢.
(٢) انظر الكتاب: ١٧٦/٣ - ١٧٧.
(٣) المصدر نفسه: ١٢٠/٢ - ١٢١.
(٤) انظر المصدر نفسه: ٣٦/٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من خلاله، وإليك هذا الحوار: "وذلك قولك ما أتاني القومُ ليس زيداً، وأتوني لا يكونُ زيداً، وما أتاني أحدٌ لا يكون زيداً، كأنه حين قال: أتوني، صار المخاطَب عنده قد وقع في خَلَدِه أنَّ بعضَ الآتين زيداً، حتى كأنه قال: بعضُهم زيدٌ، فكأنه قال: ليس بعضُهم زيداً، وتَرَك إظهارَ بعضَ استغناءً كما تُرِك الإظهار في لات حين" (١) أي أن هذا المعنى تَمَّ لهم من خلال إضمار اسم ليس كما تَمَّ إضمار اسم لات، لأنه لا يظهرُ بعدها إلا أحد المحمولين على رأي الجمهور من أن لات تعمل عمل ليس. (٢)

سياق حال المتكلم:

نظر سيبويه في الحال التي يكون عليها المتكلم ونظر في الأحداث المترتبة على الأفعال، هل هذه الأفعال تتناسب وحال المتكلم؟ وهل باستطاعته أن يقوم بهذه الأفعال؟ فإذا اتفقت حاله مع الحدث جاز له أن ينسب هذا الحدث إليه، وإلا لم يَجُزْ له أن يسند هذا الحدث إليه.

فالفعل (رأى) له عمقان دلاليان، الرؤيا الحسية بالعين، والرؤيا القلبية بمعنى ظن أو علم، فإذا كان بمعنى الرؤيا الحسية فلا يجيز للأعمى أن يقول رأيت، على هذا المعنى، بحكم حالته وما تقتضيه هذه الحال من المعطيات، ولكنه لم يَحْرِمْه من أن يقول: رأيت، بمعنى علمت، فنراه يقول متسائلاً: ألا ترى أنه يجوز للأعمى أن يقول رأيت زيداً الصالح". (٣)

فنراه لا يُهْمِل الجانب المنطقي في اللغة، لأن هذا الفرق في الجواز ومنعه يقوم على حقيقة خارجية تَسْتَوجب مراعاة المعنى، أيتفق مع الواقع أم لا يتفق؟ فعلى الرغم من أنه بلغ المستوى الصوابي

---

(١) الكتاب: ٣٤٧/٢ .

(٢) انظر مغني اللبيب: ٣٨١/١ .

(٣) الكتاب: ٤٠/١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

للتركيب في النظام الداخلي للغة، إلا أنه لم يبلغ المستوى الصوابي من ناحية مفارقته للواقع. (١)

ومن مراعاة حال المتكلم وما يجب أن يكون عليه من الاستقبال والحضور في الحدث: ما جاء في نصب الفعل المضارع بعد إذن، لأن من شروط إعمال إذن أن تكون جواباً لكلام سابق ومترتب عليه، ويُقْصَد من الفعل الاستقبال، وتُحَدَّد هذه الحالة من خلال ما يكون عليه المتكلم في أثناء الكلام، يقول: "وتقول إذا حدّثك بالحديث، إذن أظنُّه فاعلاً وإذن إخالك كاذباً، وذلك لأنك تُخْبِرُ أنك تلك الساعة في حال ظن وخِيَلة (٢)، فخرجت من باب أنَّ وكَيْ لأن الفعلَ بعدهما غيرُ واقع وليس في حال حديثك فعل ثابت، ولمّا لَمْ يَجُزْ ذا في أخواتها التي تشبه بها جعلت بمنزلة إنما.

ولو قلت إذن أظنُّك، تريد أن تخبرَه أن ظنَّك سيقعُ لنصبت، وكذلك: إذن يَضْرِبَك، إذا أخبرت أنه في حال ضرب لم ينقطع" (٣)، لأنه يُشْتَرط في إعمال إذن أن يكون الفعلُ مستقبلاً، لأنك في سياق الحديث مشاهد وتريد أن تُثَبِّتَ ما وقع من الظن أو الشك فلا يكون الفعل مستقبلاً، نحو: أقول لك أصغيت إلى الدرس، تقولُ: إذن أظنُّكَ فهمت الدرس، فهنا: أظن تدل على الفعل المضارع في الحال ولا يمكن أن تكون مستقبلاً لأنك تعبر عن حال تفكيرك وظنك فلا يُنْصَب الفعل بعدها.

وإليك هذا التصوير الدقيق لحالة المتكلم وما ترتب على هذه الحالة من جواز الإعراب: يجوز في الفعل المضارع بعد الواو المعطوف بها على فعل آخر النصبُ ويجوز فيه الرفعُ في مثل قوله تعالى: "يا ليتنا

---

(١) انظر الوجهة الاجتماعية في منهج سيبويه في كتابه: ص ١٨.

(٢) الخيلة: بفتح الخاء وكسرها من مصادر خال يخال بمعنى ظن، لسان العرب: مادة خيل، ٢٢٦/١١.

(٣) الكتاب: ١٦/٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نُرَدُّ ولا نُكَذِّبُ بآيات ربنا ونكون من المؤمنين"(١) هنا قرأ ابن عامر وحمزة وحفص: ولا نُكَذِّبَ ونكونَ بالنصب وهذا النصب عند جمهور البصريين هو بإضمار أَنْ بعد الواو فيكون عدم التكذيب مترتبا على الرد على معنى فإن رُدِدْنا لم نُكَذِّب ونَكُن من المؤمنين، فترتَّبَ عدمُ التكذيب على الرد. (٢)

ويجوز في مثل هذه الأفعال الرفعُ، ويكون الرفعُ فيها على وجهين: الأول أن يَشْرِك ما بعد الواو ما قبلها وقد أوجب على نفسه أن لا عودة له البتة تُرِك أم لم يُتْرَك، وكذلك في الآية الكريمة يتمنى أن يُرَدَّ إلى الحياة الدنيا فإنه ممن لا يكذب بآيات الله بعد الآن رُدَّ أم لم يُرَدَّ. (٣)

ومن هذا القبيل ما يدور كثيرا في حياتنا اليومية حيث يقول الواحد منا: زرني وأزورُك، ويقولها على أنها زيارة بزيارة أي إن تَزُرْني أَزُرْك، والمعنى إذا رفعت ما بعد الواو فإنك تطلب منه الزيارة، وأنت ستزوره سواءٌ أقام بزيارتك أم لم يقم، وزيارته واجبةٌ عليك على كل حال، ولكن إذا نَصَبْتَ ما بعد الواو فيكون المعنى: زيارة مقابل زيارة، أي إن تَزُرْني أَزُرْك وإلا فلا". (٤)

ومن براعة تصويره لحال المتكلم ما جاء في انتصاب المصادر على صورة المثنى: وذلك في قول المتكلم لبيك وسعديك حيث تتبين لنا الحال الموجبة لهذه الطاعة والاستمرار عليها لأنها لا تكون إلا في إثبات، حيث تتبين الطاعة والعبادة والامتثال للأوامر وبصورة دائمة، لا على ما جاءت عليه الصيغة من التثنية لأن هذه الصورة وهذه الحالة واجبة ودائمة بين العابد والمعبود، يقول سيبويه في

---

(١) من الآية ٢٧ من سورة الأنعام.

(٢) الكتاب: ٣/٤٤، انظر تفسير البحر المحيط: ٤/١٠١.

(٣) المصدر نفسه: ٣/٤٤.

(٤) المصدر نفسه: ٣/٤٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ذلك: "حدثنا أبو الخطاب أنه يقال للرجل المداوم على الشيء لا يفارقه ولا يُقْلِعُ عنه: قد أَلَبَّ فلان على كذا وكذا ويقال قد أسعَدَ فلان فلانا على أمره وساعده، فالإلباب والمساعدة دُنُوٌّ ومتابعة، إذا أَلَبَّ على الشيء فهو لا يفارقه وإذا أسعَده فقد تابعه، فكأنه إذا قال الرجل للرجل: يا فلان، فقال: لَبَّيْك وسعديْك، فقد قال له: قربا منك ومنًّا ومتابعة لك، فهذا تمثيل وإن كان لا يستعمل في الكلام، كما كان براءة الله تمثيلا لسبحان الله، ولا يستعمل، لأن هذه الصيغة دعاء إلى الله عز وجل- وكذلك إذا قال: لبيك وسعديك، يعني بذلك الله عز وجل فكأنه قال: أيْ ربِّ لا أَنْأى عنك في شيء تأمرني به فإذا فعل ذلك فقد تقرب إلى الله بهواه.

وأما قوله: وسعدَيْك، فكأنَّه يقول: أنا متابِعُ أمرِك وأولياءِك غيرُ مخالفٍ، فإذا فعل ذلك فقد تابَعَ وطاوَعَ وأطاع". (١)

ويوضِّح لنا هذه الحال في موضع آخر من الكتاب بما جاء على لسان الخليل بقوله: "ومما جاء من هذه المصادر التي وردت بلفظ التثنية ونابت عن فعلها، حنانيك، لبَّيْك، سعدَيْك، والمقصود منها التكثير وأنه شيءٌ يعود مرة بعد مرة وليس المرادُ منها تكرير الحدث مرتين كما جاءت عليه الصيغةُ من التثنية، وكأنَّك تقول: تَحَنُّنًا بعد تحنن وكأنه يَسْتَرْحِمه ليرحَمه، ولكنهم حذفوا الفعل لأنه صار بدلا منه، ويقول في لبيك وسعديك، انتصب هذا كما انتصب سبحان الله، وزعم الخليل رحمه الله ان معنى التثنية انه أراد تَحَنُّنًا بعد تحنن كأنه قال: كلما كنتُ في رحمةٍ وخير منك فلا ينقَطِعَنَّ وليكن موصولا بآخرَ من رَحْمَتِك". (٢)

---

(١) الكتاب: ٣٥٣/١ .

(٢) المصدر نفسه: ٣٤٨/١، وانظر شرح المفصل -ابن يعيش- ت ٦٤٣هـ، دار عالم الكتب، بيروت، ١١٨/٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومما لا يجوز من الخطاب مراعاةً لحال المتكلّم: إسنادُ ضميره المتّصل إذا التقى ضميراه وكان هو الفاعل والمفعول في مثل: أَهلكتُني و أَهلِكُني، وجعلوا السبب في ذلك أنهم استغنوا ب أهلكت نفسي عن الضمير المتصل، يقول سيبويه: "وكذلك المتكلم لا يجوز له أن يقول أهلكتِني و لا أَهلِكُني لأنه جعل نفسه مفعوله فقبح ذلك لأنهم استغنوا بقولهم انفع نفسي عن لي وعن إيّايَ". (١)

من الأدوار التي رجع بها سيبويه إلى ما ثبت لدى المتكلم من المعرفة وعدمها في التحليل: ما جاء من الاستفهام بمَنْ وذلك إذا استفهمت عن نكرة أو عن معرفة من الآدميين فإنك تُثَنّي مَنْ إذا قلت: رأيت رجلين فتقول: مَنيْن ؟ واتاني رجلان فتقول: مَنان ؟ ومَنْهُ، ومنَين، ومنَاتٍ ومنين، ولكن لا يجوز هذا الاستعمال إذا كان المستَفْهمُ عنه ممن تَعرِفُهم، يقول سيبويه: "وذلك لا يجوزُ أنْ يقولَ الرجلُ: رأيتُ عبدَ اللهِ، فتقولَ: مَنَا، لأنه إذا ذكر عبدَ الله فإنما يذكرُ رجلاً تَعرِفُه بعينه او رجلا أنت عنده مِمَّن يَعرِفُه بعينه، فإنما تسأله على انك مِمَّن يُعرِفُه بعينه، إلا أنك لا تدري الطَّويلُ هو أم القصيرُ، أم ابنُ زيد، أم ابن عمرو؟ فكرهوا ان يُجْرَى هذا مجرى النكرة إذا كانا مفترقين وكذلك رأيْتُه ورأيتُ الرجلَ لا يَحْسُنُ لك ان تقولَ فيهما إلا مَنْ هو؟ ومن الرجلُ؟.

---

(١) الكتاب: ٣٦٧/١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد سمعنا من العرب من يقال له : ذهبنا معهم، فيقول مع منين ؟ وقد رأيته، فيقول: منَ أو رأيت منَ ؟ وذلك أنه سأله على أن الذين ذكرَ ليسوا عنده ممّن يعرفه بعينه، وأنّ الأمر ليس على ما [وضعه عليه] المحدث فهو ينبغي له أن يُسأل في ذا الموضع كما سَأل حين قال رأيتُ رجاد" (١) أي يسأل عن نكرة.

ما أجازَه سيبويه للمتكلّم مع التماس العذر له من خلال التحليل: إشباع الحركات في آخر الكلمة في أثناء الكلام إذا لم يرد أن يقطع كلامه بعد أن نسيَ ما كان يريده، والتمس له سيبويه هذا العذر من أنه لم يُرِدْ أن يقطعَ كلامه حيث يقول: "ويقول الرجل إذا تذكّر ولم يُرِدِ أن يَقطعَ كلامه، قالا فَيَمُدُّ قال، ويقولوا، فَيَمُدُّ يقول، ومن العامي فَيَمُدُ العام، سمعناهم يتكلمون به في الكلام ويجعلونه عادة ما يتذكر به ولم يقطع كلامه فإذا اضطروا إلى مثل هذا في الساكن كسروا، سمعناهم يقولون: إنه قدي في قد ويقولون ألي في ألف واللام يُتذكّر الحارث ونحوه.
وسمعنا من يوثَقُ به في ذلك يقول هذا سيفُني يريد سَيْفٌ ولكنّه تذكر كلاما ولم يُرِدِ أن يقطع اللفظ لأن التنوين حرف ساكن فَيُكْسَرُ كما تُكْسَر دال قد". (٢)

ما يجوز فيه الحذف مراعاة لعلم المتكلم ولما يشاهِدُه وما يُحِسّه بحواسه ويشعر به في أعماق نفسه: يُعْرَفُ العلم بما يَتوافر لدى المتكلّم من إمارات وعلامات تميزه عن غيره من أبناء جنسه، وهذه العلامات تُحفَظ في حافظته، وكما أن الأشياءَ تُعرفُ بما يُدْرَك منها عن طريق الحواس التي توصل ما تتوصل إليه من أخبار إلى الحافظة التي تُسَجِّل كل ما يصل إليها، وكأنها الحاسوب الذي يَحْفَظُ في حافِظته كل ما يتوافر له من المعلومات.

---

(١) الكتاب: ٤١٢/٢ .

(٢) المصدر نفسه: ١٤٧/٤ - ٢١٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فإذا ذُكِرَتْ هذه المعلومات اشار لنا الحاسوب إلى صاحبها، كما أنَّ العَلَمَ يُعْرَفُ بما يتَوافرُ عنه من الصفات التي يَتَمَيَّزُ فيها عن غيره.

كل هذه العلامات والمعلومات المحسوسة او المعروفة تَحِلُّ مَحلَّ جزء من اجزاء الكلام، وتكون مسوِّغاً للحذف ومَلْحظاً متعارَفاً عليه لدى الجميع، وكأنَّه اصلٌ متواتِرٌ (١)، والكثيرُ من رُوّادِ علمِ اللغة الحديث يعتبرونه وكأنَّه موجود فلا داعي لتقديره (٢)، ومما يُحْذَفُ من هذا القبيل مما جاء في الكتاب قوله: "من كَذَب كان شرّاً له، يريد كان الكَذِبُ شرّاً له، إلا انه استغنى بأن المخاطَبَ قد علم أنَّه الكذبُ لقوله كَذَبَ في اول حديثه" (٣) وهذا مما هو معروف للمتكلم.
ومنه: "إذا رأيتَ رجلاً متوجِّها وِجهة الحاجّ قاصداً في هيئة الحاج فقلت: مكّةَ وربِّ الكعبة، حيث كنت زَكِنْتَ أنّه يريدُ مكةَ، كأنك قلت: يريد مكةَ واللهِ. ويجوز أن تقول: مكّةَ والله على قولك: أراد مكة والله". (٤)
ومن ذلك قوله عَزَّ وجل: "بل مِلّةَ إبراهيمَ حنيفا" (٥) أي بل نَتَّبع ملة إبراهيم حنيفا.

---

(١) انظر شفاء العليل في إيضاح التسهيل: ١٠٥ - ١٠٧، حيث يبين لنا المواضع التي يُحْذَفُ فيها الفعلُ وأكثرها مواضع سياقية.
(٢) انظر أصول النحو العربي في نظر النحاة ورأي ابن مضاء في ضوء علم اللغة الحديث، محمد عيد، عالم الكتب، القاهرة، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م، ص ٢٢١، نتبين منه ان هذا الحذف مؤيد وجهة النظر الحديثة في فهم المعنى.
(٣) الكتاب: ٢٩١/٢، وانظر أصول النحو، لابن السراج، تحقيق عبد الحسين الفتلي، النجف الأشرف، ١٩٧٣م، ٣٤١/٢.
(٤) الكتاب: ٢٥٧/١.
(٥) الآية ١٣٥ من سورة البقرة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن الحذف أيضا قوله: "انك إذا رايت صورة شخص فصار آية لك على معرفته فإذا رأيته قلت: عبد الله وربي كأنك قلت: ذاك عبدُ الله أو هذا عبدُ الله" (١)، ومن قبيل العلم بالشيء جعل ما يُدْرَك بحاسة من الحواس أيضا كالعلم يقول: "أو سمعتَ صوتا فعرفتَ صاحبَ الصوتِ فصار آيةً لك على معرفته فقلت: زيدٌ وربِّي، أو مسَسْتَ جسدا أو شَمَمْتَ ريحاً فقلت: زيدٌ أو المسكُ أو ذقت طعاما فقلتَ: العسلُ".

ومما يحذف لما عرفه المتكلم من صفات مميزة لشخص ما يقول: "ولو حدثت عن شمائل رجل فصار آية لك على معرفته لقلت: عبد الله كأن رجلاً قال: مررت برجل راحمٍ مسكين بارٍّ بوالديه فقلت: فلان واللهِ، لما عرفتَ عنه من هذه الصفات". (٢)

ومن جواز الحذف بناءً لما يشاهده المتكلمُ أيضا قوله: إذا رأيتَ رجلا يُسَدِّدُ سهماً قِبَلَ القرطاس فَقُلْتَ: القرطاسَ واللهَ، أي يُصيبُ القرطاسَ، وإذا سمعتَ وقْعَ السهمِ في القرطاس قلت: القرطاسَ واللهِ، أي أصابَ القرطاسَ". (٣)

ومثلُ ذلك أن ترى الرجل أو تخبرَ عنه أنه قد أتى أمراً قد فعله فتقول: أكلَ هذا بخلاً ؟ أي أتفعل كلَ هذا بخلاً ؟.
ومثل ذلك ان ترى رجلا يريد أن يوقع فعلاً، أو رأيتُه في حال رجل قد أَوْقعَ فعلا، أو أخبرتَ عنه بفعل فتقول: زيداً، تريد اضرب زيداً أو يضْرِبُ زيدا (٤)، ولم يبقَ هذا الحذف لما يُعْلَمُ أو يُحَسُّ بل نفذ إلى أقطار نفس المتكلم الداخلية وما بها من انفعالٍ ووَجْدٍ، فلسان حال

---

(١) الكتاب: ١٣٠/٢ .
(٢) المصدر نفسه: ١٣٠/٢ .
(٣) القرطاس: أديم ينصب للنضال، لسان العرب: ١٧٢/٦ .
(٤) الكتاب: ٢٥٧/١ - ٢٥٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المتكلم تنوب عن هذا الحذف، كما جاء في قول النابغة (١)

إذا تغنّى الحمام الورق هيّجني ولو تسليْتُ عنها أُمَّ عمار

أي تسليْتُ عنها وذكرتُ أُمَّ عمّارٍ لأنه في حال تَذَكُّر وتَهَيُّج.

وإذا كان المتكلم في حالٍ غير مريحة وغير مُطَمْئِنَة أو انه رأى شيئا غير واضح لديه فقال: عائذاً بالله وفي ذلك يقول سيبويه: "ومثل ذلك عائذاً بالله من شرِّها وكأنه رأى شيئاً يُتَّقى فصار عند نفسه في حال استعاذه حتى صار بمنزلةِ الذي رآه في حال قيام وقعود لأنه يرى نفسَه في تلك الحال فقال: عائذاً بالله كأنه قال: أعوذُ بالله عائذاً بالله ولكنه حذف الفعل".

ويشترط في إعمال الأسماء بدلا من الأفعال أن يكونَ الفعلُ متّصلا بحال المتكلّم، والمتكلّمُ يعملُ على تَشْبيته له أو لغيره كقولك حَمْداً وسُقْياً وما اشبهه. (٢)

ومنه ما جرت عليه العادات الاجتماعية من استعمالات في التهنئة للشخص أو عليه: استعمال المصادر نيابةً عن أفعالها فاصبحت كأنها مصطلحاتٌ لغويةٌ متعارَفٌ عليها، وأورد هنا بعضاً منها لأنها تأتي بناء على ما يقصده المخاطَب، يقول سيبويه: " إذا ذُكِر مذكورٌ فدعوتَ له أو عليه على إضمار الفعل (في مثل سُقْياً ورَعْياً) كأنك قلت سقاك الله سُقْياً ورعاك الله رعياً" فيتضح لنا أن المخاطَبَ لم يذكرها ليُخبِرَ عنها شيئا وإنما ذكرها للدعاء بقوله "ومما يدلك أيضا على أنه على الفعل نُصِب أنك لم تذكر شيئا من هذه المصادر لتبني عليها كلاما كما يبنى على عبد الله إذا ابتدأته وإنك تجعله مبنيا على اسم مُضْمر في نِيَّتك ولكن على دعائك له أو عليه". (٣)

---

(١) الكتاب: ٢٨٦/١، وانظر شرح شواهد سيبويه: ص ٢٦٣.

(٢) المصدر نفسه: ٣٤١/١.

(٣) المصدر نفسه: ٣١٢/١، وانظر شرح المفصل لابن يعيش: ١١٤/٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومما يُحذَف أيضا ما ينصب على الاختصاص لما جرت عليه العادة في المدح والفخر؛ وقد يكون الاختصاص في التوَاضُع بما يخصُّ به المتكلم أهلَه وعشيرتَه ونفسَه، يقول سيبويه: "إنا معشرَ العرب نفعلُ كذا وكذا كأنه قال: أعني ولكنَّه فعل لا يظهر ولا يُستَعمل كما لم يكن ذلك في النداء لأنهم اكتفوا بعلم المخاطب وأنهم لا يريدون أن يحملوا الكلام على أوَّلِه"(١) ولكن ما بعده محمولٌ على أوَّلِه، اي أنهم لم يجعلوا (معشرَ) خبرًا للمبتدأ إنّا، ولكنهم جعلوا ما بعد (معشرَ) هو الخبر والمحمول على المبتدأ لِيُعرف ما حمل على الكلام الأول وفيه معنى الافتخار.

وجَعل سيبويه ما يخصُّ به المتكلمُ نَفْسَه من التصغير لنفسه وتواضُعِه وقدراتِه بمنزلة ما يَخُصُّ به نفسَه من التعظيم في إضمار الفعل، أخصُّ أو أعْني، أو أذْكر، حيث يقول: "وإذا صَغَّرت الأمر فهو بمنزلة تعظيم الأمر في هذا الباب وذلك قولك: إنا معشرَ الصعاليك لا قوة بنا على المُرُوَّة".(٢)

وأُعطِيَ المتكلمُ الحرية في الخروج عن الأصل ومنه تقديم ما حقه التأخير؛ إن لغتَنا العربيةَ لغةٌ لمّاحةٌ فما من تغيير في الحركة إلا ويتبعه تغييرٌ في المعنى وليس في الإعراب فقط، وما من تغيير في التركيب الأساسي في بناء الجملة إلا ويُقْصَد من وراء ذلك معنى، أو اهتمام بما قُدِّمَ أو أُخِّر، وما من حذف إلا ويكون أبلغَ من الذِكْرِ وما إلى ذلك من الخروج الذي ضَمَّنّاه أبواب هذا البحث من خلال السياق الذي يَرِد فيه الكلام.
فلقد أُعطِي المتكلمُ الحريةَ في تقديم ما حقه التاخير وتأخير ما حقه التقديم لما يراه من الأهمية فإذا أراد الاستفهام عن الفعل قَدَّم الفعل وإذا أراد الاستفهام عمن قام بالفعل قدّمه، يقول سيبويه في

---

(١) الكتاب: ٢/٢٣٣.
(٢) المصدر نفسه: ٢/٢٣٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تقديم المفعول في ضرب زيداً عبدُ الله : "لأنك أردت به مقدّما ما أردْتَ به مُؤخّرا في اللفظ، فمن ثم كان حدُّ اللفظ أن يكون فيه مقدّما وهو عربي جيد كثير كانهم إنما يُقَدِّمون الذي بيانُه أهم لهُم، وهم بِبَيانِه أعنى وان كانا جميعا يُهِمّانِهم ويَعْنِيانِهم". (١)

ومما جاء من تقديم الاسم في الاستفهام لأنه المقصود في الاستفهام، أزيداً لقيتَ أم عمراً ؟ تقدم الإسم هنا لأنك لا تسأله عن اللقى، وإنما تسأله عن الذي لقيته فكانَ تقديمُ الاسم أحسنَ، وإذا كان الاستفهام عن الفعل فالأحسنُ تقديمُ الفعل لأنك تعرفُ مَنْ الفاعل ومَنْ وقع عليه الفعل أيضا إذا كان مما يتعدى من الأفعال، ومن الممكن أن تكون قَدْ عرفت أنّ فِعْلاً حدث، ولكن لا تعرف ما هو الفعل وما هو الحدث فتقديمُ الفعل احسنُ في مثل أضربتَ زيداً أم قتلتَه ؟ (٢)

وكذلك إذا اشركْتَ بين المستَفْهَم عنهم بأو تقول : " أَلَقيتَ زيداً أو عمراً أو خالداً؟ إذا أردت الاستفهام عن الفعل كان تقديمُه احسنَ وتقول : أزيداً لقيت أو عمراً أو خالداً؟ إذا أردت الاستفهام عن أيِّهم لقيت كان الابتداء بالاسم أحسن". (٣)

لقد وضع سيبويه الضوء الأخضر أمام من خَلَفه من العلماء في هذه القضية وقدم نماذج تضيء الطريق لمَن بعده، وقد أولاه العلماء أهميةً كبيرة وتَوسّعوا في كل ما شَمِل عناصر الكلام من تقديمٍ ومن تأخيرٍ ابتداء من الكلمة في بنائها إلى الجملة في تركيبها وانتهاءً بالمضمون العام في معناه. (٤)

---

(١) الكتاب: ٣٤/١ .

(٢) الكتاب: ١٦٩/٣ - ١٧١ .

(٣) المصدر نفسه : ١٧٩/٣ .

(٤) انظر الخصائص: ٣٨٣/٢ - ٣٩٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولا يُضيرنا في هذا البحث من أن نُعرِّج على الدلائل في الكلام بعض الشيء عن هذا الباب، الذي هو غاية في الدقّة واللطافة لنقفَ على دقائق هذا الباب ولطائفه وأسراره، مع أننا لم نخرج عن الكتاب، لأن عبد القاهر ابتدأ هذا الباب بما ابتدأه سيبويه بذكر الأسباب التي أجازت التقديم والتأخير، فهو أيضا لم يخرج عن الكتاب وابتدأ شرحه بما قاله سيبويه (١) بعد أن قدَّمَ لهذا الباب بقوله: "وهو باب كثير الفوائد، جَمُّ المحاسن، واسعُ التصرُّف، بعيدُ الغاية، لا يزال يَفْتُرُ لك عن بديعه، ويُفْضِي بك إلى لطيفه، ولا زال شِعرًا يروقُك مسمعُه ويَلْطُف لديك موقِعُه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولَطُف عندك أن قدِّم فيه شيء، وحول اللفظ عن مكان إلى مكان" (٢) ولم يقصد الشعرَ وحده في الإعجاب بل ذكر لنا الأمثلة من غير الشعر في شرحه حيث يقول: وقال النحويون إن معنى ذلك: أنه قد يكون من أغراض الناس في فعلٍ ما أن يقع بإنسان بعينه، ولا يبالون من أوْقعه، كمثل ما يعلم من حالهم في حال الخارجيّ يخرج فيعيث ويُفْسد ويكثرُ به الأذى أنهم يريدون قتله، ولا يبالون من كان القتل منه ولا يعنيهم منه شيء فإذا قُتِل وأراد مُريدُ الإخبار بذلك، فإنه يُقدِّم ذكرَ الخارجي فيقول: قتل الخارجيَ زيدٌ، ولا يقول قتلَ زيدٌ الخارجيَ، لأنه يعلمُ أن ليس للناس في أن يعلموا أن القاتلَ له زيد جدوى وفائدة" المهم أنهم خلصوا من فساد هذا الخارجيّ وهذا الذي يعنيهم ويسرُّهم.

ويقول: ثم قالوا: فإن كان رجل ليس له بأس ولا يُقدَرُ فيه أنه يقتل فقتل رجلا وأراد المُخْبِرُ أن يُخْبِر بذلك فإنه يقدم ذكر القاتل فيقول: قتل زيدٌ رجلاً". (٣)

فأجِدُ أن عبد القاهر استمدَّ من سيبويه بناءَ أصلٍ جديد مخالفٍ لأصلٍ من أهم الأصول في بناء العربية، سواءٌ أكان هذا الأصل في الجملة الاسمية، أم الجملة الفعلية في النفاذ إلى الأركان الأساسية

---

(١) انظر دلائل الإعجاز: ٧٢ - ٧٣.

(٢) دلائل الإعجاز: ص ٧٣.

(٣) انظر الدلائل: ص ٧٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

للجملة والتي يسمونها عُمَداً وزَحْزَحها عن مواقعها لما يقتضيه السياق.

يقول عبد القاهر: "ومن أَبْيَنِ شيء في ذلك الاستفهام بالهمزة، فإنَّ موضعَ الكلام على أنك إذا قلتَ: أَفعلتَ؟ فبدأتَ بالفعل، كان الشكُ في الفعل نفسه وكان غرضُك من استفهامك أنْ تعلمَ وجودَه، وإذا قلتَ: أأنتَ فعلتَ؟ فبدأتَ بالاسم كان الشكُ في الفاعل من هو".

ويُبَيِّنُ لنا عبد القاهر من خلال الأمثلة الكثيرة أنه لا يجوز التقديم والتأخير إلا فيما يستدعي ذلك إذا كنت تستفهم عن معين أو استكبرتَ حدوثَ شيءٍ، أو كنت تتمنى حصول شيء يقول في "أقلتَ شِعْراً قط؟ أرأيتَ اليومَ إنساناً؟ فيكونُ كلاماً مستقيماً ولو قلت: أأنتَ قلت شعراً قط؟ أأنتَ رأيتَ إنساناً؟ أخطأتَ وذلك لا معنى للسؤال عن الفاعل من هو في مثل هذا". (١)

ويقول في قوله تعالى حكاية عن قول النمرود: " أأنتَ فعلتَ هذا بآلهتنا يا إبراهيمُ؟ (٢)" لا شبهةَ في أنهم لم يقولوا ذلك له عليه السلام، وهم يريدون أن يُقِرَّ لهم بأن كَسْرَ الأصنام قد كان، ولكن أن يُقِرَّ بأنه منه كان وقد أشاروا له الى الفعل في قولهم: "أأنتَ فعلتَ هذا؟" وقال هو عليه السلام في الجواب: "بل فعله كبيرُهم هذا" ولو كان التقريرُ بالفعل لكان الجواب: فعلتُ أو لم أفعل -ويقول في السؤال- فإنه إذا قال: "أفعلتَ" فهو يقرره بالفعل من غير أن يردِّدَه بينه وبين غيره، وكان كلامُه كلامَ من يوهم أنه لا يدري أن ذلك الفعل كان على الحقيقة.

وإذا قال: "أأنت فعلت؟"، كان قد ردَّد بينه وبين غيره ولم يكن منه في نفس الفعل تَردُّد". (١)

---

(١) دلائل الإعجاز: ٧٦ - ٧٧.

(٢) من الآية ٦٢ من سورة الأنبياء.

(٣) الدلائل: ٧٦ - ٧٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مما لا شك فيه أن دورَ المتكلم من أهم الأدوار الرئيسية في عملية الخطاب، فهو الصانع لها، ولا غرابة إذا وجدنا سيبويه من خلال ما مضى يعطيه الحرية كاملة في تكييف الخطاب بما يتفق مع ما يريده مناسبا للدلالة على ما يريد التعبير عنه من المعاني والأفكار، فأعطاه الحرية في الخروج عن الأصل، فيحذف ما يريد ويُضمِر، ويقدم ما يريد ويؤخّر بناء على ما يعلم أو ما يرغب أو ما يقتضيه سياق حاله مع الموقف الكلامي، كما أباح له أيضا الخروج بالكلام عن مقتضى الظاهر من المعاني والأساليب.

سياق حال المخاطب

جعل سيبويه المخاطَبَ أحدَ أعمدةِ الموقف الكلامي في تكييف الخطاب من حيث التركيب،وما يشتمل عليه من الإعرابِ والبناءِ والحذفِ والإضمارِ وبناءِ القواعد النحوية، وما يَتَطَلَّبُ هذا التركيب من المعاني، فما من مرحلة من مراحل التركيب اللغوي إلا ونراه يراعي سياق حال المخاطب من حيث الإفرادُ والتذكيرُ والحضورُ والغيبةُ،وما يتّصل منه بسبب، والحالُ التي يكون فيها، وما تشتَمِلُ عليه هذه الحال من الصفات،حتى لو أدت هذه المراعاة الخروج عن الأصل في التركيب وذلك بالخروج عن الهيكل النحوي المجرد المُتَمَثِّل بتطبيق القواعد النحوية، حتى لو أدى هذا الخروجُ إلى زحزحةِ الأركانِ الأساسيةِ عن مواضعها من تقديمٍ وتأخيرٍ وحذفٍ وإضمارٍ، والخروج عن مقتضى الظاهر من حيث الأسلوب والمعنى ، وإليك بعض ما جاء في الكتاب.

سياق حال المخاطب وما يناسبها من التركيب (١)

من مراعاة سيبويه الدقيقة لحال المخاطب مراعاة ما للمخاطب من صفات عارضة وما له من صفات ثابتة، وبما أن الفعل يدلُّ على

---

(١) انظر الوجهة الاجتماعية : ص ٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التجدد والحدوث،فقد حمل هذه الصفة على الفتحة،وجعلها تدل على هذه الحال العارضة، وحمل الحال الدائمة والثابتة على الاسمية وجعل الضمة دليلا عليها وذلك في قوله: "له علمٌ علمَ الفقهاء، وله حسبٌ حسبَ الصالحين إذا نصبتَ علمَ الثانية فكأنك قلتَ مررتُ به في حال تعلّمٍ وتفقّهٍ وكأنه لم يستكمل أن يُقالَ له عالم.

وإذا قال له علمٌ علمُ الفقهاء، فهو مُخبرٌ بما استقرّ فيه قبل رؤيته وقبل سَمْعِه منه ،أو رآه يتعلّمُ فاستدلّ بحُسْنِ تعلّمِه على ما عنده من العلم" (١)، كما أنه فرّق بين النصب والرفع في صوت الثانية من هذه الجملة: "له صوتٌ صوتَ حمار"، لأن الصوت كالعلاج، فإنما مر به وهو يصوّت صوتَ حمار ،وهو شيء غير لازم وثابت كالعلم،وأن العلم صار عندهم بمنزلة اليد والرجل، ويفرّق بين له صوت صوتَ حمار وبين هذا صوتٌ صوتُ حمار فيقول: "ففي الأولى ذكرت فاعلا وأما هذا صوت صوت حمار لم تذكر فاعلا لأنّ الآخرَ هو الأوّلُ حيث قلت: هذا، فالصوت هو هذا وكأنّ المتكلم سمع صوتا فقال: هذا صوتٌ قال هو صوتُ حمار لأنه سمع نُهاقاً فصار مثل هذا رأسٌ رأسُ حمار وهذا رجل أخو حرب إذا أراد الشبه". (٢)

ومنه مراعاة سياق حال المخاطب في النداء من القرب والبعد، ومن الصلة بين المنادَى والمنادِي،وكيف يُنزّل المنادى البعيدُ منزلة القريب للتحبّبِ او للتاكيد أو لتثبيت أمر ما، وتكون هذه المراعاة في استعمال أدوات النداء، يقول سيبويه في باب الحروف التي يُنبّه بها المدعو: فأما الاسم غير المندوب فيُنبّه بخمسة أشياء بيا، وأيا، وهيا، وأي، وبالألف، نحو قولك: أحارِ بن عمرو، إلا أن الأربعة غير الألف قد يستعملونها إذا أرادوا أن يَمدّوا أصواتَهم للشيء المتراخي عنهم، والإنسان المُعرِض عنهم الذي يرَوْن أنه لا يُقْبِل عليهم إلا بالاجتهاد، أو النائم المُستَثقِل. وقد يستعملون هذه

---

(١) الكتاب: ٣٦١/١ - ٣٦٢ .

(٢) المصدر نفسه: ٣٦٥/١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التي للمد في موضع الألف،ولا يستعملون الألف في هذه المواضع التي يمدّون فيها". (١)

وفي تنزيل المخاطب القريب منزلة البعيد يقول: "وقد يجوز لك أن تستعمل هذه الخمسة غير (وَا) إذا كان صاحبك قريبا منك مقبلا عليك توكيدا".

وفي تنزيل البعيد منزلة القريب قوله: "وإن شئت حذفتهن كلّهن استغناء كقولك: حارِ بن كعب وذلك أنه جعلهم بمنزلة من هو مقبل عليه بحضرته يُخاطِبه" (٢)، أما بالنسبة لحال المُستغَاث به وما هي عليه من التراخي والغفلة فقد لزمته يا حيث يقول سيبويه: "وأما المُستغَاث به فيا لازمة له لأنه يجتهد، فكذلك المتعَب منه، وذلك: يا للنّاس ويا للماء، وإنما اجتَهدَ لأن المستغَاث عندهم متراخٍ أو غافل والتعجب كذلك". (٣)

يفرق بين حال المستغَاث به والمستغَاث له، ويبين لنا ما وجب على هذا الفريق من التركيب في فتح اللام للمستغَاث به لأنه ينادى ليُجيب،وجاءت مفتوحة لأن صوْت النداء مفتوح.

ولام المستغَاث له مكسورة، لأنهم وهم يطلبون النجدة له كأنهم يضيفون إليه النداء،فجاءت اللّامُ كَلام الإضافة، ويقول في باب ما يكون النداء فيه مضافاً إلى المنادى بحرف الإضافة: "وذلك في الاستغاثة والتعجّب...، ففي الاستغاثة تقول: يا لِله يا لَلنّاس وفي التعجب تقول:

يا لَلْعجب ويا لَلْماء عندما ترى عجبا أو ترى ماء كثيرا كأنك تقول: "يا عجبُ أو تعالَ يا ماءُ فإنه من أيامك" ويقول في المستغاث له: "هذا باب ما تكون اللام فيه مكسورة لأنه مَدْعوٌّ له ها هنا وهو غَيرُ

---

(١) الكتاب: ٢/٢٢٩ - ٢٣٠.

(٢) المصدر نفسه: ١/٢٣٠.

(٣) المصدر نفسه: ٢/٢٣١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مدْعوٌّ، وذلك قول بعض العرب يا لِلعَجَبِ ويا لِلْماءِ، كأنه نَبَّه يقوله يا غيرَ الماءِ للماءِ". (١)

ويقول في اللام المفتوحة للمستغاث به إنها لا تكون إلا في معنى التعجب والاستغاثة، ولم يَجُز استعمالها في النداء العادي حيث يقول: "ألا ترى أنك لو قلت يا لَزيد تحدِّثه وأنت تُحدِّثُه لم يَجُز". (٢) يقول في اللام المكسورة: "كسروها لأن الاسم الذي بعدها غيرُ منادى، فصار بمنزلة إذا قلت هذا لِزيد فاللامُ المفتوحةُ أضافت النداء إلى المنادى المخاطب، واللامُ المكسورةُ أضافت المدعوَّ إلى ما بعده لأنه سَبَبُ المدعوِّ وذلك أن المدعوَّ إنما دُعِي من أجل ما بعده لأنه مدعوٌّ له". (٣)

أما فيما يَخُصُّ الندبة، وما تكون عليه حالهم من التَفَجُّع على ما ابتلوا به فتستوجب إظهارَ ما - ليعبروا بذلك عمَّا هم فيه من الأسى والحزن، وينفسوا عما في أنفسهم من الألم، يقول: "والندبة يلزمها (يا) و (وا) لأنهم يختَلِطون (٤)، ويدعُون ما قد فات وبَعُد عنهم ومع ذلك أن الندبة كأنهم يترنَّمون فيها، فمن ثم ألزموها المدَّ، وألحقوا آخر الاسم المدَّ مبالغة في الترنُّم". (٥)

ومنه اختلاف موقف الخطاب باختلاف حال المخاطب: فإما أن يكون المخاطبُ مفردا أو أكثرَ من مفردٍ، وإما أن يكونَ مقبلاً أو أن يكون

---

(١) الكتاب: ٢١٨/٢ - ٢١٩ .
(٢) المصدر نفسه: ٢١٨/٢ .
(٣) المصدر نفسه: ٢١٩/٢ .
(٤) يختلط: يضجر ويغضب.
(٥) الكتاب: ٢٣١/٢ ، وانظر أسرار العربية: الأنباري، تحقيق محمد بهجة بيطار، دمشق، ١٣٧٧هـ - ١٩٥٧م، ص ٤٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مُدبِراً، كما تتفاوت درجة الخطاب في ذهن المخاطَب بين الخبر والتأكيد والإنكار ويتبع هذا التباين تعدد صور الخطاب.

فإذا كان المخاطَب منفرداً، وتريد أن تستَمْهِلَه، تقول له: رويداً، وإذا كانوا جماعةً، وإذا كانت امرأةً أو أكثر، وأنت تريد استمهالهم جميعا تقول لهم: رويداً.

أما إذا أردت أن تستمهلَ شخصا بعينه أو أكثر، فتلحقها كاف الخطاب حسبما يكون عليه حال المخاطَب من الإفراد والتثنية والجمع .... إلخ، فإذا كان زيداً، قلت رويدكَ وإذا كانت هندا قلت رويدكِ .... إلخ، يقول سيبويه في تكييف هذا الخطاب: "واعلم أن رويداً تلحقها الكاف، وهي في موضع افْعَلْ وذلك قولك رُوَيدكَ زيداً ورويدَكم زيدا، وهذه الكاف التي لحقت رويدا إنما لحقت لتُبَيِّن المخاطبَ المخصوص، لأن رويدَ تقعُ للواحد والجميع والذكر والأنثى، فإنما أدخل الكاف حين خاف التباس من يَعني بمَنْ لا يَعني، وإنما حذفها في الأول استغناء بعلم المخاطَب إنه لا يعني غيرَه.

وإذا كان المخاطَبُ غير مقبلٍ عليك قلت: يا فلان أنتَ تفعل وإذا أقبل عليك تقول له: أنتَ تفعل دون تنبيه ومن عادة سيبويه أن يوضّح المسألة التي هو بصَدَدِها بما شابهها من الحالات حيث يقول: "فلحاق الكاف كقولك يا فلان للرجل حتى يقبلَ عليك وتركُها كقولك للرجل: أنت تفعل استغناءً بإقباله عليك" (١) وقد تتكرر فعلا ما على شخص أمامك فتقول له رويدَك كما تقول للمُقْبِلِ عليك المُنْصِتِ لك: أنت تفعل ذاك يا فلان توكيدا وتخصيصاً، كذلك إذا أردت أن تُحذِّر المخاطب أو تَأمُرَه أن يبتعد عن خطر أمامه أو خلفه تقول له: مكانَك، وبعدَك يقول سيبويه في هذا: "وأما ما لا يتعدى المأمورَ ولا المنهيَّ فقولك مكانك وبعدك، إذا قلت تأخَّر أو حذَّرْتَه شيئا خلفه وكذلك عندك، إذا كنت تُحذِّرُه من بين يديه شيئا أو تأمُرُه أن يتقدَّم". (٢)

---

(١) الكتاب: ٢٤٤/١، وانظر الوجهة الاجتماعية: ص ١٩.

(٢) المصدر نفسه: ٢٤٩/١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كذلك حال المخاطب من الحضور والغيبة تحدد مكانه من التركيب: وذلك في سياق الكلام إذا ذُكِر إنسانٌ لشيء قال الناس: زيدٌ، وقال الناس: أنت، على تقدير: أنت الهالِك، ولا يكون التقدير على أن تُضْمِر (هذا) أي: هذا أنت ويكون المُضْمَر هو المبتدأ - في ذلك انه لا يجوز أن تشيرَ للمخاطَب إلى نفسه، ولا تحتاجُ إلى ذلك، وإنما تُشيرُ له إلى غيره، ألا ترى أنك لو أشرت له إلى شخصه فقلت: هذا أنت، لم يستقم (١)، مع أن هذا يُستعمل كثيرا في أيامنا هذه عندما تستغرب وقوعَ أمرٍ من إنسان ليس أهلا له، أو من إنسانٍ لم تتوقّع منه الإتيان بمثله.

ولم يكتفِ سيبويه بمراعاة حال المخاطب بل راعى السبب الذي يرتبط به المخاطب، وذلك في مثل: "إن الذي في الدار أخوك قائما" (٢)، فعلى هذا الظاهر لا يجوزُ إذا أردت أُخوّةَ النسب، فهنا تعرب "اخوك" بدلاً من زيد وقائمٌ خبرُ زيد فلا يجوز هنا أن يكون قائماً حالاً من (اخوك)، وإنْ جعلت (أخوك) في معنى المؤاخاة والمصادقة جازَ لك أن تُعربَ (قائما) حالاً من (أخوك).

ومنه ما لا يجوز من الخطاب مراعاة لحال المخاطب: وذلك فيما يجب أن يكون عليه ضميرُ المخاطَب المتّصل في الاستعمال من التركيب مراعاة لحال المخاطب، في مثل اقتل نفسك، وإذا تمعّنّا فيما قرروه من منع مثل هذا، وما هو سبب هذا المنع، وما الذي استغنوا به عن هذا المنع، لم تجده مُقْنِعا لأن اتصال هذا الضمير في اقتلك مثلا لم يسبب ثقلا في اللفظ ولكنه لم يُستَعمل، لما جرَت عليه العادةُ من عدم استعمالِه، إذ يقولون: استغنوا عنهم بقولهم: اقتل نفسك، ولكنهم لم يُبيّنوا سبب هذا الاستغناء الذي نتقبله، أما قولهم لأن الفاعل والمفعول هو نفسُه فلم أجِد له من سبب سوى الخروج عن القاعدة

---

(١) انظر الكتاب: ١٤١/١.

(٢) المصدر نفسه: ١٤٨/٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأصلية التي وضعت، وسبب هذا الخروج هو سياق حال المخاطب، يقول سيبويه في هذا الباب تحت عنوان "هذا باب لا تجوز فيه علامة المُضْمَر المخاطَب ولا علامة المُضْمَر المتكلِّم ، ولا علامةُ المضمر المحدَّث عنه الغائب" ويشرحه لنا بقوله -وذلك لأنه لا يجوز لك أن تقول للمخاطب: اضرِبْك ولا اقْتُلْك ولا ضَرْبَتَك لما كان المخاطب فاعلا وجعلت مفعوله نفسه قَبُحَ ذلك لأنهم استغنوا بقولهم اقْتُلْ نفسك وأهلكت نفسَك عن الكاف هاهنا وعن إياك...
وكذلك الغائب لا يجوز لك أن تقول ضَرَبَهُ إذا كان فاعلاً وكان مفعولُه نفسَه ": (١)

تكييف الخطاب مراعاة لعلم المخاطب

لعلم المخاطب دور كبير في الكلام إذا كان هذا العلم متوفرا لصاحب الخِطاب ، فله دورٌ في التركيب وفي خروج الكلام عن مقتضاه المتعارَف عليه وفي تحديدِ العامل وفي الحذف والإضمار وقد رأى سيبويه هذا العلم في الكتاب.

فمن مراعاة علم المخاطَب في التركيب قوله : "واعلم أن المضمر لا يكون موصوفا من قبل أنك تُضْمِر حين ترى أن المحدَّث قد عرَف من تَعْني، ولكن لها أسماءٌ تُعْطَف عليها، تَعُمُّ وتؤكِّد ، وليست صفةً لأن الصفةَ تحلِيةٌ نحو الطويل أو قرابةٌ نحو أخيك وصاحبك وما أشبه ذلك" (٢)، لأن الضميرَ ليس بحاجةٍ إلى هذه الصفات وما يجيء بعدها من الأسماء تُعْطف عليها ويكون توكيدا لها في مثل مررت بهم أجمعين أي لم أدَعْ منهم أحدا.

---

(١) الكتاب: ٣٦٦/٢ - ٣٦٧ .
(٢) المصدر نفسه : ١١/٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومنه جواز قول: مررت برجلٍ أبي عشرةٍ أبوه إذا كان المخاطب لا يعرف العشرة من هم -هنا يجوزُ أن تكون -أبي عشرةٍ أبوه- نعتا، ولكن لا يجوز إذا كان المخاطَبُ يعرف من هم العشرة، فيقطع على الابتداء تقول مررت برجل أبو عشرة أبوه.
ولا يجوز في مثل: مررت بزيدٍ أخوه عمرو إلا الرفعُ/هذا اسمٌ معروفٌ بعينه فصار بمنزلة مررت بزيد عمرو أبوه". (١)

ويَتَّضِح لنا هذا التكييف من خلال مدارسة سيبويه لهذه الجملة -كان زيد حليما- أثناء تعليله الابتداء بالمعرفة، وكيف تُشْغَل كان بالمعرفة، فالوجه رفعُها زيدٍ المعرفة ونَصْبُ حليما لأن حد الكلام أن تُخبِر عمن تعرف بما لا يعرف، يقول: "فإذا قلت كان زيدٌ فقد ابتدأت بما هو معروف عنده مثلَه عندك/فإنما ينتظر الخبرَ/فإذا قلت حليماً فقد أعلمتَه مثل ما علمت، وإذا قلت:كان حليمًا فإنه يَنْتَظر أن تعرِّفه صاحب الصفة فهو مبدوء به في الفعل وإن كان مؤخَّرا في اللفظ، فإن قلت كان حليمٌ أو رجلٌ فقد بدأت بنكرة/ولا يستقيم أن تُخبِرَ المخاطَبَ عن المنكور، وليس هذا بالذي يُنَزَّل به المخاطَب منزِلتك في المعرفة فكرهوا أن يقربوا باب لبس". (٢)

ومما أرجعه في التحليل إلى علم المخاطب: مجيء ضمائر الرفع المُنْفَصِلة ضمائر فصل، وذلك في مثل كان عبد الله هو الظريف، وحسبت زيدا هو خيرا منك، وتأتي هذه الضمائر فصلا مع الأفعال الناقصة أو الأفعال التي تأخذ مفعولين أصلهما مبتدأ وخبر، ويُصَوِّر لنا سيبويه على لسان الخليل الموقف الذي تأتي به هذه الضمائر ضمائرَ فصل بقوله: "اعلم أنهنَّ لا يَكُنَّ فصلاً إلا في الفعل، ولا يَكُنَّ كذلك إلا في كل فعل الاسمُ بعده بمنزلته في حال الابتداء، واحتياجُه إلى ما بعده كاحتياجِه إليه في الابتداء، فجاز هذا في هذه الأفعال التي

---

(١) الكتاب: ٣٤/٢ .
(٢) المصدر نفسه: ٤٧/١ - ٤٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأسماء بعدها بمنزلتها في الابتداء إعلاما بأنه قد فصل الاسم، وأنه فيما ينتظر المحدَّثُ ويتوقَّعُه منه، ممـا لا بد له من أن يَذكرَه للمحدِّث، لأنك إذا ابتدأتَ الاسم فإنما تَبتدئه لما بعده، فإذا ابتدأتَه فقد وجب عليك مذكورٌ بعد المبتدأ لا بد منه، وإلا فَسَد الكلامُ ولم يَسُغْ ذلك، فكأنه ذكر (هو) ليستَدِلَّ المحدَّثُ أن ما بعد الاسم ما يخرجه مما وجب عليه، وأن ما بعد الاسم ليس منه -هذا تفسير الخليل رحمه الله"(١)، أي أن هذا الضميرَ فَصَل الاسمَ الذي بعد هذه الأفعال عن الخبر الذي لا يَتِمُّ الكلام دونه، وأن هذا الضمير أخرج هذا الاسم مما وجب عليه وهو الخبر لأنه فَصَل بينهما.

ومن تصويره الدقيق لما يريده المخاطَب من خلال التحليل: تصويره للمواقف التي تَحْتَمِل التعظيم والمدح والشتمَ تصويرا حواريا حيث يقول: "وقد يجوزُ أن تقول مررت بقومِك الكرام، إذا جعلت المخاطَب كأنه قد عرفهم"، ويكون هذا بذكرِ موقف من المواقف التي تدل على الكرم من خلال ما هو متعارَف عليه في المجتمع، ويقابل هذا الموقف بموقف شبيه بقوله: "كما قال مررت برجلٍ زيدٍ فنَزَّلَه منزِلةَ من قال لك من هو ؟ وإن لم يَتَكَلَّم به" (٢)، وكذلك منزلة هذه المنزلة في المدح والتعظيم وإن كان لا يعرِفُهم.

ولِعلم المخاطَبِ دورٌ في تحديد العامل: لقد راعى سيبويه عِلمَ المخاطَب بما يدور في الكلام من المعنى والتركيب، واعتبره ملحظاً أساسيا في تَثْبيت القاعدة أو تحديد العامل أو حذف ركن أساسي من الكلام، وما إلى ذلك، ومن هذه المراعاة ترجيحُ عمل الفعل الثاني من: ضربتُ وضرَبني قومُك، فقد رجح سيبويه إعمال الفعل الثاني حملا على علم المخاطَب من أنه عَرَف عملَ الفعل الأول وهو ضربْتُ وأنه وقع بالقوم، ويستشهد على هذا بما جاء في قوله تعالى: "والحافظين فروجَهم

---

(١) الكتاب: ٣٨٩/٢ .

(٢) المصدر نفسه: ٧٠/٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والحافظات والذاكرين اللهَ كثيراً والذاكرات" (١)، فلم يعمل الآخر فيما عمل فيه الأول استغناء عنه (٢)، أي أنه حذف المفعول من الحافظات والذاكرات لدلالة ما تقدم، والتقدير والحافظاتِها والذاكرته، فَعِلْمُ المخاطَب بما جاء في القرينة اللفظية السابقة أغناه عن ذكر المفعول مرة أخرى.

دور المخاطب في الحذف والإضمار

للمخاطَبِ دورٌ بارز في الحذف والإضمار ويكاد يكون له الدور الرئيسي في الحذف لأنه هو المتلقّي، فيكيِّفُ المخاطِبِ كلامه حسبما تقتضيه الحال التي يكون عليها المخاطَب، وما يكون لدى المخاطَب من العلم والمعرفة فلا داعي لذكره، فكأنَّه زيادةٌ أو تحصيلُ حاصل في الخطاب، كذلك ما يكون عليه المخاطَبُ من الحال فسياق الحال يغني عن الذكر، وكثيرا ما نسمع هذه الجملة -لسانُ حاله يقول- وأصبح هذا الحذف لكثرته عُرْفاً لغويا متعارفاً عليه لدى الجميع.

ومن الحذف لِعِلْمِ المخاطَب قولك: لا عليكَ وهذا مما جرى مجرى الأمثال لكثرة الاستعمال وللعِلْم به لدى الجميع فيحذف اسم لا استخفافا، ومما جاء في الكتاب عن هذا الحذف قوله: "وإنما أضمروا ما كان يقبح استخفافاً ولأن المخاطَبَ يعلمُ ما يَعْني فجرى بمنزلة المَثَل كما تقول لا عليك)وقد عرف المخاطَبُ ما تعني انه لا بأس عليك ولا ضرَّ عليك ولكنه حذف لكثرة هذا في كلامهم، ولا يكون هذا في غير عليك". (٣)

---

(١) الآية ٣٥ من سورة الأحزاب.

(٢) انظر الكتاب: ٧٤/١، وانظر المقتضب: المبرد تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م، ٧٤/٤؛ وانظر تفسير البحر المحيط، ٢٣٢/٧، وانظر الأعراف: ص ١٦.

(٣) الكتاب: ٢٢٤/١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومنه ايضا قولك: "ولو أن زيداً هنا وإنما يريد لكان كذا وكذا"(١)، ومن ذلك قوله عزّ وجلّ: "قل بل مِلّةَ إبراهيم حنيفا".(٢)

ومن الحذف لعلم المخاطب وكثرة الاستعمال خبرُ المبتدا الواقع بعد لولا، يقول سيبويه: "وذلك قولك لولا عبدُ الله لكان كذا وكذا، اي لولا عبدُ الله كان بذلك المكان، ولولا القتالُ كان في زمن كذا وكذا، ولكن حُذِفَ حين كَثُرَ استعمالُهم إياه في الكلام كما حُذف الكلامُ من إمّا لا، زعم الخليل رحمه الله، انهم أرادوا إن كنت لا تفعل غيرَه فافعل كذا وكذا إمّا لا، ولكنهم حذفوه لكثرته في الكلام". (٣)

ومن الحذف للعلم المشتَرَك لدى المتخاطبين ما جاء في مثل: تا الله أو سبحانَ الله رجلا، وإنما أرادَ تا الله ما رأيتُ رجلا ولكنه ترك الإظهار استغناء لأن المخاطَبَ يعلمُ أنَّ هذا الموضع إنما يُضْمَرُ فيه هذا الفعل لكثرة استعمالهم إياه. (٤)

ومما حُذِف لعلم المخاطَب ايضاً: حذفُ المفعول به لِلْعِلْم به، كما جاء في قوله تعالى: "والحافِظين فروجَهم والحافظات والذاكرينَ اللهَ كثيرا والذاكرات" (٥)، هنا حذف المفعول والتقدير والحافظاتها والذاكراتِه لأنَّه تقدّم من الكلام ما يَدُلُّ على هذا الحذف، ومما جعل المخاطَبَ على عِلْمٍ بهذا الحذف ذِكْرُ المفعولِ في سياق الكلام.

---

(١) الكتاب: ٣٣١/٢ .
(٢) المصدر نفسه: ٢٥٧/١ .
(٣) المصدر نفسه: ١٢٩/٣ .
(٤) المصدر نفسه: ٣٠٥/٣ .
(٥) من الآية ٣٥ من سورة الأحزاب، وانظر تفسير البحر المحيط، ٢٣٢/٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومما أُضْمِر بناء على ما لدى المخاطَب من العلم به: خبرُ إنَّ في مثل: إنَّ ولداً وإنَّ عدداً فهنا اضمرتَ المستقرَّ والموضعَ لهذا الاسم، يبين لنا سيبويه هذا الإضمار بقوله: ويقولُ الرجلُ للرجلِ هل لكم أحدٌ إنَّ الناسَ "ألبٌ عليكم" فيقول إنَّ زيداً وإنَّ عمراً أيْ إنَّ لنا زيداً وإنَّ لنا عمرا. (١)

الخروج بالكلام عن الأصل وعن مقتضى الظاهر مراعاة لحال المخاطب

لقد راعى النحويون حالَ المخاطَب وما يتناسَبُ مع هذه الحال من تَكْييفٍ للخطاب دون مراعاة لما يترتب على هذا التكييف من خروج عما وضعوه من قواعد اساسيةٍ مُتَمَثِّلةٍ في الهَيْكل النحْوي المُجَرَّد.

من هذا التكييف خروجُ الكلام عن معناه من الاستفهام إلى الإنكار مثلا، لأنك عندما تستفهم عن شيء حاصل أمامك لا يكون الغرض من الاستفهام طلب معرفة ما هو مجهول لديك، وإنما الغرضُ إما الإنكار او التوبيخ أو التاكيد وما إلى ذلك من الأغراض، ونذكر بعضاً مما جاء في الكتاب تحت عنوان: "هذا باب ما ينتصب فيه المصدر كان فيه الألف واللام أو لم يَكُن فيه على إضمار الفعل المتروك إظهاره، لأنه يصير في الإخبار والاستفهام بدلا من اللفظ بالفعل، كما كان الحَذَرُ بدلا من احْذَر في الأمر(٢)، إذا قلت: أأنتَ سيراً ؟ في الاستفهام فمعنى هذا في هذا الباب أنَّه فعل متَّصِل في حال ذكرك إياه استفهمتَ أو أخبرتَ، وانك في حالِ ذكرك شيئا في هذا الباب تعمل في تَشْبيته لك أو لغيرك" (٣)، لأنَّ استفهامَك عن فعل في حال حدوثه خروجٌ عن غرضِه الأصلي المُجرّد.

---

(١) الكتاب: ١٤١/٢ .
(٢) المصدر نفسه: ٣٣٥/١ .
(٣) المصدر نفسه: ٣٣٩/١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويَتَّضِحُ لنا هذا الخروج من خلال ما جاء في باب: ما يَنْتَصِبُ من الأسماء التي أُخِذَت من الأفعال انتصابَ الفعل، استفهمتَ أمْ لم تستفهم،يقول فيه: "وذلك قولك أقائماً وقد قعد الناسُ ؟ أقاعداً وقد سارَ الركْبُ ؟ (١)

فسيبويه يبين خروج الاستفهام عن غرضه الأصلي في هذا الباب لأن المخاطَبُ لا يريدُ من المُتَكَلِّمِ طلبَ معرفة ما يجهلُ وإنما رآه متأخِّراً وقد سبقه قرناؤه في مجال من المجالات، فينكر عليه ما هو فيه من التقاعس والكسل وينكر عليه هذه الحال التي هو فيها إذ يقول في تحليله لهذا الخروج: "وذلك انه رأى رجلاً في حال قيام أو حالِ قعودٍ، فاراد أن يُنَبِّهَه فكأنَّه لفظَ بقوله: اتقومُ قائماً واتقْعُدُ قاعداً ولكنه حذف استغناء بما يُرى من الحال وصار الاسمُ بدلاً من اللفظ بالفعل فجرى مجرى المصدر في هذا الموضع" (٢)، أيْ ينتصبُ اسمُ الفاعل هنا كما انتصبَ المصدرُ في مثل: اتقومُ قياماً.

ومما خرج فيه الاستفهام عن غرضه إلى التوبيخ من خلال مشاهدة الحال التي عليها المخاطب ما جاء في قولهم: "أتميمياً مرة وقيسيا أخرى ؟" فهذه الجملة أصبحت مثلاً يُضْرَبُ لكل حال أشبهت الحال التي قيلت فيها أولا في التلَوُّنِ والتَذَبْذُبِ.

وفي هذه الجملة أيضا انعكاسٌ لما يدورُ في المجتمع من صور الخلاف على التركيب في اللغة ويبدو من خلالها شدّةُ الإنكار على من يكون في مثل هذا الحال لما كان بين قيس وتميم من العداء، يقول سيبويه: "وإنما هذا أنَّك رأيتَ رَجُلاً في حال تَلَوُّنٍ وتَنَقُّلٍ فقلت: أتميمياً مرة وقيسيا أخرى، كأنَّك قلت: أتحول تميميا مرة وقيسيا أخرى، فانت في هذه الحال تعملُ في تشبيتِ هذا له، وهو عندك في تلك الحال في تلون وتنقل، وليس يساله مسترشدا عن أمر هو جاهل به لِيُفَهِّمَهُ إيّاه ويُخْبِرَه عنه ولكنه وبَّخه بذلك". (٣)

---

(١) الكتاب: ٣٤٠/١ .

(٢) المصدر نفسه: ٣٤٠/١ .

(٣) المصدر نفسه: ٣٤٣/١ ، وانظر الوجهة الاجتماعية: ص ٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن مثل هذا الانكار ما جرت عليه العادة من تَطَيُّر (١) المجتمع آنذاك من البعير الأعور -أي التشاؤم من رؤيته او مصادفته في اثناء الذهاب للحروب او الصيد- يقول سيبويه: "وحدثنا بعضُ العربِ ان رجلاً من بني أَسَدٍ قال يوم جبلة واستقبله بعيرٌ أعورُ فَتَطَيَّر منه فقال: يا بَنِي أَسَد، أَعْوَرَ وذا ناب ؟ فلم يُرِد ان يسترشِدَهم ليخبروه عن عوره وصحته ولكنه نبههم كانه قال: أتستقبلون أَعْوَرَ وذا ناب فالاستقبال في حال تنبيهه إياهم كان واقعاً كما كان التلوُّنُ والتنقُّلُ عندكَ بائِنَين في الحال الأول، واراد ان يُثَبِّتَ لهم الأعورَ ليحذَرُوه". (٢)

ومن خروج الكلام عن مقتضاه الظاهر إلى ما يدور في ظلاله السياقي ما جاء في قوله تعالى من الاستفهام الذي خرج الى الانكار والتوبيخ لما يقتضيه المقام: "أم اتَّخذَ مما يَخْلُقُ بناتٍ وأصفاكم بالبنين" (٣)،

ومن هذه المراعاة ايضا تَسْويغُ الابتداء بالنكرة حيث يقول: "وتقول إنَّ ألفاً في دراهمك بيضٌ، وإنَّ في دراهمك ألفاً بيضٌ، فهذا يجري مجرى النكرة في كان وليس، لان المخاطَبَ يحتاجُ إلى أنْ تُعْلِمَه فهنا كما يحتاجُ إلى ان تُعْلِمَه في قولك: ما كان احدٌ فيها خيراً منك وإن شئتَ جعلتَ (فيها) مستقرّاً وجعلتَ البيضَ صفةً". (٤)

---

(١) التطير: التشاؤم - لسان العرب، مادة طير ٢/١٢ .

(٢) الكتاب: ١/٣٤٣ ، لسان العرب: ٤/٦١٣ ، الوجهة الاجتماعية: في منهج سيبويه ٨/٩ .

(٣) الآية ١٦ من سورة الزخرف . يقول ابو حيان في تفسير هذه الآية: "فهنا الاستفهام إنكار وتوبيخ لقلة عقولهم، كيف زعموا انه تعالى اتّخذَ لنفسه ما انتم تكرهونه حين أنتم تَسْودُّ وجوهُكم عند التَبْشير بهن وَتئِدوهن وأصفاكم: جعل لكم صفوةُ ما هو محبوب وذلك البنون". انظر تفسير البحر المحيط: ٨/٨ ، وانظر الكتاب: ٣/١٧٣

(٤) المصدر نفسه: ٣/١٤٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن هذا الخروج ما خرج مراعاة لعلم المخاطب: قد تختلف جهات الكلام وتخرج العبارة عن مدلولها الظاهر المتعارَف عليه من الأساليب إلى معانٍ أخرى،وذلك ما جاء في الكتاب قوله: "فعندما تقول غَفَرَ الله لزيدٍ ورَحِم اللهُ زيدا (١) فوجهُ الكلام الخبرُ ومعناه الدعاء والطلب وذلك لِعِلْمِ السامعِ أنَّك لا تخبر عن الله عز وجل وإنما تسأَلُه"، ومثل ذلك خروج الكلام عن مجراه المتعارَفِ عليه والأسلوب الذي عُرِف به إلى الدعاء في الأمر والنهي، يقول سيبويه: "واعلم أن الدعاءَ بمنزلة الأمر والنهي وإنَّما قيل دعاءٌ لأنه استعظم أن يُقال أَمْرٌ ونَهْيٌ وذلك قولهم: "اللهمَّ زيدا فاغفر ذنبَه"(٢)

سياق حال المخاطب جزء من اللغة

أدرك سيبويه ما بين اللغة ومحيطها الخارجي وعناصره بما فيها المخاطب من ارتباط، وعلاقة اللغة بسياقها العام، وكان هذا السياق جزء لا يتجزأ من اللغة. (٣)

ونستطيع أن نَتبيَّن كيف يقوم دورُ المخاطَب وعِلْمُه وحالُه مقامَ الأركان الأساسية للجملة ويُحلُّ مَحَلَّها من خلال هذا العنوان السياقي "هذا باب ما جرى من الأمر والنهي على إضمار الفعل المُستَعمل إظهاره إذا علمت أن الرجلَ مستغنٍ عن لفظك بالفعل".

إذ أن المقصود بذلك كَوْنُ المخاطَب في حال تنوبُ أو تُعوِّض عن إظهارِ هذا الفعلِ المُضْمَرِ الموجَّهِ إليه في الطلب من أمر أو نهي حيث

---

(١) يقول ابن جني: إنهم جاءوا بصيغة الماضي في الدعاء تيمنا بحصوله وأنه كالحاصل.

(٢) المصدر نفسه: ١٤٢/١، وانظر المقتضب: ١٣٢/٢، وانظر الأعراف: ص ١٦.

(٣) انظر الوجهة الاجتماعية: ص ١١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقول في بيان هذا: "وذلك قولك زيداً، وعمراً، ورأسَه، وذلك أنَّك رأيت الرجلَ يَضْرِبُ أو يَشْتِم أو يَقْتُل، فاكتفيت بما هو فيه من عمله أن تلفظ له بعمله فقلت: زيداً أي أوقِع عملَك بزيد.

وأما النَّهْيُ فإنه التحذير كقولك: الأسدَ الأسدَ والجدارَ الجدارَ والصبيَّ الصبيَّ، إنما نهيته أن يقرُب الجدارَ المخوفَ المائلَ، أو يقرَب الأسدَ أو يوطيءَ(١) الصبيَّ". (٢)

ولا يجوز مثلُ هذا الإضمار إلا إذا كان المخاطَبُ هو المأمورَ والمنهيَّ والمُحَذَّرَ، يقول سيبويه في عدم جواز هذا الإضمار في غير هذه الحال: "واعلم أنه لا يجوزُ أن تقولَ: زيدٌ وأنت تريدُ لِيضْرِب زيداً أو لِيضْرِبْ زيدٌ إذا كان قاعداً [ولا زيداً وأنت تريدُ لِيضْرِبْ عمروٌ زيداً] ولا يجوزُ زيدٌ عمراً، إذا كنت لا تخاطِبُ زيداً، إذا أردت لِيضْرِبْ زيدٌ عمراً وأنت تُخاطِبُني، فإنما تريد أن أُبَلِّغه أنا عنك أنك قد أمرته أنْ يَضْرِب عمراً، وزيدٌ وعمرٌ غائبان فلا يكون أن تُضْمِر فِعْلَ الغائب.

وكذلك لا يجوزُ زيداً وأنت تريدُ أن أُبَلِّغَه أنا عنك أن يَضْرِب زيداً، لأنك إذا أضمرت [فعل] الغائب ظن السامعُ الشاهد إذا قلت: زيداً، أنَّك تأمُرُه هو بزيد، فكرهوا الالتباس هنا.... وضَعُف حيث لم يخاطِب المأمور". (٣)

<u>النفاذ إلى أعماق المتخاطبين من خلال التحليل السياقي في الخروج عن الأصل</u>

وذلك في الابتداء بالنكرة إذ يلجأُ سيبويه إلى السياق في الخروج عن الأصل، سواءٌ أكان هذا الخروج في المعنى أم في التركيب.

---

(١) يوطيء الصبي: أي يوطيء دابته التي يركبها الصبي.

(٢) الكتاب: ٢٥٣/١ .

(٣) الكتاب: ٢٥٤/١ ـ ٢٥٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قيل في الهيكل النحوي المجرد المتمثل في القواعد الأساسية : لا يجوزُ الابتداءُ بالنكرة، ولكن العربَ ابتدأوا بها وسُمِع ذلك عنهم فكيف علَّل النحويون ذلك ؟

تتمثل براعتُهم في تعليلهم لما خرج من مثل هذا على أنه يندرج تحت ما حددوه من التعامل بين الأسماء من حيث التعريف والتنكير، فإذا حدث شيء من مثل هذا الخروج ألبسوا النكرةَ ثَوْبَ المعرفةِ من خلال اللجوء إلى السياق، ولم يكتفوا هنا بالسياق بل نَفَذُوا إلى أعماق المخاطَب، وما ترتضيه نفسُه ليكونَ مسوِّغا في هذا الخروج (ليس للابتداء بالنكرة بل ليبرروا الإخبار عنها)، يقول سيبويه في: "ما كان أحدٌ مثلَك وما كان أحدٌ خيراً منك، وما كان أحد مُجْتَرِئٌ عليك. وإنما حسن الإخبار ههنا عن النكرة حيث أردت أن تنفي أن يكون في مثل حاله شيء أو فوقه، لأن المخاطَب قد يحتاجُ إلى أن تُعْلِمه مثل هذا"، ويجوزُ ذلك إذا أردت أن تُخْبِرَه بأنَّ هذا المجهولَ من آل فلان لأنه بحاجة الى أن يَعْلمَ ما كان يَجْهَلُه، ويُبَيِّنُ سيبويه جوازَ الإخبار عن هذه النكرة (وهو جواز الابتداء بها) من خلال الواقع حيث يقول: "وإذا قلت كانَ رجلٌ ذاهباً، فليس في هذا شيءٌ يَعْلَمُه كان جَهِلَه، ولو قلت كانَ رجلٌ من آل فلان فارساً حَسُن لأنه قد يحتاجُ الى أن تُعْلِمَه أن ذاك في آل فلان وقد يَجْهَلُه".

لكن لا يجوزُ الإخبارُ عن النكرة في مثل: "كان رجلٌ في قوم فلان عاقلاً، لأنه لا يُسْتَنْكَرُ أن يكونَ في الدنيا عاقلٌ وأن يكونَ من قوم". (١)

ومن هذا القبيل أيضاً لا يجوز أن تضعَ كلمةَ (أحَد) إذا كانت بمعنى العموم في موضع واجب لأنك "لو قلت ما كان مثلُك أحداً، أو ما كان زيدٌ أحداً كان ناقصاً، لأنه قد عَلِمَ أنَّه لا يكونُ زيدٌ ولا مِثْلُه إلا من الناس". (٢)

---

(١) الكتاب: ٥٤/١ .

(٢) المصدر نفسه : ٥٥/١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السياق والمعنى

إذا أرادَ إنسانٌ أن يعبّر عما يجول في خاطره فإنّه يُسَخِّر جميع العناصر اللغوية من صوتية وصرفية ونحوية ودلالية ليُعَبِّر عن هذه الأفكار، ومن هنا تَظْهرُ لنا قدرتُه اللُّغوية في تَطْويع هذه العناصر مجتمعة في سياق عام، حتى تَبْرزَ لنا هذه الأفكارُ في ثوبها الذي يتناسبُ والموقفَ الذي قيلت فيه.

قالوا قديما: أَعْطِني معنىً أُعطِك إعرابًا، لذا لا يمكن الفصل بين البنية الجوّانيّة المتمثلة في المعنى والبنية البرّانيّة المتمثلة في عملية التركيب، لأن عمليةَ الخطاب نسيجٌ من العلاقات الداخلية التي تَشِفُّ عنها العلاقاتُ الخارجيةُ.

ودراسة المعنى لا يمكن أن تقف عند المعنى المجرّد العالق في الذهن، بل تتطلب تحليلاً للسياقات والمواقف التي يَرِدُ فيها، حتى ما كان منها غير لغوي، لأن المعنى يُحَدَّد من خلال السياق الذي تستعمل فيه الكلمة إلى جانب طبيعتها والطريقة التركيبية التي تنتظمها، وكما قال السياقيون (١): إن المعنى لا يَتَكَشَّفُ إلا من خلال تسييق الوحدة اللغوية، أي من خلال وضعها في سياقات مختلفة.

لذا نجد أن سيبويه اتّخذَ المعنى ملحظًا ثابتا في وضع المحايير وتقرير القواعد ورسم الحدود بين الصواب والخطأ (٢)، فالعلاقة بين المعنى والتركيب ثابتةٌ ومطّردة، ولا يمكنُ دراسة اللغة بمَعْزِلٍ عن مراعاة المعنى المطلوب من عملية الخطاب.

ولم يكتفِ سيبويه بدراسة الأشكال أو العلاقات الإعرابية التي تعتري أواخر الكلمات، بل قصد من الدراسة وضعَ القواعدِ والأنظمةِ التي يجب أن تراعى في التركيب شريطة أن تحقق ما يريد منها من شرح

---

(١) انظر علم الدلالة: ص ٢٥٣.

(٢) انظر الوجهة الاجتماعية: ص ٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

للمعاني والأفكار التي تدور في ذهن المتكلم، ولقد قرر ابن هشام أن أوّل واجبٍ على المعرب أن يفهم معنى ما يُعْرِبه مفردا أو مركبا (١). فجعل سيبويه المعنى فيصلا فما لا يتم المعنى جاز وإلا فسد.

ونلاحظ هذا الارتباط بين الإعراب والمعنى من خلال ما قاله السيوطي في تعريفه للنحو: "النحو صناعة علمية، يُنْظَرُ بها أصحابها في ألفاظ العرب من جهةٍ ما تتآلف بحسب استعمالهم، لِتَعْرِفَ الشبهَ بين صيغة النظم، وصورة المعنى، فَيُتَوَصَّلَ بإحداهما إلى الأخرى"(٢)، وإليك هذه الأدوار التي نتبين من خلالها التبادلَ بين المعنى والإعراب.

<u>التسايق بين المعنى والإعراب</u>

من هذا التسايق جوازُ الرفع على البدَليّة في قولك: دخلوا الأوَّلُ فالأوَّلُ كأنه قال: دخل الأولُ فالأولُ، ويجوز في هذه الجملة النصبُ على الحال بتأويل الأوّلَ فالأوّلَ أيْ مترتبين، هذا في صيغة الإخبار عن دخولهم: "فإن قلت ادخلوا، فأمرت فالنصبُ الوجهُ ولا يكون بدلا، لأنك لو قلت: ادخلِ الأولُ فالأولُ او رجلٌ رجلٌ لم يَجُز ولا يكون صفة، لأنه ليس معنى الأولِ فالأولِ أنك تريد أن تعرِّفه بشيء تُحلّيه به، لو قلت: قومك الأولُ فالأولُ أتونا لم يَستَقِم، وليس معناه معنى كلهم فأجرى مجرى خمستهم ووحده..... (٣)، فإن قلت ادخلوا الأولُ والآخرُ والصغيرُ والكبيرُ، فالرفعُ لأن معناه معنى كلهم" كأنه قال: ليدخلوا كلهم، فنجده يدارس هذه الجملة من الناحية التركيبية والمعنى المترتب عليها وما يجب من التركيب لما يجب من المعنى.

---

(١) انظر مغني اللبيب: ٥٨٢-٥٨٣ وانظر نظرية النحو العربي ص ٦٣.

(٢) الاقتراح: ص ٧.

(٣) الكتاب: ٣٩٨/١ - ٣٩٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومنه خروج إلا عن معناها إلى الصفة (في معنى غير) لأنها لو كانت على معناها لم يَجُز لِفَساد المعنى كما جاء في قوله تعالى: "لو كان فيهما آلهةٌ إلا اللهُ لفسدَتا". (١)

يقول أبو حيان في تفسير قوله تعالى (٢): إلا هنا صفة لآلهة أي آلهة غير الله وكون إلا يوصَف بها معهود في لسان العرب، ومن ذلك ما أنشده سيبويه لعمرو بن معدي كرب:

وكلُّ أخٍ مفارقه أخوه لعمر أبيك إلا الفرقدان (٣)

ومنه ما يجب من الإعراب حمل على المعنى: وذلك لما يترتب على الإعراب من تحديد المعنى وتوضيحه في ذهن السامع، كوجوب النصب في المستثنى في مثل قوله: "ماضربتُ أحداً يقول ذاك إلا زيداً، والمعنى هنا: أن كثيرين يقولون ذاك ولم أَضْرِب أحداً منهم إلا زيداً (١)، فهنا تريدُ أنْ تُخبِر بِمَوْقوعِ فعلِك ولم تُرِد أن تُخْبِرَ أنه ليس يقول ذاك إلا زيد، ولكن ضَرَبْتُ ممن يقولُ ذاك زيداً" فهنا وجب نصبُ المستثنى

---

(١) الآية ٢٢ من سورة الأنبياء، وانظر الكتاب: ٣٣٢/٢ .

(٢) في الآية الكريمة لا يجوز أن تكون إلا أداة استثناء وما بعدها بدلا لا من ناحية المعنى ولا من ناحية اللفظ، أما من ناحية المعنى يكون لو كان فيها آلهةٌ موجودةٌ وأخرجَت الذات العليّة لفسدت، ومعنى هذا الكلام لو كانت آلهة متعددةٌ ومعها الذات الإلهية لا تفسد، وليس هذا المعنى المراد ترتيب الفساد على مجرّد التعدد، وأما من ناحية اللفظ فآلهة نكرة مجموعة فلا يصحُّ الاستثناء منها لأنها نكرة مثبتة فلا تَعُمُّ لأن النكرة تعمُّ في سياق النفي، فمن جعل (لو) أداة امتناع لامتناع تفيد العموم في النكرة فالعرب لا يعتبرون مثل هذا النفي، انظر الأشموني: ١٥٧/٢ وانظر تفسير البحر المحيط: ٣٠٤/٦ - ٣٠٥ .

(٣) الكتاب: ٣٣٤/٢ والشاهد فيه وصف كل بقوله: إلا الفرقدان أي غير الفرقدين.

(٤) انظر المصدر نفسه: ٣١٣/٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لما أردت من المعنى، ولكنك تقول ما رأيت أحدا يقول ذاك إلا زيد، برفع (زيد) على البدل من فاعل يقول، وإذا حملته على المستثنى منه تقول ما رأيتُ أحداً يقول ذاك إلا زيدا فتنصبه على البدل من المستثنى منه، وأنك تخبر هنا عمَّن قال ذاك وعمَّن قام بالفعل وليس عمَّن وقع عليه الفعل، والمعنى أنه ليس يقولُ ذاك إلا زيدٌ، ويأتي الفرق هنا أيضا في معنى الفعل في مثل رأيتُ وظننتُ ونحوهما، فإذا جعلت (رأيتَ) رؤيةَ العين المجرَّدة فيكون المستثنى منصوبا لأنه بدلٌ ممن وقع عليه الفعل بمنزلة ضربْتُ، ولكن إذا جعلتها قلبية يجوز الرفع ويجوز النصب، يقول سيبويه في هذا: "ولكنك قلت رأيتُ او ظننتُ او نحوهما لتجعلَ ذلك فيما رأيت وفيما ظننت، ولو جعلت رأيت رؤية العين كان بمنزلة ضربت، قال الخليل رحمه الله: ألا ترى أنك تقول ما رأيتُه يقولُ ذاك إلا زيدٌ، وما ظننْتُه يقوله إلا عمرو، بهذا يدلُّك على أنك انتحيت على القول، ولم تُرِد أن تجعل عبد الله موضع فعل كضربت وقتلت، ولكنه فعل بمنزلة ليس يجيء لمعنى وإنما يدلُّ على ما في علمك". (١)

ومنه عدم جواز وصف المُضْمَر بالمظْهَر في مثل قوله عزَّ وجل: "هو الحق مصدقا" (٢) فإن الحقَّ لا يكونُ صفةً ل (هو) من قِبَل أن (هو) اسمٌ مُضْمَرٌ والمضمر لا يوصَف بالمظْهَر أبدا، لأنه قد استغنى عن الصفة ويبين سيبويه السبب بقوله: "وإنما تُضْمِرُ الاسم حين يستغني بالمعرفة، فمن ثَمَّ لم يَكُن في هذا الرفعُ كما كان في هذا الرجل، ألا ترى أنك لو قلت: "مررت بِهُو الرجل" لم يَجُز ولم يَحْسُن، ولو قلتَ: "مررتُ بهذا الرجل" كان حسنا جميلا. (٣)

---

(١) انظر الكتاب: ٣١٤/٢ .

(٢) الآية ٣١ من سورة فاطر.

(٣) الكتاب: ٨٧/٢ - ٨٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومما أوجبه المعنى من الإعراب، وجوب نصب المستثنى إذا كان في معنى لكن، أو كان تاماً موجباً، أما ما كان على معنى لكن فقوله تعالى: "لا عاصمَ اليومَ من أمرِ الله إلا من رحم" (١) فهنا يكون الاستثناء منقطعا أي لكن من رحمه ربي معصومٌ.

ونحو لا تكونن من فلان في شيء إلا سلاما بسلام، وما زاد إلا ما نقص، وما نفع إلا ما ضرَّ - ما مع الفعل بمنزلة اسم نحو النقصان والضرر - أي كأنه قال ولكنه نقص، ولكنه ضر.

والاستثناء التام الموجب نحو: "أتاني القوم إلا أباك لأنه مُخْرَجٌ مما أَدخلتَ فيه فيزه فانتصب الأب هنا لأنه أخرج من المستثنى منه ولم يَدْخل فيما دخل فيه ولم يَكُن صفة، وكان العامل فيه ما قبله من الكلام، فعمل كما عمل العشرون في الدرهم حين قلت له عشرون درهما، فالدرهم هنا ليس بصفة للعشرين ولا محمولٌ على ما حُمِلت عليه -أي على الابتداء- وإنما وجب النصب على تقدير استثني هنا لأنك إذا حملتها على البدل لم يَجُز لأنه لم يَجْرِ حكمُ المُبْدَلِ منه عليها، لو قلت: أتاني إلا أبوك كان محالاً، وإنما جاز ما أتاني القوم إلا أبوك، لأنه يَحْسُن لك أن تقول ما أتاني إلا أبوك، فالمُبْدَل إنما يجيء أبداً كأنه لم يُذْكر قبله شيء لأنك تُخْلِي له الفعل وتَجْعَلُه مكان الأول، فإذا قلت ما أتاني القومُ إلا أبوك كأنك قلت ما أتاني إلا أبوك". (٢)

ومما جاء حملا على المعنى من الإعراب، نَصْبُ أَحَدِ المستثنيين في مثل: ما أتاني إلا زيدٌ إلا عمراً، وذلك لأنه في المعنى ليس مُبْدَلاً من المستثنى، لأنك لا تريد أن تُخرِجَ المستثنى الأول من المستثنى منه، وتُدْخِلَ فيه المستثنى الثاني، إنما تريد أن تُخْرِجَهما من المستثنى منه، ولكن يجوز فيهما التقديم والتأخير لأيٍّ شئت، فيجوز أن تقول: ما أتاني إلا زيدا إلا عمرو، يقول سيبويه في جواز أن

---

(١) الآية ٤٣ من سورة هود، وانظر تفسير البحر المحيط، ٥/٣٧.

(٢) الكتاب، ٢/٣٣١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تُخْرِجَ المستثنى الأوّلَ من المستثنى منه ؛ "ويجوز البدلُ إذا كان المستثنى الثاني هو نفس المستثنى الأول في مثل ؛ ما اتاني إلا زيدٌ إلا ابو عبد الله إذا كان ابو عبد الله زيداً،ولم يُكُن غيرُه لأن هذا يُكَرَّرَ توكيدا كقولك رايت زيداً، زيداً". (١)

كما انه يجوز "ان يكون غيرَ زيد على الغلط والنسيان، كما يجوز ان تقول رايتُ زيداً عمراً، إنما اراد عمراً فنسِي فتدارَك". (٢)

ومما يجوز فيه تَعدُّد وجوه الإعراب حملا على المعنى، ما نراه في هذه الجملة ؛ اثنتي تمشي، إذ يجوزُ فيها ثلاثةُ أوْجُه إعرابية ؛ يجوز فيها النصب على ان القَصْدَ اثنتي ماشياً، هنا تُنْصَب على الحال، ويجوز فيها الجزمُ على معنى الجزاء، ان تاتني تمشِ، فيما يُستَقْبل، وان لا تاتِ لا تمشِ، ويجوزُ فيها الرفع على معنى اثنتي وانت ماشٍ. (٣)

ومن مراعاة المعنى في الإعراب، ما جاء من قوله في (دون) بانَّ لها معنيين ؛ احدهما كونها ظرفا غير مُتصرِّف، فلا يجوزُ فيها إلا النصب، والثاني ان تكونَ بمعنى حقير، فإنها تتصرف كالأسماء فتقول ؛ هو دونك، إذا جعلت الأولَ الآخِر ولم تَجْعَلْه رجلاً، وقد يقولون ؛ هو دون، في غير الإضافة، اي هو دون من القوم، وهذا ثوبٌ دونٌ إذا كان رديئا. (٤)

ويتضح أثر المعنى في الإعراب في الصرف ومنعه وهو اكثر من ان يُحْصى لأن منع الصرف يقتضي علتين احداهما لفظية والأخرى معنوية او علة تقوم مقام علتين وهناك اسماء تحتمل معنيين، منها ما تكون

---

(١) الكتاب، ٣٣٨/٢ .
(٢) المصدر نفسه ؛ ٣٤٦/٢ .
(٣) المصدر نفسه ؛ ٩٨/٣ .
(٤) المصدر نفسه ؛ ٤١٠/١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

محددة كالعَلَمية، او وقتا مُعَيَّنًا، ومنها ما تكون اسماء غير محددة، فإذا كانت مُحدَّدة مُنِعت من الصرف، وإلا فَتُصْرَف، ومنه ما جاء في الكتاب قوله: "وذلك في مثل أدْهَم، إذا عَنَيْتَ القَيْدَ، والأسود إذا عنيتَ به الحيَّة، والأرْقَم إذا عنيت به الحيّة، فإنك لا تَصْرِف في معرفة و لا نكرة، ولم تَخْتَلِف في ذلك العرب". (١)

ولكنّك إذا قَصَدْتَ بهما اسماء فإنك تَصْرِفُهُن، لإنك إذا قصدت بهما الصفة فتجتمع لديك علتان، العلة اللفظية وهي وزن الفعل والعلة المعنوية وهي الخروج من الاسمية إلى الوصفية.
وكذلك مصرُ إذا اردتَ بها القطرَ المِصْري فإنها تُمنَع من الصرْف، وإذا اردت لها معنافا، المِصرَ القُطْر دون تعيين فَتُصْرَف. (٢)

ومنه الترجيح في الإعراب حملا على المعنى، ما جاء في المعطوف على جملة إنَّ يقول: "انَّ زيداً ظريفٌ وعمروٌ، وانَّ زيداً مُنْطَلِقٌ وسعيدٌ، فعمروٌ وسعيدٌ يرتفعان على وجهين فأحَدُ الوجهين حَسَنٌ والآخر ضعيف.

فاما الوجه الحَسَنُ فان يكونَ محمولا على الابتداء، لأن معنى انَّ زيداً منطلقٌ: زيدٌ منطلق، وإنَّ دخلت توكيدا، كانه قال: زيدٌ منطلق وعمروٌ وفي القرآن مثله: "إن الله بريءٌ من المشركين ورسولُه" (٣) بان يُحْمَل الرسولُ على الابتداء.

واما الوجه الآخر الضعيفُ فأنْ يكون محمولا على الاسم المُضْمَر في المنطلِق والظريف فإذا اردتَ ذلك فأحسَنُه ان تقول: "منطلقٌ هو وعمرو، وانَّ زيداً ظريفٌ هو وعمرو". (٤)

---

(١) الكتاب: ٣/٢٠١ .
(٢) انظر المصدر نفسه: ٣/٢٤٢ .
(٣) الآية ٣ من سورة التوبة .
(٤) الكتاب: ٢/١٤٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اثر المعنى في التركيب عنده

ومنه الدقة في التركيب المترتّبة على دقة المعنى ما جاء في قوله: "تقول مررتُ برجلٍ رجلِ ابيه" إذا اردت انه كامل، وجَرُّه كجرِّ الاسد في: مررت برجل اسدٍ ابوه. وقد تقوله على غير هذا المعنى، مررت برجلٍ رجلٌ ابوه، تريد رجلاً واحداً لا اكثر من ذلك. (١)

ومن هذه الدقة في التركيب ما جاء في الفرق بين هذه التراكيب في القسم: والله لأَفْعَلَنَّ والله لفعلتَ، والله لا أَفْعَلُ.
في الجملة الاولى، تلحق اللام ونون التوكيد الخفيفة او الثقيلة إذا لم يَكُنْ الفعلُ حاصلا وكان غيرَ منفيّ.

وفي الجملة الثانية، لا تدخلُ النونُ لأن الفعل قد وقع إنّما تدخل على غير الواقع والقسم هنا لِفعلٍ قد وقع، وإذا كان الفعل منفيّاً فلا تلحقه شيئاً ولا تُغيِّره عن حاله التي كان عليها قبل القسم ولذلك يبقى على ما هو عليه في مثل الجملة الثالثة. (٢)

ومن هذه الدقة ايضا كَيْفيَّة نفي الفعل، فهي كما يلي (٣):

فَعَلَ	نفيهُ لَمْ يَفْعَل
قد فَعَلَ	نَفْيُهُ لمّا يَفْعَل
لقد فَعَلَ	نفيه ما فَعَل، لأنه كأنه قال والله لقد فَعَل، فقال والله ما فَعَل
هو يَفْعَلُ	نَفْيُهُ ما يَفعلُ أيْ هو في حال فعل/نَفْيُه ما يَفْعَل
والله ليَفْعَلَنَّ	نفيهُ والله لا يَفْعَلُ
سوفَ يَفْعلُ	نَفيُهُ لنْ يَفْعَلَ

---

(١) الكتاب: ٣/٢٩ .
(٢) المصدر نفسه: ٣/١٠٤ - ١٠٥ .
(٣) انظر المصدر نفسه: ٣/١١٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن ذلك عدمُ جواز العطفِ بالفاء في هذه الجملة لا تاكلْ السمكَ وتشربَ اللبنَ: لأنَّك تريدُ أنْ تنهاه عن الجمع بينهما (عن اكلِ السمكِ وشربِ اللبن في وقت واحد).
وإذا قلتَ لا تاكل السمك فَتَشربَ اللبن بالنصب بعد الفاء، فإنك هنا تنهاه عن اكلِ السمكِ وتأمُرُه بشرْبِ اللبن، وليس هذا المعنى المطلوب، فإذا جَزَمَ الثاني فإنه ينهاهُ أن ياكلَ السمكَ على كل حال، او يشربَ اللبنَ على كل حال. (١)

ومن دقّة المعنى المترتّبة على دقّة التركيب: الفرقُ في التركيب وما يترتب عليه من الفرق في المعنى في نحو: فيها عبدُ الله قائماً، فيها عبد الله قائم، من ناحية المعنى في الجملة الأولى "قائما" حال والاستقرار لعبد الله.
وفي الجملة الثانية: الاستقرار للقيام، أي أنَّ القيامَ لِعَبد الله مُسْتَقِرٌّ فيها، وفي الأولى عبد الله هو المُسْتَقِرُّ.
ويترتب على هذا الفرق أن نستغني عن "فيها" في الجملة الثانية ولا نستغني عنها في الجملة الأولى لأنها مُتَعلِّقةٌ بمرفوعِ الخبر- هذا من ناحية التركيب، يقول سيبويه: "فإذا نصبتَ القائمَ ففيها قد حالت بين المبتدأ والقائم واسْتُغْني بها (عن الخبر) فعمل المبتدأ حين لم يكن القائم مبنيا عليه عمل هذا زيد قائما- أي هو الذي عمل في الحال. وإنما تجعل فيها إذا رفعت القائم مستقرا للقيام وموضعا له، وكأنك لو قلت فيها عبد الله لم يَجُزْ عليه السكوت" ويوضح سيبويه قوله هذا بالأمثلة فيقول: "ومثل قَوْلك فيها: عبدُ الله قائما، هو لك خالصاً، وهو لك حالصٌ، كأنَّ قولَك هو لك بمنزلةِ أهبُه لك ثم قلتَ خالصاً، ومن قال فيها عبدُ الله قائمٌ قال هو لك خالصٌ، فيصير خالصٌ مبنياً على (هو) كما كان قائم مَبْنيّاً على عبد الله

---

(١) انظر الكتاب: ٣/٤٢ ـ ٤٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و (فيها) لَغْوٌ، إلا انك ذكرت (فيها) لتبيِّن اين القيام، وكذلك لك انما اردت ان تبيّن لِمَن الخالصُ. (١)

وكذلك إذا قلت، هذا من اعرفُ منطلقٌ، فتجعل أَعْرِفُ صلة، اي هذا من هو معروف منطلق.
وتقول هذا من اعرِفُ منطلقاً، تجعل أَعرِفُ صلةً، وقد يجوزُ منطلقٌ على قولك، هذا عبدُ الله منطلقٌ. (٢)

ومنه ما قاله سيبويه على لسان يونسَ، وزعم يونُس ان العربَ تقول: إن بَدَلَك زيداً، أيْ إنَّ مكانَك زيداً، والدليلُ على هذا قول العرب، هذا لك بَدَلَ هذا أيْ هذا لك مكان هذا، وإن جعل البَدَل بمنزلة البديل (٣) قلت، انَّ بدَلَك زيدٌ اي انَّ بديلَك زيد" (٤) في الجملة الاُولى يكون زيد بدلك في مكان أو في حال مُعَينة وفي الثانية يحل محلك دائما.

ومنه ما جاء في نَصْبِ الفعلِ المضارع بعد حتى، يُنْصَبُ الفعلُ المضارعُ بعد حتى بأَنْ مضمرة وجوبا، لاُنها مختصّة بالاُسماء وليس كل فعلٍ بعدها يكون منصوبا، تَنْصِبُ حتى الفعل على وجهين -هذا راي سيبويه- فما:
١) ان تكون غايةً (اي بمعنى إلى ان) فَتَنْصِبُ الفعلَ عندما تتضمن معنى الغاية كما يُجَرُّ الاسم بإلى نحو سرتُ حتى ادخلَها.
٢) ان تكون تعليلية (بمعنى كي) وتنصبُ الفعلَ المضارعَ ايضاً عندما تَدُلُّ على التعليل وتَتَضمّن معناه نحو، لاُعبُدَنَّ الله حتى يغفرَ لي، ولا

---

(١) الكتاب، ٢/٩٠ - ٩١ .
(٢) المصدر نفسه، ٢/١٠٧ .
(٣) جعل ابن منظور البدل بمنزلة البديل بناء على كلام سيبويه، لسان العرب، ١١/٤٨ .
(٤) الكتاب، ٢/١٤٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يجوز معنى إلى هنا لأنه يترتّب عليها انقطاعُ العبادةِ بعد ان يغفرَ اللهُ له، يقول سيبويه في نَصْبِ الفعل المضارع بعد حتى: "اعلم ان حتى تُنْصِبُ على وجهين فاحدهما ان تجعلَ الدخولَ غايةً لمسيرك، وذلك قولك: سرت حتى ادخلَها، كأنّك قلت: سرتُ إلى أنْ ادخلَها، فالناصبُ للفعل ههنا هو الجارُّ للاسم إذا كان غايةً، فالفعلُ إذا كان غايةً نَصْبٌ والاسم إذا كان غايةً جرٌّ، وهذا قول الخليل.
واما الوجه الآخر فأن يكون السيرُ قد كان والدخولُ لمْ يَكُن، وذلك قولك كلّمتُه حتى يأمرَ لي بشيء". (١)

ومنه أيضا العطف على ان وما دخلت عليه: نحن نعرف أنَّ (أنْ) تدخل على الفعل المضارع فَتَنْصِبَهُ، فلو قلتَ: أريدُ ان تأتيَني ثم تحدّثَني بالنصب فهنا تشرك الفعل الآخِر مع الأوّل في الحكم، لأنك تريد ان يأتيَ وتريد ان يحدّثك.
وإذا قلت: اريد ان تأتيَني فَتَشْتِمُني بالرفع، لم تُرِد منه ان يأتيَك ويشتِمك ولكن المعنى: كلما اردْتُ إتيانَك شَتَمْتَني. (٢)

ومن هذه الدقة أيضا: ما سنراه في قاتين الجملتين:
أتيك إذا احمرَّ البُسْرُ ، أتيك إن احمر البُسْرُ
يكون الكلام مستقيما في الجملة الأولى، لأنَّ إذا تدلُّ على ظرف مستقبل معين ومعروف، لأنها بمنزلة إذ في الدلالة على زمن محدد معروف في الزمن الماضي.
ولكنَّ الكلام في الجملة الثانية قَبيحٌ لأنَّ إنْ أبدًا مبهمة ولا تدل على وقت معين أو حدث معين. (٣)

---

(١) الكتاب: ٣/١٦ - ١٧ .
(٢) انظر المصدر نفسه: ٣/٥٢ .
(٣) المصدر نفسه: ٣/٦٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن هذا القبيل قولك: لا تَدْنُ من الأسد يأكلُك، غير جائز لأنك لا تريد أن تجعل تباعُدَه من الأسد سبباً لأكله، وليس هذا وجه الكلام، ووجه الكلام الرفعُ، أي لا تَدْنُ من الأسد يَأْكُلُك، كأنك قلت لا تدن منه فإنَّه يَأْكُلُك، ويجوز أن تقول لا تدن من الأسد فيأكُلَك، لأن الأكل مترتّبٌ على الدنوِّ فما بعد الفاء سببٌ عما قبلها أي إن تدن من الأسد يأكُلَك. (١)

ومن هذه الدقة ما جاء في الفرق بين إنَّ وأنَّ، من خلال ما دار بين سيبويه وبين أبي الخطاب الأخفش الأكبر حول قوله تعالى: "وما يُشْعِرُكُم إنها إذا جاءت لا يؤمنون ؟" (٢) يقول سيبويه: "سألتُه عن هذه الآية ما منَعها أن تكونَ كقولك ما يدريك أنه لا يَفْعَلُ ؟ أي بدل إنّها أنّها بفتح همزة أنها بدل كسرها فقال: لا يحسن ذا في ذا الموضع، وإنما قال: وما يُشْعِرُكم ثم إبتدأ فأوجب فقال: إنها إذا جاءت لا يؤمنون، ولو قال: وما يُشْعِرُكُم أنها إذا جاءت لا يؤمنون، كان ذلك عذراً لهم" (٣) أي ما الذي يشعركم أنهم لا يؤمنون ؟ من الممكن أنهم يؤمنون والتقدير: ما يُشْعِرُكم أيها المؤمنون ما يكون، ثم أخبرهم على جِهة الجَزْمِ إنَّهم لا يؤمنون. (٤)

ومن هذه الدقة ما جاء في الاستفهام: ما اليومَ ؟ تريدُ ما الذي حدث اليومَ ؟
ما اليومُ ؟ تسأل عن اليوم السبتُ أم الأحدُ. (٥)

---

(١) انظر الكتاب: ٣/٩٧ .
(٢) من الآية ١٠٩ من سورة الأنعام.
(٣) الكتاب: ٣/١٢٣ .
(٤) انظر تفسير البحر المحيط: ٤/٢٠٤ .
(٥) انظر الكتاب: ١/٤١٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومما حمل على المعنى من الجواز في التركيب، ما جاء في تقديم المستثنى على المستثنى منه في مثل: "ما فيها إلا أباك أحدٌ"، لأن المستثنى وإن جاء بدلا في الاستثناء التامّ المنفيّ، إلا أنه مُبْدَلٌ منه في المعنى، يقول سيبويه: "وزعم الخليل رحمه الله أنّهم إنما حملهم على نصب هذا أن المستثنى إنما وجهُه عندهم أن يكونَ بدلاً ولا يكون مُبْدَلاً منه، لأن الاستثناء إنما حدُّه أن تَدَارَكَهُ بعدما تنفي فَتُبْدِلَه، فلما لم يكن وجهُ الكلام هذا حملوه على وجه قد يجوزُ إذا أَخَّرْتَ المستثنى، كما أنهم حيث استقبحوا أن يكون الاسم صفة في قولهم: فيها قائما رجلٌ (على أن قائماً حالٌ)، وحملوه على وجه قد يجوزُ لو أخَّرْتَ الصفة، وكان هذا الوجه أمثلَ عندهم من أن يحملوا الكلامَ على غيرِ وجهِه". (١)

ومما جاز حملا على المعنى في التركيب: جوازُ العطف على المحل في مثل (ليس زيد بجبانٍ ولا بخيلاً)، لأن الباءَ هنا لم تؤثّر في المعنى بدخولها، فكانها لم تَكُنْ من ناحية المعنى الأصلي إلا أنها تفيد التوكيد، يقول سيبويه في هذا: "لأن الباءَ دخلت على شيء لو لم تدخل عليه لم تُخِلَّ بالمعنى، ولم يُحْتَج إليها وكان نصبا، ألا ترى أنهم يقولون حسبُك هذا وبحسبِك هذا، فلم تغير الباء المعنى، وجرى هذا مجراه قبل أن تدخل الباء لأن بحسبِك في موضع ابتداء". (٢)

مراعاة الثقل بين الأصول والفروع

إنَّ مِن أهمِّ ما اعتمده النحويون في تحليلهم النحوي مراعاة الأصول والفروع، وما يترتَّب على هذه المراعاة من تفاوت في القواعد، ومن تفاوت في مراتب العمل، وما جعل للأصل من ميزات على الفرع، ومراعاة الفروق بين الأصل والفرع، كثيرٌ منها ما يقوم على المعنى،

---

(١) الكتاب: ٣٣٥/٢ .

(٢) المصدر السابق: ٦٦/١ - ٦٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولقد راعى سيبويه ما بين الأصول والفروع من الثِّقل، فالفرعُ فيه ما في الأصل وزيادة، وهذا الثِّقَلُ معنويٌّ وقد يكون لفظيا (١)، وما جاء الفرع من الأصل إلا لزيادة معنوية من خلال السياق العام الذي توجد فيه الفروع والأصول ولأجل هذه الزيادة اشتُقَّ من الأصل، يقول سيبويه في هذا الثقل: "واعلم أن بعضَ الكلامِ أَثقلُ من بعض، فالأفعالُ أَثقلُ من الأسماء، لأنَّ الأسماءَ في الأولى وهي أَشدُّ تَمَكُّناً، وإنما هي من الأسماء، ألا ترى أَنَّ الفعلَ لا بُدَّ له من الاسم وإلا لم يكن كلاما والاسم قد يستغني عن الفعل". (٢)

وقد يكون هذا الثقل من الناحيةِ اللفظيَّة مع أن هذه الزيادة اللفظيّة مترتّبة على زيادة في المعنى ولم يَجُرِ هذا التغيير على الأصل إلا لأن المعنى يريده، يقول في هذا: "واعلم أَنَّ النكرةَ أَخَفُّ من المعرفة وهي أَشَدُّ تَمَكُّناً لأَنَّ النكرةَ أَوّلُ ثم يدخل عليها ما تُعَرَّفُ به (٣) والواحد أَشَدُّ تَمَكُّناً من الجميع. لأنه الأولُ ومن ثَمَّ لم يصرفوا ما جاء من الجمع على مثال ليس يكون للواحد نحو مساجدَ ومفاتيحَ ويُقْصَدُ بها صيغة منتهى الجموع لأنه لا يوجد اسم مفرد على هذه الصيغة. (٤)

اللجوء إلى المعنى في الخروج عن الأصل

كثيرا ما كان سيبويه يلجأ إلى المعنى في تحليله النحوي في التعليل لما خرج عن الأصل، ومن هذا اللجوء ما جاء في تعليله لجواز دخول الألف واللام على المضاف في الصفة المُشَبَّهةِ، فالمضاف لا تدخل عليه الألف واللام ولكنها وَرَدَت عن العرب في دخولها على

---

(١) انظر الأعراف: ص ٢٢ .

(٢) الكتاب: ١/٢٠ - ٢١ .

(٣) المصدر نفسه: ١/٢٢ .

(٤) اختلفوا في كلمة سراويل وقالوا بأنها مفرد أتت على صيغة منتهى الجموع، انظر الأشموني: ٣/١٣٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بعض الصفات والعدد مما يسميه النحاة إضافةً غيرَ محضة، لأن هذه الصفاتِ تشارِك الأفعالَ في الوزْنِ كما تُشارِكُها في العمل والمعنى في الدلالة على الحدث ويُرْجِع سيبويه هذا الخروج إلى المعنى، حيث ان هذه الصفات مع دخول الألف واللام عليها وتعريفها لم تخرج عن مكانها من التنكير يقول سيبويه: "واعلم أنَّه ليس في العربية مضافٌ يدخلُ عليه الألف واللام غيرُ المضاف إلى المَعْرِفة في هذا الباب، وذلك قولك: هذا الحسَنُ الوجهِ، أدخلوا الألف واللام على حَسَنِ الوجه، لأنَّه مضافٌ إلى معرفة ولا يكون بها معرفة ابدًا، فاحتاج إلى ذلك حيث منع ما يكون في مثله البتَّة، ولا يُجَاوَزُ به معنى التنوين". (١)

ومما كان الخروج فيه عن الأصل حملا على المعنى: إتيانُ المصدر نعتا للجثة او للاسم وذلك في قوله: "مررت برجلٍ رَجُلِ صدق، والقصد ان تنسب هذا الرجل إلى الصلاح- كانك قلت: مررت برجلٍ صالح، وكذلك مررت بَرَجُلٍ رَجُلِ سَوْء كانك قلت: مررت برَجلٍ فاسد، لأن الصدقَ صلاحٌ والسَّوْءَ فسادٌ، وليس الصدقُ ههنا بصدق اللسان، ولو كان كذلك لم يَجُز لك ان تقول: هذا ثَوبُ صدقٍ، وحمارُ صدقٍ، وكذلك السَّوْءُ ليس في معنى سُوْءِ". (٢)

اثر المعنى في "التبويب"

لا نكاد نجد بابا بوب او قاعدة قُعِّدت إلا مراعاةً للمعنى الذي يتضمنه الاسم في التركيب النحوي.

كما ان المعنى هو الذي يَفْصِل بين هذه الأبواب، وهو الفيصل الذي تقوم عليه محترزات الأبواب النحوية بحيث تُحَدَّد الحدود التي يُمَيَّزُ بها الباب عن غيره، ويَمنعُ غيرَه من اجتياز هذه الحدود.

ففي باب من ابواب التمييز عنوانه (هذا باب ما يَنْتَصِب لأنه قبيحٌ أن

---

(١) الكتاب: ١٩٩/١ - ٢٠٠.

(٢) المصدر نفسه: ٤٣٠/١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يكون صفة) ، نرى أن من أسباب انتصاب خلّاً وسمناً على التمييز في نحو قولك: هذا راقودٌ خلّاً وعليه نِحْيٌ سمناً- كونها لا تاتي صفات، ويقبح أن تكون صفات ويُفَسِّرُ لنا سيبويه هذا بقوله: "وإنما فررتَ إلى النصب في هذا الباب، كما فررتَ إلى الرفع في قولك بصحيفةٍ طينٌ خاتَمها، لأنَّ الطينَ اسمٌ ليس مما يوصَفُ به، ولكنه جوهرٌ يُضاف إليه ما كان منه". (١) اي اننا لم نقل بصحيفةٍ طين خاتمها وإنما قطعناها على الابتداء، لأن الطينَ جوهرٌ لا يوصَف به، والصفةُ كما قال سيبويه حِلْيَةٌ يوصَف بها.

ومن اثر المعنى في التبويب ما جاء في: "هذا بابٌ من الجزاءِ يَنْجَزِمُ فيه الفعل إذا كان جوابا لأمرٍ أو نهيٍ أو استفهام أو تمنٍ أو عرضٍ، يقول فيه: "وإنّما انجزمَ هذا الجوابُ كما انجزمَ جوابُ إنْ تأتِني بإنْ تأتني لأنهم جعلوه معلّقاً بالأول غير مستغنٍ عنه إذا أرادوا الجزاء، كما أنَّ إنْ تأتِني، غيرُ مستغنيةٍ عن أتك". (٢)

ومن الأبواب التي تَشفُّ عن معناها: باب المفعول لأجله، يقول فيه: "هذا باب ما يَنْتَصِبُ من المصادر لأنه عذرٌ لوقوعِ الأمر" : فانتصب لأنه موقوعٌ له ولأنه تفسيرٌ لما قبله، لم كان ؟ وليس بصفةٍ لما قبله ولا منه فانتصب كما انتصب درهم في قولك: عشرون درهما". (٣)

ويتضح اثر المعنى في التبويب من خلال ما جاء في: "هذا باب ما يكون فيه المصدر توكيداً لنفسه نصباً"، يقول في هذه الجملة: (له عليَّ الفُ درهمٍ عُرْفاً) "وإنما صار توكيداً لِنفسهِ لأنّه حين قال: له عليَّ فقد أقرَّ واعترَف" لأن القرينةَ اللفظيّة التي سبقته تَتَضمَّن معنى الاعتراف، وهي (لَهُ عليَّ). (٤)

---

(١) الكتاب: ١١٧/٢ .

(٢) المصدر نفسه: ٩٣/٣ - ٩٤ .

(٣) المصدر نفسه: ٣٦٧/١ .

(٤) المصدر نفسه: ٣٨٠/١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قالوا في المعاني بانها الصور الحاصلة في الأذهان عن الأشياء الموجودة في الأعيان، وكل شيء له وجودٌ خارج الذهن تحصلُ له صورةٌ في الذهن إذا أُدْرِك، يقول السيوطي (١): "اختُلف هل الألفاظ موضوعة بإزاء الصور الذهنية، اي الصورة التي يصورها الواضع في ذهنه عند إرادة الوضع، او بإزاء الماهيّات الخارجية، ذهب الشيخ ابو إسحاق الشيرازي إلى الثاني، وهو المختار وذهب الإمام فخر الدين إلى الأول واستدلوا عليه بان اللفظ يَتَغَيَّرُ بحسب تَغَيُّرِ الصورة في الذهن، فإن رأى شبحاً بعيداً وظنَّه حجراً، أطلق عليه لفظة حجر، فإذا دنا منه وظنَّه شجراً أطلق عليه لفظ الشَجَر، فإذا دنا منه وظنه فرساً أطلق عليه اسم الفرس، فإذا تحقق انه إنسان أطلق عليه لفظ الإنسان، فبان بهذا أن إطلاق اللفظ دائرٌ مع المعاني الذهنية دون الخارجية فدلَّ على أن الوضع للمعنى الذهنيّ لا الخارجيّ" فاجاب صاحب التحصيل في هذا بانه إنما دار مع المعاني الذِهْنِيَّة لاعتقاده انها في الخارج كذلك، لا لِمُجَرَّد اختلافها في الذهن.

وهذه المعاني التي تواضَع عليها المجتمعُ إزاء الأشياء المادية، تكاد تكون ثابتةً ومتعارفاً عليها لدى جميع افراد المجتمع، ولا دخل للفرد في هذه المفردات والألفاظ إلا وضْعَها وجمْعَها واستعمالَها وليس له خيارٌ في هذا كله.

والذي يهمنا من هذه الألفاظ ما يدل منها على الأشياء المعنوية وكيف تشابَهت الصِيَغُ والمعاني، وهذا التشابُه في المعاني والصِيَغ ناتج عن تقارب معانيها، سواءٌ أكانَ هذا من ناحية والِعيّة أم من ناحية انعكاسه في التَصَوُّر الذِهْني، وما تُوحي به هذه المعاني، وما يترتَّب عليها من الأسباب، ولا يَعْني هذا أن العلاقة بين اللفظ ومدلوله علاقة قياسية طبيعية، لأنها لو كانت كذلك وهذا ما ذهب

---

(١) المزهر: ٤٣/١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إليه بَعْضُ العلماء لكانت جميعُ اللغات الإنسانية متشابهةً ولتكلَّمَ العالَمُ كلُّه لغةً واحدة". (١)
ولا يعني هذا انقطاع الصلة بين اللفظ وبين ما يدلُّ عليه في الواقع من الناحية الصوتية". (٢)

ولقد استطاع سيبويه أن يجعلَ من هذه المعاني -وهذه الانعكاسات ومردودِ هذه الانعكاسات في المجتمع من خلال ما يترتب عليها من النتائج- مجموعاتٍ متشابهة في الصِيَغ والمعاني، وتستطيع أن تَطَّلع على سعة إدراكه، ولفاذ بصيرته، من خلال هذه الأمثلة التي أوجد بينها علاقة وقرابة من خلال ما دلَّتْ عليه من المعاني، سواء أكان ذلك في أَصْلها من المصادر أم فيما اشْتُقَّ منها من الصِيَغ، ولم يَقْتَصِر على ما بين هذه الصيغ من العلاقة الذاتية، بل خرج بها من هذه العلاقة المجرَّدة الى العَلاقات السياقية التي تَحِفُّ بهذه المعاني من خلال السياق الذي تَرِدُ فيه.

وتتفاوت هذه المعاني قوةً وضعفاً، وتخرج من معنى الى معنى، وتخرج من مركزها إلى ما يُحيط بها من الظِلال.
وهنا بعض ما ورد من هذه المجموعات التي ذَكَرَها سيبويه في الكتاب الى جانب ما ذكرتُه في هذا البحث مما يتعلق بالسياق الاجتماعي قال في مصدر الفعل المتعدّي فَعْل (وما خرج عن هذا الوزن جعل له سببا هو مشابهة غيره من الأفعال في المعنى فَحُمِلَ مصدرُه على مصدرها)، "وقد جاء المصدر ايضا على فَعِل، وذلك على خَلَقَه يَخْلُقُه خَلِقاً، كَذَبَ يَكْذِبَ كَذِباً، وسَرَقَه يَسْرُقه سَرِقاً، وقالوا عَمِلَه يَعْمَلُه عَمَلاً، وجاء على فَعَل كما جاء السَّرَقُ والطَّلَب، ومع ذا أنَّ بناء فِعْله كبناء فعل الفَزَع ونحوه فَشُبِّه به". (٣)

---

(١) المزهر: ٤٣/١ .
(٢) انظر ما قاله ابن جني في باب تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال فيما تشابه من المعاني "واما السَّكات فهو داءٌ كما قالوا العطاس، فهذه الاشياءُ لا تكون حتى تريدَ الدّاء جُعِل كالنُّخاز والسُّهام وهما داءان واشباههما"..وقال: "واما الوكالة والوصاية والجراية ونحوهنَّ فإنما شُبِّهن بالولاية لأن معناهن القيام بالشيء..وقالوا النجارة والخياطة والقصابة وإنما ارادوا ان يُخبِروا بالصنعة التي يليها.

وقالوا في اشياء قَرُبَ بعضها من بعض فجاؤا بها على فعالٍ وذلك نحو الصِّرّاف في الشاء لأنَّه هِياجٌ فَشُبِّه كما شُبِّه ما ذكرنا بالولاية، لأنَّ هذا الاصل كما ان ذاك هو الاصلُ. (١)

"ومثله الهِياب والقِراع لأنه يهيج فيذكر" وقال: "ومما تقاربت معانيه فجاءوا به على مثال واحد نحو الفِرار والشِّراد والشِّماس والنِّفار والطِّماح، وهذا كله مباعَدةٌ والضِّراح إذا رَمَحَت برجلها رَمَحَت ومَرَحَت فقالوا: الضِّراح شبهوه بذلك، وقالوا الشِّباب شبهوه بالشِّماس. (٢)

وقالوا النفورُ والشموس والشبوب والشَّبيب من شبَّ الفرسُ وقالوا: الخِراط وكما قالوا: الشِّراد والشِّماس، وقالوا: الخِلاء والحِران، والخِلاء مصدر من خَلَأَتِ الناقةُ اي حَرِنَت وقد قالوا خلأَ لأن هذا فَرَق وتباعُد، وقال: "والعرب مما يبنون الاشياء إذا تقاربت على بناء واحد ومن كلامهم أن يُدخلوا في تلك الاشياء غير ذلك البناء، وذلك نحو النُّفور والشُّبوب والشَّب".

ومن المعاني المتشابهة ايضا ما دل على الفُضَالة، قُلامه، قُواره، قُراضه. ومنها النَّزَوان والنَّقَزان، وإنما هذه الاشياء في زعزعة البدن واهتزازه في ارتفاع، ومثله العَسَلان والزَّتَكان، ومثله الغَلَيان لأنه زعزعةٌ وتحرُّك ومثله الغَثَيان لأنه تَجَيُّشٌ في النفس.

---

(١) الكتاب: ٤/١٠ - ١١.

(٢) المصدر نفسه: ٤/١٢، الشماس: النفور والجموح للدابة والعناد للرجل: لسان العرب، مادة شمس.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد جاءوا بالفَعَلان في اشياء تقاربت وذلك الطَوَفان والدَوَران والجَوَلان شبهوا هذا حيث كان تَقَلُّبا وتَمَرُّغا بالغَلَيان والغَثَيان، لأن الغَلَيان تَقَلُّبُ ما في القدر وتَمَرُّغه، وهناك الكثير من الأمثلة مما تشابهت معانيه وصيغه. (١)

ومن المعاني السياقية للصيغ، ما جاء في باب دخول الزيادة في فعلت للمعاني- وذلك في الصِيَغ التي تدلُّ على المشاركة، يبين لنا ذلك من خلال السياق وكيف تخرج عن معناها بقوله: "واعلم انك إذا قلت فاعلته، فقد كان من غيرك إليك مثل ما كان منك إليه حين قلت فاعلتُه ومثل ذلك كارمتُه.
وقد تجيء فاعلتُ لا تريد بها عَمَلَ اثنين، ولكنهم بَنَوْا عليه الفعلَ كما بَنَوْه على الفعلتُ وذلك قولهم ناوَلْتُه وعافيْتُه وعافاه الله".

"وأما تفاعلتُ فلا يكون إلا وانت تريد فِعْل اثنين فصاعدا ولا يجوز أن يكون مُعْمَلاً في مفعولٍ، ولا يتعدى الفعلُ إلى منصوب".
وقد تجيء تفاعلت على غير هذا كما جاء عاقبته ونحوها لا تريد بها الفعل من اثنين وذلك قولك تمارَيْتُ في ذلك وتراءَيْتُ له وتقاضَيْتُه وتعاطيْتُ منه أمرا قبيحا.
وقد تجيء تفاعلت لِيُريك انه في حال ليس منها، من ذلك تغافلتُ وتعاميْتُ وتعاشَيْتُ وتجاهَلْتُ أي تظاهرَ مما هو ليس فيه" (٢)
ومن معاني الزيادة في الأفعال ما جاء في صيغتيْ استفعلَ وتَفَعْلَ يقول فيها "استجدتُه أي أصبتُه جيدا واستكرمتُه أي أصبته كريما.
وتجيء على معنى فعل دون الزيادة تقول استلأم، واستَخْلَف لأهله كما تقول اخلف لأهله. وتاتي على معنى الطلب، استَعْطَيْتُ أي طلبتُ العَطِيَّة، استَعْتَبْتُه أي طلبتُ إليه العُتْبَى، ومنه استخرجته - دوام الطلب حتى يحصل - أي لم ازل اطلبُ إليه حتى خرج.

---

(١) الكتاب، ٤/١٢ - ١٥.
(٢) المصدر نفسه: ٤/٦٨ - ٦٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن معانيها استخفه اي طلب خفته واستَعْجَلْتُ ومرَّ مُسْتَعجِلاً اي مرَّ طالبا ذاك في نَفْسِه متكلِّفا إياه .
ويأتي معناها التحول من حال الى حال ، اسْتَنْوَق الجملُ واسْتَتْيَسَت الشاة .

وتجيء على معنى أنْ يدخل المرء نفسه في امر حتى يضاف اليه ويكون من اهله ، تقول : تفعَّل وتجلَّد وتشجَّع .
وقد تجيء على معنى التثبت والاستقرار ، وذلك تيقنت واستيقنت وتبيَّنت واستَبْيَنت وتثبَّت واستَثْبَت" . (١)

ومن معاني الزيادة في الصيغ ، الصيغُ التي تدل على التَدَرُّج والأناة في الفعل وهي يَتَفَعَّل نحو يَتَحَفَّظ يَتَبَصَّرُ ، وهذه الأشياء نحو يتجرَّع ويتفوق لأنها في مهلة . (٢)
من خلال ما مضى يرى الدارسُ إذا قرأ الكتاب غيرَ مرة أنَّه يَقِفُ على معاني هذه الصيغ من خلال ما تُوحي بها من معانٍ دون ان تَمُرَّ عليه من خلال تصوير هذه المعاني لهذه الصِيَغ في الكتاب .

ومن المعاني المُتَرتِّبة على الصيغ الفرق بين صيغتي اسم المكان والزمان وبين المصدر الميمي من الفعل الثلاثي ، فصيغةُ اسم المكان والزمان تاتي على مَفْعِل والمصدر الميمي على مَفْعَل ، ومنه ما جاء في قوله تعالى : "أيْنَ المَفَرّ" (٣) والمقصود اين الفرار فإذا اراد المكان قال المِفَرّ .

---

(١) انظر الكتاب : ٤/٧٠ - ٧١ .
(٢) المصدر نفسه : ٤/٧٣ .
(٣) الآية عشرة من سورة القيامة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد يجيء المصدر على المفْعِل كقوله تعالى: "ثم إلى ربِّكم مَرْجِعكم"(١) أي رجوعكم.
والمَسْجِد: اسم للبيت ولستَ تريد به موضع السجود وموضع جَبْهتك ولو اردت ذلك لقلت مَسْجَد.
ونظير ذلك المُكْحَلة والمحلَب والمِيسَم، لم يُرد موضع الفعل ولكنّه اسم لوعاء الكُحل ....وكذلك المَقْبُرة والمَشْرُفة إنما اراد اسم المكان ولو اراد موضع الفعل لقال مَقْبَرٌ.
وكذلك الفرق بين اسم الآلة والمصدر في مثل: المِقَصّ: فالذي يُقَصُّ به، والمَقَصّ: المكان والمصدر. (٢)

وفي الكتاب كثير من هذه الفروق، كما انه فضل بعضها على بعض فيما تشابه من هذه الصيغ حملا على المعنى: يستوي المصدرُ واسمُ المكان واسمُ المفعول في صيغة ما فوق الثلاثي، ولكنَّ سيبويه يَجْعلُ اسمَ المفعول أَوْلى بهذه الصيغة حيث يقول: "فالمكانُ والمصدرُ يُبْنى من جميع هذا بناءَ المفعول، وكان بناءُ المفعول اولى به لأن المصدرَ مفعولٌ والمكانَ مفعولٌ فيه، فيضمون اوّلَه كما يضمون المفعول لأنه قد خرج من بنات الثلاثة فَيُفْعَل باوله ما يُفْعَل باول مفعوله". (٣)

ويَجْدرُ بنا الاشارة إلى ما جاءَ في التصغير من المعاني ودقّتها، كما جاء في تصغير مِثْل، واما قول العرب هو مُكَيْل هذا وأُمَيْثَال هذا فإنما أرادوا ان يُخْبِروا ان المشبَّه حقير كما ان المشبَّه به حقير.

وهكذا نجد ان السياق له دور اساسي في بناء الوحدة الصغرى من الكلام بما يتناسب والسياق الذي تَرِدُ فيه.

---

(١) من الآية ٦٤ من سورة الأنعام، من الآية ٧ من سورة الزمر.
(٢) انظر الكتاب: ٤/٨٨ - ٩١.
(٣) انظر المصدر نفسه، ٤/٩٤ - ٩٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السياق الاجتماعي

إذا ما نظرنا نظرة اجتماعية للغة من خلال التحليل النحْويّ في كتاب سيبويه ،نجد أنّ هذه الظروف تتَدخّل في كل عنصر من عناصر اللغة، الصوتيّة والتركيبيّة والدلاليّة، وتؤدي دورا بارزاً في بناء اللغة لأن اللُّغة تتَكيَّف حسبما تقتضيه الظروف المحيطة بها.

فإذا بدأنا من المادة الأولية أو المادة الخام المتمثلة في المقاطع الصوتية ،التي تتكون منها الكلمات ،التي تعتبر اللبنات الأساسية في بناء الصرح اللغوي، نجد أن المجتمع يَبْنِي هذه الكلمات من الأصوات بما يتناسب وجهاز النطق الإنساني، وقدرة الإنسان على النطق بها، وما الإعرابُ بالحركات المقدَّرة على الألف والياء في آخر الكلمة، وعدمُ اجتماع حرف مجهور إلى جانب حرف مهموس في مقطع صوتي واحد ،أو ما يسمى بخاصية التجاور (١)، وما شابهها من القواعد الصرفية والنحوية إلا تَكْيِيف للفظ مع جهاز النطق.

ليس هذا فحسب بل يلاحَظُ وَقْعُ هذه الكلمات في النفس البشرية، وما تَقْبلُه وما ترفُضُه او تَمَجُّ سماعه، إذ يقول ابن جني: "اعلم أن واضع اللغة لما أراد صوْغَها وترتيبَ أحوالها هَجَمَ بفكره على جميعها ورأى بعين تَصوُّره وجوهَ جُمَلها وتفاصيلها، وعلم انه لابد من رفض ما شَنُع تآلفه منها نحو: هع و قح وكق فنفاه عن نفسه ولم يُمْرِره بشيء من لفظه، وعلم ايضا أن ما طال وأملَّ بكثرة حروفه لا يمكن فيه من التصرُّف ما أمكن في أعدلَ الأصوات وأخفِّها وهو الثلاثي". (٢)

أما من الناحية الدلالية فنستطيع ملاحظة هذا التاثير من خلال ما تواضع عليه المجتمع من الدلالات المركزية للألفاظ، وكيف جعلها كأُسَرٍ ومجموعات متشابهة الصيغ والمعاني، إلى جانب محاكاة الأصوات لأفعالها في الواقع،وتسمية الأشياء بما يميزها عن غيرها،

---

(١) خاصية التجاور: في علاقة الحرف بما قبله وما بعده.

(٢) الخصائص: ٦٤/١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقول ابن جني: "ألا تراهم قالوا: قَضِم في اليابس و خَضِم في الرطب، وذلك لقوة القاف وضَعْف الخاء، فجعلوا الصوت الأقوى لِلفعل الأقوى والصوتَ الأضْعَف للفعل الأضْعَف.

وكذلك قالوا: صرَّ الجندب صريرا، فكرروا الراء لما هناك من استطالة صوته، وقالوا مرمر البازي مرمرة فقطّعوه لما هناك من تقطيع صوته، وسموا الغراب غَاق لحكاية صوته والبطّ بطّاً حكاية لأصواتها.

وقالوا: قطّ الشيء إذا قَطَعه عرضا، وقدَّه إذا قطعه طولا، وذلك لأن مُنْقَطِع الطاء أقصرُ مدة من مُنْقَطع الدال.

وكذلك قالوا مدَّ الحبل، ومتَّ إليه بقرابة، فجعلوا الدال -لأنها مجهورة- لما فيه علاج، وجعلوا التاء -لأنها مهموسة- لما لا علاج فيه. (١)

أما من الناحية التركيبية فتستطيع أن تتبين دور المجتمع وأنت تقف أمام هذا البناء اللغوي المتكامل مشدوها تتساءل: كيف تَمَّ بناؤه على هذه الكيفية من النظام المُعْجِب في الدقّة والإحكام والتركيب، حيث تلاحِظُ أن هذا النظامَ قد بلغَ غايتَه فلم يستطع أحدٌ أن يُضيف إليه شيئا أو يُنقصَ منه شيئا.

كما يلاحَظ هذا الدور من خلال ما قاله الخليل بن أحمد عندما سئل عن بنائه لهذا النظام وتقعيده لهذه القواعد النحوية (٢)، وكيف وصل إلى هذا التصوُّرِ الدقيق في بناء الهيْكَل النحوي المجرّد المتمثل فيما قعد من قواعد، مع أن هذه القواعد ما هي إلا الجزء اليسير الذي يَسيرُ عليه أبناء اللغة، وإلا فماذا نُسمّي جوازَ أكثر من وجه إعرابي، وماذا نسمي ما خرج عن الأصل من جريان الفعل على غير ما هو له)ومن خروج الكلام عن أسلوبه الظاهر إلى أسلوب آخر، كخروج الاستفهام إلى أساليب وأغراض أخرى ؟ وماذا نُسمّي حذفَ وإضمارَ الأركانِ الأساسيةِ كالمبتدأ والخبر والفعل والفاعل ؟ وماذا نُسمّي

---

(١) الخصائص: ٦٥/١ - ٦٦ .

(٢) انظر ص ٣٠ - ٣١ من هذا البحث .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خروجَ هذه الأركان عن مواضعها من التقديم والتاخير؟ وما إلى ذلك من خَرْقٍ للقواعد الأساسية في هيْكلها المجرّد عن السياق.
نعم إن لِكُلِّ قاعدةٍ شَواذَّ، ولكن الذي نراه أنَّ الشذوذ هو في القواعد الأصلية، وما شَذَّ عن هذا النظام هو النظامُ النحوي، لأنه لكثرته في كل الأبواب النحوية يُعَدُّ كالأصل المُتَواتِر.
ولا أعتبر ما خرج وما شذَّ عن هذه القواعد شذوذا إنما هو تَطوّرٌ، لأن اللغة من صنع المجتمع، والمجتمعُ لا يَثْبُت على حال، واللغةُ مواكبةٌ لمجتمعها وتدور بدورانه.
ونستطيع أن نلاحظ درجة هذا التطوّر الذي بلغ غايته من خلال ما قُعِّد من قواعد وما خرج عنها في الاستعمال.
فمن التطوّرُ في اللغة نَجِد أنَّ اللغة العربية هجرت كثيرا من ألفاظ مُعْجَمِها في مجتمعها الصانع لها في بيئته الأصلية، لأن المجتمع لم يَعُد بحاجة إليها، في الوقت الذي تفتقر فيه إلى كثير من المفردات التي أصبح المجتمع بحاجة إليها، ولم يكن هذا من عَجْزٍ في اللغة بل بسبب تَعَصُّبٍ أو تَحَرُّج البعض من ادخال هذه الألفاظ وخاصة ألفاظ المخترعات الحديثة، وكأنَّه حريصٌ على أن يشارك ولو بالاسم في هذه المخترعات، وهذه الأجهزة، وهذه الأدوية ....إلخ، ولو لاحظ ما في القرآن الكريم من ألفاظ أعجمية للأشياء التي صُنِعت في بلاد غير عربية، لما مَنَع نَقْلَ هذه المسميات إلى العربية.

ولم يكتفِ سيبويه بدور المجتمع الفعال في بناء اللغة وفي وضع القواعد، وتدخله في كل عنصر من عناصر الكلام، بل استعان في تحليله النحوي بكل ما يدور في المجتمع من الظواهر الاجتماعية بما في ذلك السلوكُ الفَرْدِيّ في بعض المرات، فتشعر وأنتَ تدرسُ اللغة ونظامَها النحوي أنَّك تقفُ أمام مجتمع من اللغة يَنْعَكس فيه ما يدورُ في المجتمع الإنساني من الظواهر والسلوك، فَنَجِده جعل الصلات التي بين الأفراد بين المفردات، حيث جعلَ بينها صلةَ نَسَبٍ وصداقةٍ وصِلَةَ جوار وصِلَةَ تلازُم، وجعل لكل هذه الصلات حرمةً واعتباراتٍ تراعى في التحليل النحوي، وجعل لها نظاما من التعامل فرضَتْهُ هذه الصلات كما ستراه إن شاء الله، وجعل تخصُّصا في العمل والتعامل، كما جعل بينها

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تَلازُماً وتبادُلاً وتبديلاً، وعِوَضاً وعُمَداً وغَيْرَ عُمَد، وجعل لها ميدان سبق فالعملُ لما يسبق منها مثل اجتماع إذن والقسم.
كما جعل لها مراتبَ في العمل تتفاوتُ قوةً وضعفاً وجعل منها اصولا وفروعا.
كما ربط بين التركيب في اللغة وبين الواقع والمعقول عن طريق الظروف العامة، والظروف الكونية، كما يرتبط الإنسان بهذه الظروف ويُكيِّف نفسه بما يتناسب معها، بالتزامه بما تقتضيه الظروف والعادات، وما هو معقول وما هو غيرُ معقولٍ من خلال ما يَتَقَبَّلُه المجتمع او يرفضه.
ونلاحظ ان للظروف الاجتماعية دوراً بارزا في التركيب النحوي وكانها رُكْنٌ من اركان اللغة الأساسية، فكثيرا ما يَحِلُّ عنصرٌ اجتماعي او عنصر طبيعي محل ركنٍ من أركان اللغة الأساسية في التركيب.
وكثيرا ما يخرجُ الكلامُ عن مدلوله نظرا للظروف الاجتماعية والبيئية، من هذه الظروف التفاوتُ في الطبقات والتقاليد والعادات والعقائد، وكل ما يدور في المجتمع من عادات لها دور لا يمكن ان يُتَجاهل في دراسة النحو، وإليك هذه الأدوار من خلال ما جاء في الكتاب.

استلامة الكلام من خلال مطابقته للواقع واستحالته من عدم مطابقته

تكون هذه المطابقة من خلال علاقة الإنسان بالمعطيات الخارجية، ومدى مطابقة هذه العلاقة للمنطق والمعقول المتعارف عليه من الجميع، ولم يقتصر سيبويه في التحليل النحوي في كتابه على التحليل الذاتي للغة من خلال ما وضعه النحويون لها من القواعد المستنبطة مما وصل إليهم من المصادرِ الأساسيَّة التي اعتمدوها في تقعيد هذه القواعد، بل اعتبر كلَّ ما له علاقة باللغة عنصراً هاما في بنائها، ولم يَكُن دورُ المعطيات الخارجيّة والظروف العامة اقل من غيرها من العناصر، فنراه يُقَسِّم الكلام من خلال موافقته للواقع

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخارجي ومفارقته له إلى خمسة اقسام بقوله (١): "فاما المستقيمُ الحسنُ فقولُك اتيتُك امسِ وساتيك غدا.

واما المحالُ فان تنقضَ اوّلَ كلامِك باخره فتقولَ اتيتك غدا وساتيك امس [فالتناقض الكلام من حيث انه لا يمكنُ ان يكونَ منك إتيانٌ ولم تَسْبِق الزمن كذلك].

واما المستقيم الكذب فقولك حملتُ الجبلَ وشربتُ ماءَ البحر [لانه استقام من الناحية النحوية ولم يستقم في الواقع].

واما المستقيم القبيح فان تضعَ اللفظَ في غير موضعه نحو قولك: قد زيداً رايتُ وكي زيداً ياتيك.

واما المحالُ الكذبُ فان تقولَ سوفَ اشربُ ماءَ البحر امسِ [من مفارقته للواقع من ناحية ومن ناحية اخرى إستحالة حدوثه في الزمن الماضي وتناقضه الداخلي بجمع المستقبل والماضي في آن معا]. (٢) فاذا نظرنا إلى ما قاله نظرة داخلية بحتة نجد انها بلغت المستوى الصوابي ولكن إذا سمعنا احداً يتكلم بها انكرناه.

ومن الاستقامة والاستحالة في الكلام نظرا لما تقتضيه المعطيات الخارجية ما جاء في باب البدل: "وذلك قولك مررت برجلٍ حمارٍ، فهو على وجه محالٌ وعلى وجهٍ حَسَنٌ فاما المحالُ فان تعني ان الرجلَ حمارٌ، واما الذي يحسنُ فهو ان تقولَ مررت برجلٍ ثم تُبْدِل الحمارَ مكانَ الرجلِ فتقولَ: حمارٍ، إما أن تكون غلطت او نسيت فاستدركت، وإما ان يَبْدُوَ لك ان تُضْرِب عن مرورك بالرجل وتجعلَ مكانه مرورَك بالحمار بعد ما كنت اردتَ غيرَ ذلك". (٣)

---

(١) الكتاب: ١٥/١ .

(٢) المصدر نفسه: ٢٥/١ - ٢٦ .

(٣) المصدر نفسه: ٤٣٩/١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ما جرى على غير الأصل من التوسع في الاستعمال لما تقتضيه الظروف العامة

ويبين لنا سيبويه السبب في كل هذا الاتّساع والخروج عن القاعدة في الدلالة على المعنى، وجريان الفعل على غير ما هو له من خلال البيئة العامة، بما في ذلك المجتمع، حيث أن عِلْمَ الجميع بما يجري في هذه الظروف من أحداث، ومَعْرِفتهم القَصْدَ من الكلام والمعنى الذي يريده المتكلم كان مسوِّغاً لكل هذا الخروج وهذا الاتّساع.

من هذا الخروج استعمالُ الفعلِ في اللفظ لا في المعنى في هذه الجملة الاستفهامية: "كم صِيد عليه ؟ وكم غيرُ ظَرْف لما ذكرت لك من الاتّساع والإيجاز فتقول: صِيد عليه يومان، وإنما المعنى صيد عليه الوحشُ في يومين ولكنه اتّسع واختصر، ولذلك أيضا وضَعَ السائلُ كَمْ غير ظرف.
ومن ذلك أن تقولَ كَمْ وُلِدَ له ؟ فيقول ستّون عاما، فالمعنى: وُلِد لِه الأولادُ، ووُلِد له الولدُ ستين عاما، ولكنّه اتّسع وأوْجز". (١)

وإذا أردنا محاكمة النص من ناحية لغوية نجده بلغ المستوى الصوابي، ولكن من ناحية المعنى ومطابقته للواقع نجده غير معقول، فمن الناحية اللغوية يطابِقُ قولَنا صِيد عليه غزالان، وإن العلاقة بين (يومان) و (صِيد) في علاقة النائِب عن الفاعل بفعله المبْنِيِّ المجهول، وذلك شان قولنا ستون عاما، ولكن الأيّام والأعوام في الواقع لا تُصَاد ولا تولد وإنما يُصاد فيها ويُولد فيها. (٢)

---

(١) الكتاب: ٢١٦/١ .

(٢) انظر الوجهة الاجتماعية في منهج سيبويه: ص ١٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما خرّج الفعل في استعماله إلى غير ما هو له في "باب الفعل الذي يتعداه فعله الى مفعولين في اللفظ لا في المعنى" وذلك قولك يا سارقَ الليْلَةَ اهلَ الدار، وتقول على هذا الحدِّ سَرَقْتُ الليْلَة اهل الدار، فتُجري الليلةَ على الفعل في سَعَة الكلام، كما قيل صِيد عليه يومان وَوُلِد له ستون عاما". (١)

فحَمَله من ناحية التركيب على هذا مُعْطِي زيدٍ درهماً من ناحية المعنى لما تَقْتَضِيه الظروف الخارجية بقوله: "إنما هو في الليلة وصِيد عليه في اليومين غير انهم أوْقعوا الفعل عليه لِسَعة الكلام".

ومثلُ ما أُجْرِي من هذه الأفعال على سَعة الكلام والاستخفاف قوله عزّ وجلّ: "بَلْ مَكْرُ الليلِ والنّهار" (٢) فالليل والنهار لا يَمْكُرانِ ولكنَّ المكرَ فيهما". (٣)

ومن دقة الملاحظة في هذا التَوَسُّع ما نلاحظه في محاكمته لهذا التوسّع من خلال ما يَعْنيهِ المخاطب في مثل: "سيرَ عليه اليومُ بالرفع وهو يعني بعضَ اليومِ كما تقول في سَعة الكلام الليلةُ الهلالُ، وإنما الهلالُ في بعض الليلة وإنّما اراد الليلةُ ليلةُ الهلال ولكنه اتّسع واوجز، اما إذا اراد اليومَ كلَّه والدهرَ كلَّه فَيُنْصَبُ على الظرفية. كذلك في مثل: "سير عليه الليلَ والنهارَ والدهرَ والأبدَ وجعله مما لا يكون العمل فيه من الظروف إلا متّصلا في الظرف كلِّه". (٤)

ومن ملاحظاته الدقيقة ما جاء من الفرق في أسماء الاستفهام التي يستفهم بها عن الظروف بين أن تكون ظرفا وان تكون غير ظرف وذلك ما جاء في الاستفهامِ ب: كم، حيث يقول: "إذا قيل كَمْ سير عليه؟ إذا جعله ظرفاً فتقول مجيباً: الليلَ والنهارَ والدهرَ والأبدَ

---

(١) الكتاب: ١٧٥/١ - ١٧٦.

(٢) الآية ٣٣ من سورة سبا.

(٣) الكتاب: ١٧٦/١، وانظر تفسير البحر المحيط: ٢٨٣/٧.

(٤) انظر المصدر نفسه: ٢١٦/١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالنصب على الظرفية على معنى في الليل والنهار والدهر والأبد، والمقصود سير عليه اللّيْلَ كلّه والدهْرَ كلّه.

ولكن إذا أردْت في كم عدّةَ الأيام والليالي تجريها على جواب ما هو العدد فترفعَ هذه الظروف كأنه قال سيرَ عليه عدّةَ الأيام أو عدةَ الليالي". (١)

وأما متى فإنه يحدّدُ نصبَ المستَفْهَمِ عنه بها على الظرفية حيث يقول: "وأما متى فإنما يريد بها أن يُوَقّت لك وقتا ولا تريد بها عددا، فإنما الجواب فيه: اليومَ أو يومَ كذا أو شهرَ كذا أو سنةَ كذا أو الآن أو حينئذ وأشباه هذا". (٢)
ويبين لنا الفرق بين كم ومتى بقوله: "وبعض ما يكونُ في كَمْ لا يكونُ في متى نحو الليلَ والنهارَ والدهرَ لأنّ كَمْ هو الأوّلُ فَجُعِل الآخِرُ تَبَعاً له، ولا يكون الدّهرُ والليلَ والنهارُ إلا على العدّة جواباً لِكَمْ". (٣)

ومما جرى عليه الفعل في اللفظ لا في المعنى من قبيل التوسع قولك: ذهبْتُ الشتاءَ وانْطَلَقْتُ الصيفَ، أجروه على جواب متى لأنه أراد أن يقول في ذلك الوقت. (٤)

ومن باب الاتساع والاختصار في الأمكنة والأزمنة وجريان الفعل على غير ما هو له قولهم: "بنو فلان يطؤهم الطريقُ، يريد يطؤهم أهلُ الطريق، وقالوا صدنا قَنوينْ وإنما يريد صدنا بقنوين أو صدنا وحش قنوين وإنما قنوان اسم أرض.

---

(١) الكتاب: ٢١٦/١ - ٢١٧ .
(٢) المصدر نفسه: ٢١٧/١ .
(٣) المصدر نفسه: ٢١٨/١ .
(٤) المصدر نفسه: ٢١٩/١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تَلازُما وتبادُلاً وتبديلاً، وعِوَضا وعُمَداً وغَيْرَ عُمَد، وجعل لها ميدان سبق فالعملُ لما يسبق منها مثل اجتماع إذن والقسم.
كما جعل لها مراتِبَ في العمل تتفاوتُ قوةً وضعفاً وجعل منها أصولا وفروعا.
كما ربط بين التركيب في اللغة وبين الواقع والمعقول عن طريق الظروف العامة، والظروف الكونية، كما يرتبط الإنسان بهذه الظروف ويُكيِّف نفسه بما يتناسب معها، بالتزامه بما تقتضيه الظروف والعادات، وما هو معقول وما هو غيرُ معقولٍ من خلال ما يَتَقَبَّلُه المجتمع أو يرفضه.
ونلاحظ أن للظروف الاجتماعية دوراً بارزا في التركيب النحوي وكانها رُكْنٌ من اركان اللغة الأساسية، فكثيرا ما يَحِلُّ عنصرٌ اجتماعي او عنصر طبيعي محل ركنٍ من اركان اللغة الأساسية في التركيب.
وكثيرا ما يخرجُ الكلامُ عن مدلوله نظرا للظروف الاجتماعية والبيئية، من هذه الظروف التفاوتُ في الطبقات والتقاليد والعادات والعقائد، وكل ما يدور في المجتمع من عادات لها دور لا يمكن أن يُتَجاهل في دراسة النحو، وإليك هذه الأدوار من خلال ما جاء في الكتاب.

استقامة الكلام من خلال مطابقته للواقع واستحالته من عدم مطابقته

تكون هذه المطابقة من خلال علاقة الإنسان بالمعطيات الخارجية، ومدى مطابقة هذه العلاقة للمنطق والمعقول المتعارف عليه من الجميع، ولم يقتصر سيبويه في التحليل النحوي في كتابه على التحليل الذاتي للغة من خلال ما وضعه النحويون لها من القواعد المستنبطة مما وصل إليهم من المصادر الأساسيَّة التي اعتمدوها في تقعيد هذه القواعد، بل اعتبر كلَّ ما له علاقة باللغة عنصراً هاما في بنائها، ولم يَكُن دورُ المعطيات الخارجيّة والظروف العامة اقل من غيرها من العناصر، فنراه يُقَسِّم الكلام من خلال موافقته للواقع

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عليه ؟ فيقول مقدم الحاج، وخفوق النجم، وخلافة فلان، وصادةَ العصر، فإنما هو زَمَنَ مَقْدمِ الحَاجّ وحينَ خفُوق النجم". (١)

ومما حذف للعلم وكثرة الاستعمال: قوله: "إذا كان غدٌ فأْتِني، وإذا كان يومُ الجمعة فالْقَني، فالفعل لغدٍ واليومِ، كقولك: إذا جاء غدٌ فأتني" كما أنهم حذفوا من هذا القبيل في قولهم: "حينئذ الآن، وإنما يريد حينئذ واسمع إلي الآن". (٢)

ومن جواز الخروج لما يقتضيه الواقع مناداة المعرف بأل: فلا يجوز مناداته ب (يا) وأي مباشرة إلا في كلمة واحدة هي لفظ الجلالة "الله" سبحانه وتعالى لأن اللام لا تفارقها أبدا، يقولُ سيبويه: "واعلم أنه لا يجوز لك أن تنادي اسما فيه الألف واللام البتة إلا أنهم قالوا يا اللّٰه اغفر لنا، وذلك من قبل أنه اسم يلزمه الألفُ واللامُ لا يفارقانه وكَثُر في كلامهم فصار كأنّ الألفَ واللام فيه بمنزلة الألفِ واللامِ التي من نفس الحروف". (٣)

<u>التفاوت في طبقات المجتمع وما يترتب عليه من التجاوز في التركيب</u>

هذا التفاوت دخيل على اللغة العربية لأن اللغة العربية من خلال عقيدتها لا تفرق بين أبنائها، ولا فرق بين فرد وآخر إلا بالتقوى، لذا نجد أن سيبويه حدد لنا بعض الاستعمالات ومنها استعمال الفرد ضميرَ المتكلمين في التخاطب من الأعلى إلى الأدنى، وقد جاء هذا في القرآن كثيرا، فالله سبحانه وتعالى يخاطب عباده

---

(١) الكتاب: ٢٢٢/١ .

(٢) المصدر نفسه: ٢٢٤/١ .

(٣) المصدر نفسه: ١٩٥/٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بضمير المتكلمين، يقول سيبويه: "وليسَ كلُّ شيءٍ من الكلامِ يكونُ تعظيماً لله عزَّ وجلَّ يكونُ تعظيماً لغيره من المخلوقين،ولو قلتَ الحمدُ لزيدٍ تريدُ العظمةَ لم يَجُز"(١)، وقد أولى علمُ اللغة الحديث هذا التفاوت اهتماما كبيرا. (٢)

<u>السياق العام يكون عذرا في الخروج عن الأصل كما كان حكما في الوجود على الأصل</u>

ومنه خروجُ الأسماءِ عن أصلها في التعريف والتنكير، وكان العذرُ لها في هذا الخروج الحالَ التي هي عليها في المجتمع، وكان هذا الخروجُ مغتفراً ومقبولا لأمن اللَبْس من خلال وجودها في الواقع العام.

ويقول في اللهم (٣): وأما قوله عزَّ وجلَّ: "قل اللهم فاطرَ السموات والأرض" فعلى يا، فقد صرفوا هذا الاسم على وجوه لكثرته في كلامهم، ولأن له حالاً ليست لغيره. (٤)

---

(١) الكتاب: ٦٩/١ .

(٢) انظر: اللغة والمجتمع علي عبد الواحد وافي: ص ١١ ، ١٢ ، وانظر اللغة والمجتمع م. م. لويس ترجمة تمام حسان: ص ٣٦ ، وانظر اللغة في الفرد والمجتمع: أوتوجسبرسن ترجمة عبد الرحمن أيوب: ص ١٣٣ .

(٣) انظر تفسير البحر المحيط: ٤١٦/٢ ، يقول: اللهم هو الله إلا أنه مختص بالنداء فلا يستعمل في غيره، وهذه الميم لخفته عند البصريين عوض عن حرف النداء ولذلك لا تدخل عليه إلا في الضرورة.

(٤) قد جاء لفظ الجلالة في اللغة العبرية على هذه الصيغة صيغة التعظيم אלוהים الله او الرب، وهناك اسماء مفردة ايضا تاتي على صيغة المثنى نحو שמים فاشمايم السماء

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن هذا الخروج ما جاء في قوله: "هذا باب من المعرفة يكون فيه الاسم الخاصُّ شائعاً في الأُمَّة" يقول فيه "وليس واحدٌ منها أوْلى به من الآخر، ولا يُتَوَهَّم به واحدٌ دون آخر له اسمٌ غيرُه، نحو قولك للأسد: أبو الحارث وأسامة، وللثعلب: ثعالة وأبو الحُصَين وسَمْسَم، وللذئب: دالانُ و أبو جَعْدَة، وللضَّبُعِ: أمُّ عامر وحَضاجر وجَعار وجَيْأَل وأمُّ عنشل وقشام، ويقال للضَّبُعان: قُثَمُ، ومن ذلك قولهم للغراب ابن بَريح". (١)

ويبين لنا الفرق بين العلم واسم الجنس من خلال وجودهما في الواقع، وان العلم يعرف بعلامة يختص بها وهيئة يعرف بها ويتميز عن غيره، وإنما اسم الجنس يعرف من صفات وهيئات وميزات يختص بها جميع أفراد جنسه ويعرف بها الجنس من غيره بالتفريق بين جنس وجنس، لأننا لا نستطيع التمييز بين فرد وآخر، لأن هذه الأجناس لا تعيش معنا ولا تختلط بنا لنستطيع تمييزها من خلال علامات محددة لكل فرد منها، كما نستطيع تحديد أوصاف وهيئات بعض الحيوانات الأليفة، حيث إن بعض هذه الحيوانات الأليفة تسمى بأسماء تصبح بها أعلاما كالأعلام من الأشخاص والمدن والأماكن.

ويبين سيبويه هذه الحالات من خلال وجودها في الواقع بقوله: "فكل هذا يجري خبرُه مجرى خبر عبد الله، ومعناه إذا قلت هذا ابو الحارث او هذا ثُعالة أنّك تريد هذا الأسدُ وهذا الثعلبُ، وليس معناه كمعنى زيد، وإن كانا معرفةً، وكان خبرُهما نصباً من قبل انك إذا قلت: هذا زيدٌ...، قلت: هذا الرجل الذي من حِلْيَتِه ومن أمره كذا وكذا بعينه، فاختصَّ هذا المعنى باسم عَلَم يلزم هذا المعنى، وليُحذَفَ الكلام، وليُخرَجَ من الاسم الذي قد يكون نكرة، ويكون لغير شيء بعينه.

---

(١) الكتاب: ٩٣/٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويزيد كعادته في توضيح المسائل فيقول: "لانك إذا قلت هذا الرجل فقد يكون ان تَعْني كماله، ويكون ان تقول: هذا الرجل، وانت تريدُ كلَّ ذكر تكلّم ومشى على رجلين فهو رَجُل، فإذا اراد ان يُخلِص ذلك المعنى ويختصّه ليعرفَ من يُعني بعينه وامره قال: "زيدٌ ونحوه". (١)

بعد أن بين لنا الأصل في الأعلام وكيف صارت معارفَ، يبين لنا خروج اسماء الأجناس مع انها أعلام عن هذه المعارف حيث يقول: "وإذا قلت هذا ابو الحارث فانت تريد هذا الأسد، اي هذا الذي سمعت باسمه، او هذا الذي قد عرفت اشباهه ولا نريد أن نشير الى شيء قد عرفه بعينه قبل ذلك، كمعرفته زيداً، ولكنه اراد هذا الذي كلُّ واحد من أُمّته له هذا الاسم فاختُصَّ هذا المعنى باسم كما اختُصَّ الذي ذكرنا بزيد لأن الأسد يَتصرّف تَصرُّف الرجل ويكون نكرة فارادوا اسماءً لا تكون إلا معرفة وتلزم ذلك المعنى". (٢)

ويعرج على الناحية الاجتماعية في هذا التعليل بقوله: "وإنما منع الأسد وما اشبهه أن يكون له اسم معناه معنى زيد، أن الأسد وما اشبهها ليست باسماء ثابتة مقيمة مع الناس فيحتاجوا إلى أسماء يعرفون بها بعضا من بعض ولا تُحفَظ حُلاها كحفظ ما يثبت مع الناس ويقتنونه ويتَّخذونه، الا تراهم قد اختَصّوا الخيلَ والإبلَ والغنم والكلاب وما يثبت معهم واتخذوه باسماء كزيد وعمرو" (٣)، فنراه علل خروج هذه المعارف من خلال السياق الاجتماعي لأن اللغة ظاهرة اجتماعية ولا يمكن ان تكون بمعزل عن كل ما يحيط بها من الظواهر الاجتماعية لأنها بعض منها، يقول الدكتور نهاد الموسى تحت عنوان اللغة ظاهرة اجتماعية: " وأدرك سيبويه أن اللغة ظاهرة لازمة للاجتماع الإنساني وفي عنده إنما تعبر عن الأشياء حين تقع في مجال الخبرة الإنسانية، والتعبير اللغوي عن معطيات العالم

---

(١) الكتاب: ٢/٩٣ - ٩٤ .

(٢) المصدر نفسه: ٢/٩٤ .

(٣) المصدر نفسه: ٢/٩٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخارجي يكون عاما مشتركا او محددا مختصا وفقا لمدى العلاقة بين هذه المعطيات والحياة الاجتماعية". (١)

من خلال ما تقدم تبين لنا ان هذه المعارف اكتسبت التعريف العام وليس الخاص من خلال الفصل بين الجنس والجنس في البيئة الاجتماعية العامة والمعارف اكتسبت التعريف الخاص من خلال وجودها في بيئة خاصة ومعروفة.

ويُشَبِّه هذا التعريف (والمقصود به التعريف العام الذي يشمل كل واحد من جنس) ما جاء في المدح من انه يمدح كل واحد من هذا الجنس وكل واحد يستحق هذا المدح، وذلك قوله: "واعلم انه لا يجوز أن تقول: قومُك نِعْمَ صغارُهم وكبارُهم، إلا ان تقول: قومك نعمَ الصغارُ ونعمَ الكبارُ، وقومُك نعم القومُ، وذلك لأنك اردت أن تجعلَهم من جماعات ومن أُمَمٍ كلُّهم صالح، كما انك إذا قلت عبد الله نعم الرجلُ فإنما تريد ان تجعَله من امة كلهم صالحٌ ... ولم تُرد ان تعرِّف شيئا بعينه بالصلاح بَعد نِعْمَ" (١) أي انه يريد أن يمدح الجنس كله ويمدحه هو من خلال جنسه"

ويقولُ سيبويه في المدح عن طريق مدح الجنس: "ومثل ذلك قولُك: عبدَ الله فارِهُ العبد فارِهُ الدابَّة، فَالدابَّة لعبد الله ومن سببه، كما أن الرجل هو عبدُ الله حين قلت عبدُ الله نِعمَ الرجلُ، ولست تريد أن تُخْبِر عن عبد بعينه ولا عن دابة بعينها، وإنّما تريد ان تقولَ إن في مِلْك زيد العبدَ الفارهَ والدابّةَ الفارهةَ" (٣)، إذا لم ترد عبدا بعينه ولا دابة بعينها.

---

(١) انظر الوجهة الاجتماعية: ص ٣٠.

(٢) الكتاب: ١٧٧/٢، وانظر الأشموني: ٣٠/٣.

(٣) المصدر نفسه: ١٧٧/٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

انعكاس الصلات الخارجية على الصلات الداخلية في التركيب

نظرا للتّلاحم بين اللغة ومحيطها الخارجيّ فلا يمكن ان تقوم لها دراسة او تحليل بمعزل عن هذه الظروف وهذه المعطيات الخارجية، ولم يقتصر سيبويه في تحليله على مراعاة هذه الظروف وهذه المعطيات بل التمس صلات في التركيب النحوي من خلال الصلات القائمة بين افراد المجتمع اللغوي، كما أوجد قرابة بين عناصر اللغة مستمدة من القرابة الواقعية لأصحاب الكلام.

من هذه الصلات ما جاء في الكتاب قوله: "ما زيدٌ كريماً ولا عاقلاً ابوه، تجعلُه كانّه للأول بمنزلة كريم لأنه ملتَبِسٌ به، إذا قلت ابوه تجريه عليه كما أجريت عليه الكريمَ، لأنك لو قلت: ما زيد عاقلا ابوه نصبتَ وكان كلاما" (١)، فالأداة تعمل فيما كان من سبب ما دخلت عليه وعملت فيه وكانها دخلت عليه، وإذا انقطع السبب بين زيد وبين المعطوف عليه قطع الكلام وابتدئ كلام جديد في مثل قوله: "ما زيد ذاهباً ولا عاقلٌ عمرو، لأنك لو قلت ما زيدٌ عاقلا عمروٌ لم يكن كلاما، لأنه ليس من سببه، فترفَعُه على الابتداء والقطع من الأول كانك قلت: وما عاقلٌ عمرو، ولو جعلته من سببه لكان فيه إضمار كالهاء في الأب ونحوها" (٢) وكذلك إذا انقطع السبب في مثل قوله: "ونقول ما ابو زَيْنَبَ ذاهبا ولا مقيمةٌ امُّها ترفع لأنك لو قلت: ما ابو زينبَ مقيمةٌ امها لم يجز، لأنها ليست من سببه -وإنما في من سبب زينب- وإنما عَمِلت ما فيه لا في زينب". (٣)

وفي باب الاشتغال نجد أنَّ الفعلَ إذا انشغل بما هو من سبب الاسم المتقدم عليه كانه انشغل به او وقع عليه في مثل قوله: "زيد لقيت إخاه فهو كذلك وإن شئتَ نَصَبْتَ، لأنه إذا وقع على شيء من سببه

---

(١) الكتاب: ٦١/١ .

(٢) المصدر نفسه: ٦١/١ .

(٣) المصدر نفسه: ٦٣/١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فكانه قد وقع به، والدليلُ على ذلك أنَّ الرجلَ يقول أهنتَ زيداً بإهانَتِك اخاه وأكرمته بإكرامِك اخاه". (١)

ويرفع إذا كان الذي من سببه مرفوعا في مثل قوله: "أعبدُ الله ضربَ اخوه زيداً، لا يكون إلا الرفْع، لأن الذي من سبب عبد الله مرفوعٌ فاعِل، والذي ليس من سببه مفعولٌ (وهو زيد) فيرتفعُ إذا ارتفعَ الذي من سببه كما ينْتَصِبُ إذا انتصب، ويكون المضمرُ ما يَرْفَعُ كما اضمرت في الأول ما يَنْصِب" (٢) يقصد هنا الفعل المضمر.

ونجده يحدد العامل المضمر الذي يعمل الرفع بناء على ما عمل الرفع في الذي هو من سببه، ففي قول عدي بن زيد:

ارواحٌ مُوَدِّعٌ ام بكور انتَ فانظُر لأيِّ ذاكَ تَصِيرُ (٣)

يقول سيبويه في إعراب انت فانظر: "فإنه على أن يكون في الذي يَرْفَعُ على حالة المنصوب في النصب"، يعني أن الذي من سببه مرفوع فترفَعَهُ بفعلٍ هذا يفسِّره كما أن المنصوب ما هو من سببه ينتصب، فيكون ما سقط على سببيه تفسيرُه في الذي يُنْصَبُ على انه شيء هذا تفسيره، يقول: "ترفع (أنت) على فعل مضمر لأن الذي من سببه مرفوع، وهو الاسم المضمر الذي في انظر" (٤) فنجد انه جعل ارتباط كلمة باخرى مهما كانت العلاقة بينهما كالسبب والقرابة.

ومما يجري على الاسم ما جرى على ما هو من سببه او التبس به او لشيء من سببه، ما جاء في باب النعت من انّه يجوزُ في النعت ان يجريَ على الموصوف ما جرى على شيء من سببه، وكان الصلة تمتد إلى ابعد من السبب في القرابة والعلاقة إلى علاقة ما هو من سببه او إلى العلاقة التي تقوم بين ما يرتبط منه بسبب وبين غيره حيث يقول:

---

(١) الكتاب: ٨٣/١ .
(٢) المصدر نفسه: ١٠٢/١ - ١٠٣ .
(٣) المصدر نفسه: ١٤٠/١ .
(٤) المصدر نفسه: ١٤١/١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"مررت برجل ضاربٍ ابوه رجلا" (١)، ومما جرى على الاسم ما جرى على سببه من الصفات غير العاملة قوله: "ومن الصفات غير العمل: مررت برجل حسن ابوه، ومررت برجلٍ كريمٍ اخوه، وما اشبه هذا، نحو المسلم والصالح والشّيْخ والشّابّ.

وإنما اجريت هذه الصفات على الاول حتى صارت كانها له لانك قد تضعها في موضع اسمه فيكون منصوبا ومجرورا ومرفوعا، والنعتُ لغيره، وذلك قولك مررت بالكريم ابوه، ولقيت موسّعاً عليه الدُّنيا، واتاني الحسنةُ اخلاقُه، فالذي اتاك والذي اتيتَ غيرُ صاحب الصّفة، وقد وقعَ موقعَ اسمه وعمل فيه ما كان عاملا فيه... فكما جرى مجرى اسمه كذلك جرى مجرى صفته". (٢)

ولم يقْتَصر سيبويه ايضا على الاسباب التي تربِطُ الناسَ بعضها ببعض من قرابة وصلة بل تعدّاها إلى ابعد من ذلك، إلى العلاقة بين الاشخاص والاشياء، التي تحيط بهم وما يترتب على هذه العلاقة من صلة كما جاء في باب ما يكون فيه العمل من اثنين في نصب الفعل المضارع بعد حتى، من أن الحدث في هذا الفعل يجب ألا يكون من سبب المتكلم، ولا مترتبا عليه، ولكنه إذا ارتبط حدوثه من المتكلم بسبب فلا ينصب الفعل، يقول: "وذلك قولك: سرت حتى يدخُلَها زيدٌ، إذا كان دخول زيد لم يؤده سيرُك ولم يكن من سببه، فيصيرُ هذا كقولك: سرت حتى تطلعَ الشمسُ، لأن سيرَك لا يكون سببا لطلوع الشمس ولا يؤديه، ولكنك لو قلت: سرت حتى يدخُلها ثَقَلَي، وسرتُ حتى يدخُلها بدَني، لرفعت لأنَّك جعلتَ دخولَ ثِقَلك يؤديه سيرك، وبدنُك لم يكن دخولُه إلا بسيرك". (٣)

ولكنك تستطيع أن تقولَ في هذه الايام: سرت حتى يدخُلُها زيدٌ، إذا كان زيدٌ راكباً في سيارتك فترفعُ الفعلَ هنا لأن دخولَ زيد كان بسبب منك.

---

(١) الكتاب: ١٨/٢ .

(٢) المصدر نفسه: ٢٢/٢ .

(٣) المصدر نفسه: ٢٥/٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإذا قلت سرت حتى أسمعَ الأذان فهذا وجه النصب لأن سيرك ليس يؤدي إلى سمعك الأذان إنما يؤديه الصبح.
ويرفعُ الفعل بعد حتى في سرت حتى أكلُّ لأن الكلال يؤديه سيرُك ويرتبطُ بسببه فلا يجوزُ النصب.

صلة الجوار

لم يكتف سيبويه بخلق علاقة في التركيب على ما هي عليه في الواقع بل رأى أن للجار حرمةً يجبُ أن تراعى في كثير من الأوضاع والظروف، كما أنه راعى نظاما يُتَّبَعُ في التجاور ولو كان في هذا النظام خروج عن الأصل المتبع في النظام الداخلي، وذلك في قولهم "هذا جحرُ ضب خرب"، فاجروا خرب على الضب وهي ليست له بل في للجحر لأنه هو الخرب ويجب أن يكون مرفوعا كمنعوته، ولكن أجروه على الضب لقربه وجواره، ويبين لنا سيبويه ما ترتب على الجوار من الصلة ومن التركيب في هذه الجملة وغيرها بقوله: "ومما جرى نعتا على غير وجه الكلام: "هذا جحر ضبٍ خربٍ" فالوجه الرفعُ وهو كلامُ أكثر العربِ وأفصَحِهم، وهو القياس لأن الخَرِب نعتُ الجحر، والجحرُ رَفعٌ، ولكن بعضَ العرب يَجرُّه وليس بنعت للضَّبِ ولكنّه نعتٌ للذي أُضيف إلى الضب ولأنه صار هو والضب بمنزلة اسم واحد، ألا ترى أنك تقول: هذا حبُّ رمّان، فإن كان لك قلت: هذا حبّ رمّانِي، فأضفت الرمان إليك وليس لك الرمان إنما لك الحبُّ"(١)، ويقول أيضا: "ومع هذا أنهم أتبعوا الجرَّ الجرَّ كما أتبعوا الكسْرَ الكسْرَ نحو قولهم: بهِم وبدارِهِم وما أشبه هذا". (٢)

---

(١) الكتاب: ٤٣٦/١، وانظر مكانة الخليل بن أحمد في النحو العربي، جعفر عبابنة، دار الفكر، عمان، ١٩٨٤م ص٩٢-٩٣

(٢) أفرد ابن جني بابا تحت عنوان: باب في الجوار، انظر الخصائص: ٢١٥/٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ما كان فيه الجوار مرجحا للاختيار في العمل؛ وذلك ما جاء في باب التنازع إذ نجده يرجّح إعمال الفعل الثاني في مثل ضربتُ وضرَبني زيدٌ لقربه من الاسم أو لقربه من المعمول المتنازع عليه يقول: "فالعامل في اللفظ احد الفعلين، واما في المعنى فقد يعلم ان الاول قد وقع إلا انه لا يُعْمَل في اسم واحد نصبٌ ورفعٌ، وإنما كان الذي يليه اولى لِقُرْبِ جواره وانه لا ينقُضُ معنى، وان المخاطَب قد عَرَف ان الاول قد وقع بزيد" فجعل من سبب الجوار ترجيحا في العمل ويعللُ لنا هذا الترجيح بقوله: "كما كان (خَشَّنْتُ بصدره وصدر زيد) وجه الكلام، حيث كان الجرُّ في الاول، وكانت الباءُ أقرب الى الاسم من الفعل، ولا ينقض معنى، سوّوا بينهما في الجرّ كما يستويان في النصب" (١) ويقول أيضا: "ولو لم تَحْمل الكلامُ على الآخر لقلتُ: ضربتُ وضربوني قومك، وإنما كلامهم ضربتُ وضربَني قومَك، وإذا قلت: ضربَني، لم يكن سبيلٌ للاول لانك لا تقول ضربَني وانت تجعلُ المُضمرَ جميعا" (٢) ثم يقول: "فالفعل الاوّلُ في كل هذا مُعْمَلٌ في المعنى وغيرُ مُعْمَلٍ في اللفظ، والآخِرُ مُعْمَلٌ في اللفظ والمعنى، فإن قلت ضربت وضربوني قومَك نصبت إلا في قول من قال: أكلوني البراغيث، أو تحملُه على البَدَل فتجعلَه بدلا من المضمَر كانك قلت: ضربتُ وضرَبني ناسٌ بنو فلان" (٣) فنجده جعل من صلة الجوار مرجحا للاختيار وعلل لنا هذا الترجيح بحمله على ما شابهه، ولم يكتفِ بهذا كله بل رجع الى سياق الكلام والمعنى وما يترتب عليهما من ترجيح إعمال الفعل الثاني.

ومما كانت فيه صلة الجوار مرجحة للإشراك على الذي قبله: ما جاء في قوله: "مثل قولك رايتُ زيداً وعمراً كلَّمْتُه، ورايتُ عبدَ الله وزيداً مررت به، ولقيتُ قيساً وبكراً أخذتُ اباه، ولقيت خالداً وزيداً اشتريتُ له ثوبا.

---

(١) الكتاب: ٧٣/١ - ٧٤.

(٢) المصدر نفسه: ٧٦/١.

(٣) المصدر نفسه: ٧٧/١ - ٧٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإنما اختير النصب ههنا لأن الاسمَ الأوّلَ مبنيٌّ على الفعل، فكان بناءُ الآخرِ على الفعل أحسن عندهم، إذ كان يبنى على الفعل وليس قبله اسمٌ مبنيٌّ على الفعل ليجري الآخرُ على ما جرى عليه الذي يليه قبله، إذا كان لا ينقضُ المعنى لو بنيْتَه على الفعل، وهذا أولى أن يُحمَلَ عليه ما قَرُبَ جوارُه منه، إذ كانوا يقولون: ضربوني وضربتُ قومك، لأنه يليه، فكان أن يكون الكلامُ على وجهٍ واحدٍ أقربُ في الماخذ". (١)

ومن هذه الصلات حمل كلمة على اخرى لما بينهما من العلاقة: يقول سيبويه: "أما قولهم: هذه الدار نِعْمَتِ البلدُ، لما كان البلد الدار أقحموا التاء، فصار كقولك: من كانت أمَّك، وما جاءت حاجتك" (٢) ومن ذلك: قُطِعت اصبعُه، حملا على اليد التي تحمل الأصابع.
ومنه ايضا جريان الفعل على غير ما هو له لما بين المحذوف وما جرى عليه الفعل من الصلة والعلاقة في مثل: سالت القرية وصيد عليه يومان.

اللجوء إلى السياق الخارجي في التحليل الداخلي

احتكم سيبويه إلى السياق الخارجي في التحليلات الداخلية ومن الأمثلة على ذلك حذفُ تاء التانيث الساكنة قال: "وإنما حذفوا التاء لأنه صار عندهم اظهارُ المؤنث يكفيهم عن ذكرِهُمُ التاء كما كفاهم الجميعُ والاثنان، حين اظهروهم عن الواو والألف.
وهذا في الواحد من الحيوان قليل وهو في المَوات كثير، فرقوا بين المَوات والحيوان كما فرقوا بين الآدميّين وغيرهم، تقول: هم ذاهبون، وهم في الدار، ولا تقول جمالُك ذاهبون، ولا تقول هم في الدار وانت تعني الجمالَ، ولكنك تقول هي ذاهبة وهن ذاهبات.

---

(١) الكتاب: ٨٨/١ - ٨٩ .
(٢) المصدر نفسه: ١٧٩/٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومما جاء في القرآن من الموات قد حُذِفت فيه التاءُ قولهُ عز وجل: "فمن جاءَه موعظةٌ من ربه فانتهى"(١) وقوله تعالى:من بعد ما جاءَهُمُ البينات"(٢) وهذا النحو كثير في القرآن الكريم، وهو في الواحدة إذا كانت من الآدميين اقل منه في سائر الحيوان (٣)، ألا ترى أن لهم في الجميع حالا ليست لغيرهم لأنهم الأولون وانهم قد فضلوا بما لم يفضل به غيرهم من العقل والعلم". (٤)

ومن هذا القبيل، ما جاء في باب النداء إلى الأب إذا اضفت المنادى إلى نفسك، ونستشف دور السياق من خلال ما قاله سيبويه في اسلوبه الحواري الذي كان يتعمده في التحليل أحيانا: "وسالتُ الخليل رحمه الله عن قولهم: يا ابه ويا أَبَتِ لا تفعل.....، فزعم الخليل أن هذه الهاء مثل الهاء في عمة وخالة....، قلت: فلم دخلت الهاءُ في الأب وهو مذكَّر ؟ قال: قد يكون الشيءُ المذكر يوصَف بالمؤنَّث، ويكون الشيء المذكّر له الاسم المؤنثُ نحو نفس،وأنت تعني الرجل به، ويكون الشيء المؤنَّث يوصف بالمذكر وقد يكون الشيء المؤنث له الاسم المذكر، فمن ذلك هذا رَجُل رَبْعة وغلامٌ يَفَعَة هذه الصفات.

---

(١) الآية ٢٧٥ من سورة البقرة.

(٢) الآية ١٠٥ من سورة آل عمران.

(٣) يقول الصبان في حاشيته على شرح الأشموني: ٥٢/٣ ، من أن الاثبات للحقيقي اكثر من المجازي، يقول: "فصل الدماميني الثاني سبب تانيث المؤنث الحقيقي على غيره اي اظهارا لفضل الحقيقي على غيره، والذي يظهر لي خلاف ذلك، فإن الكتاب العزيز قد كثر فيه الإتيان بالعلامة عند الإسناد إلى الظاهر غير الحقيقي كثرة فاشية، فقد وقع من ذلك ما ينيف على مائتي موضع، ووقع فيه مما ترتضى فيه العلامة في السورة المذكورة نحو خمسين موضعا.

(٤) الكتاب: ٣٨/٢ - ٣٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والأسماء قولهم: نَفْسٌ وثلاثةُ أنفس وقولهم ما رأيتُ عَيْناً يعني عين القوم، فكان ابه اسم مؤنّث يقع للمذكّر لأنهما ولدان كما تقع العين للمذكّر والمؤنّث لأنهما شخصان، فكانهم إنما قالوا ابوان لأنهم جمعوا بين أبٍ وابةٍ، إلا انه لا يكون مستعملا إلا في النداء إذا عنيت المذكر.

واستغنوا بالأم [في المؤنث عن ابة]، وكان ذلك عندهم في الأصل على هذا، فمن ثَمَّ جاءوا عليه بالأبوين، وجعلوه في غير النداء ابا بمنزلة الوالد، وكانَّ مؤنّثه ابة كما أن مؤنّث الوالد والدة. (١)
ومن ذلك قولك للمؤنث: هذه امراةٌ عَدْلٌ ومن الأسماء فَرَسٌ هو للمذكر فجعلوه لهما، وكذلك عَدْل، وما اشبه ذلك. (٢)

السياق الخارجي ودوره في الإعراب

لقد كان السياق الخارجي حَكَما في الحُكْم الإعرابي لما يقتضيه من التقديرات فيما خرج عن اصله لجريان الفعل على غير ما هو له لما بينهما من العلاقة في السياق الخارجي، ومن ذلك ما جاء به الحكم الإعرابي في نصب زائرا من هذا البيت:
يا صاحبيَّ دنا الرواح فسيرا لا كالعشية زائرا ومزورا (٣)

---

(١) الكتاب: ٣/٢١٠ - ٢١٢.
(٢) هناك الفاظ للمذكر جاءت للمؤنث، منها صمت عشرا ولا تقل عشرة والصوم بالنهار ومنها الضبع للمؤنث والمذكر ضبعان، انظر المزهر: ٢/٦٧.
(٣) قاله جرير في قصيدة في هجاء الأخطل، والشاهد فيه نصب زائرا ومزورا بإضمار فعل والتقدير لا ارى كالعشية زائرا ومزورا اي لا ارى زائرا ومزورا كزائر العشية.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقول سيبويه: "فلا يكون إلا نصباً من قبل ان العشيّةَ ليست بالزائر، وإنما أراد، لا أرى كالعشية زائرا، كما تقول ما رأيت كاليوم رجلا، فكاليوم كقولك في اليوم" (١) فالسياق يقتضي تقديراً بعد الكاف لأن العشية لا تزور وإنما يزار فيها ولا تشبه العشية بالزائر، ولا يخف على أحد ما في هذا البيت من التقدير.

ومما كان فيه السياق مرجّحا في اختيار الحكم الإعرابي: ما جاء في الكتاب في باب من أبواب الاستثناء تحت عنوان: "هذا باب يُختارُ فيه النصبُ لأن الآخِر ليس من النوع الأول" ويعني بذلك: أنَّ النصب يُختار فيه لأن المستثنى ليس من نوع المستثنى منه وهو لغة أهل الحجاز وذلك قولك: "ما فيها أحَدٌ إلا حمارا جاءوا به على معنى ولكن حماراً، وكرهوا أن يُبدِلوا الآخِر من الأول فيصيرَ كأنَّه من نوعه فحُمل على معنى ولكِن، وعمل فيه ما قبله كعمل العشرين في الدرهم" لأن القاعدة النحوية تقول: يجب أن يكون المستثنى من نوع المستثنى منه. وحمل قول التميميين: لا أحد فيها إلا حمارٌ على انهم أرادوا ليس فيها إلا حمار ولكنهم ذكروا أحداً توكيداً لكي يُعْلَم انه ليس فيها آدميّ ثم ابدلوا، فكانهم قالوا ليس فيها إلا حمار، وقد أجازه سيبويه على أن يُنَزِّل الحمارَ منزِلة العاقل إدعاءً ومجازا حيث يقول: "وان شئت جعلته إنسانها" لمن أراد أن يُبْدله من المستثنى منه. (٢)

حمل الأشياء المادية على الأشياء المعنوية في التحليل

لقد جعل سيبويه العلاقة بين عناصر النظام اللغوي كالعلاقة بين عناصر المجتمع الإنساني في كثير من المجالات، ولم يكتف بهذا بل حمل من الوظائف والصفات التي للعناصر في المجتمع الإنساني على العناصر التي في النظام اللغوي، ومن هذه الصفات تفاوت درجات

---

(١) الكتاب: ٢٩٣/٢ .

(٢) المصدر نفسه: ٣١٩/٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العمل بالنسبة للعوامل، فقد وزّع الوظائف على هذه العناصر بما يتناسب مع قدراتها، فاقوى مراتب العمل جعلها للفعل فاسم الفاعل فاسم المفعول فالصفة المشبّهة فافعل التفضيل فالمصدر... الخ، ووزع العمل على هذه العوامل بما يتناسب مع كلٍّ منها قوة وضعفا، فمن هذا التوزيع ما نجده من تحديدٍ لعمل الصفة المشبّهة باسم الفاعل بالعمل فيما هو من سببها، لأنها مَرْتَبةٌ ثالثة في العمل بقوله: "وما تَعْمَلُ فيه معلوم، إنما تَعْمَلُ فيما كان من سببها معرَّفًا بالألف واللام، أو نكرة لا تُجاوِز هذا، لأنه ليس بفعلٍ ولا اسم هو في معناه -وبُعْدها من الفعل جعلها اقرب فيما هو ليس من صفة الفعل كالإضافة حيث جعل فيها- والإضافةُ فيه احسنُ واكثرُ لأنه ليس كما جرى مَجرى الفعل، ولا في معناه، فكان احسن عندهم أن يتباعَد منه في اللفظ، كما انه ليس مثلَه في المعنى وفي قوته من الأشياء". (١)

كما جعل سيبويه إعمال افعل التفضيل اضعفَ من عمل الصفة المشبَّهة، فجعل له شروطا للعمل حيث يقول: "وتقول فيما لا يقع إلا منوَّنًا عاملا في نكرة، [وإنما وقع منونا] لأنه فصل فيه بين العامل والمعمول، فالفصل لازمٌ له ابدًا مظهرًا او مضمرًا، وذلك قولك: هو خيرٌ منك ابًا، وهو احسن منك وجها، ولا يكون المعمولُ فيه إلا من سببه....، ولا يعملُ إلا في نكرة، كما انه لا يكون إلا نكرة، ولا يقوى قوَّة الصفة المشبَّهة، فالْزِمَ فيه وفيما يعمل فيه وجها واحدا. (٢)

كما جعل التعامل بين العامل والمعمول متفاوتا على قدر العلاقة التي تربط بينهما: فقد جعل تَعدّي الفعل إلى ما كان وقتا في الأزمنة اقوى من تعدّيه إلى ما كان وقتا في الأمكنة، لأن الفعل يدلُّ بصيغته على الزمن وبمعناه على الحدث، فاوجد ارتباطا وصلة

---

(١) انظر الكتاب: ١٩٤/١ .

(٢) المصدر نفسه: ٢٠٢/١ - ٢٠٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وثيقة بين الفعل والزمن لم تكن موجودة في الأمكنة مما زاد في قوة التعامل بينهما؛ يقول: "وإنما جُعِل في الزمان أقوى لأن الفعل بُني لما مضى منه وما لم يمض، ففيه بيان متى وقع كما ان بيان فيه انه قد وقع المصدر [وهو الحدث] . (١)

والأماكن لم يُبْنَ لها فعل وليست بمصادر أُخِذَ منها الأمثلة، والأماكن إلى الأناسي ونحوهم أقربُ، ألا ترى أنهم يَخُصّونها بأسماء كزيد وعمرو، وفي قولهم مكّة وعُمان ونحوهما، ويكون منها خلق لا تكون لكل مكان ولا فيه كالجبل والوادي والبحر، والدهر ليس كذلك، والأماكن لها جثة وإنما الدهر مُضِي الليلِ والنهار فهو إلى الفعل أقرب". (٢)

التخصص في العمل والاستعمال: ومن تطبيق الأشياء المادية على الأشياء المعنوية ما اختصت به بعض حروف المعاني والعوامل من العمل، منها ما اختص بالأسماء ومنها ما اختصّ بالأفعال، كما انه جعل تَخَصُّصا في هذا التخصص فجعل مما يختصّ بالأسماء ما يختص بالعاقل وما يختص بغير العاقل، ومنها ما يعمل في الاثنين، فمن هذا التخصص: أدوات الاستفهام والأسماء الموصولة، وذلك من وما سواء أكانتا اسميّ استفهام أم اسمين موصولين، من للعاقل وما لغير العاقل، وأي تستعمل للعاقل وغير العاقل، يقول سيبويه فيما ترتب على هذا التخصص من الاستعمال: "و لا يجوز الحكاية فيما بعد أيٌّ كما جاز في بعد مَنْ،وذلك انه إذا قال رأيتُ عبد الله قلت: أيٌّ عبد الله وإذا قال مررت بعبد الله قلت: أيّ عبد الله.

وإنما جازت الحكاية بعد من في قولك من عبد الله لأن أياً واقعةٌ على كل شيء وفي للآدميين، ومَنْ مسكنة في غير بابها فكذلك يجوز ان تجعل ما بعد من في غير بابه" (٣)، وذلك بان يُنْطق بالكلام على الصورة التي حكى بها دون مراعاة التركيب وما يجب أن تكون عليه الكلمة من الإعراب.

---

(١) الكتاب: ٣٦/١ .

(٢) المصدر نفسه: ٣٦/١ - ٣٧ .

(٣) المصدر نفسه: ٤٠٨/٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن الاختصاص في حروف المعاني ما جعله منها يختص بالأسماء كاللام وحتى، ومنها ما يختص بالأفعال مثل أنْ، لن، كي التي تنصب الفعل المضارع ومنها ما لا يختص كحروف العطف مثلا.

وقد يلزم على هذا الاختصاص الخروجُ عن الأصل، كدخول اللام وحتى على الفعل المضارع. ويُنْصَب الفعلُ بعدهما احيانا، فكيف يكون هذا الخروج، وهو القائل بهذا الاختصاص، إذ يُسَمّيهما حرفيّ إضافة ؟ فنجده يتجاوز هذه التجاوزات ببراعته في التحليل، وذلك بإضمار أن المصدرية بعدهما وجوبا فتَنْصِبُ الفعل المضارع وتُسْبَك أن مع ما بعدها بمصدر، ويدخلُ هذا الحرف على هذا المصدر ويكون المصدرُ مجرورا به.

ويجعل هذا الاختصاص لهذه الحروف مسوّغا لإضمار أنْ مكتفيا بعلم المخاطَب بهذا الاختصاص حيث يقول: "هذا باب الحروف التي تُضْمَر فيها أن" وذلك اللام التي في قولك جِئْتُك لِتفعلَ، وحتى، وذلك قولك حتى تفعلَ ذاك، فإنما انتصبَ هذا بأنْ، وأنْ ههنا مضمرة، ولو لم تُضْمرها لكان الكلام مُحالا، لأن اللام وحتى إنما يعملان في الأسماء فيجرّان، وليستا من الحروف التي تُضاف الى الأفعال.

فإذا اضمرت أنْ حَسُنَ الكلام لأنَّ (أنْ) و(تفعل) بمنزلة اسم واحد فإذا قلت: اخشى أنَّك تفعل فكأنك قلت: اخشى فعلَك، افلا ترى أنَّ أنْ تفعل بمنزلة الفعل فلما اضمرت [أن] كنت قد وضعت هذين الحرفين مواضعهما لأنهما لا يعملان إلا في الأسماء ولا يضافان إلا إليها، وأنْ تفعلَ بمنزلة الفعل.....واكتفوا عن إظهار أنْ بعدهما بعلم المخاطَب أنَّ هذين الحرفين لا يضافان إلى فعل، وانهما ليسا مما يعملُ في الفعل، وأنَّ الفعلَ لا يَحْسُنُ بعدهما إلا ان يُحْمَل على أنْ".(١)

ومنه حمل الخروج عن الأصل على التبادل بين الأسماء والأفعال: ومما اخذه سيبويه من الظواهر الاجتماعية عملية التبادُل بين عناصر المجتمع وطبَّقها على التبادُلِ بين عناصر الكلام في الخروج عن الأصل.

---

(١) الكتاب: ٣/٥ - ٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالإضافة من خصائص الأسماء ولكن هناك أسماءً أضيفت إلى الأفعال فحمل هذا الخروج عن الأصل من قبيل التبادل، لأن الاسم قد يخرج عن أصله إلى أصل ثابت في الأفعال ولا يخرج عن اسميته، وتلك الأسماء في التي أضيفت لها همزة الوصل لأن همزة الوصل من خصائص الأفعال ويبين لنا سيبويه هذا التبادل وكأن الفعل يقول للاسم بأنه خرج عن أصله كما خرج الاسم بقوله: "وهذا باب ما يضاف إلى الأفعال من الأسماء" يضاف إليها أسماء الدهر، وذلك قولك: هذا يوم يقوم زيد، وآتيك يوم يقول ذاك، وقال الله عز وجل: "هذا يوم لا ينطقون" (١) و "هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم" (٢)، ويعلل لنا لم حدث هذا الخروج وفيما يجوز بقوله: "وجاز هذا في الأزمنة، واطرد فيها، كما جاز للفعل أن يكون صفة، وتوسعوا بذلك في الدهر لكثرته في كلامهم، فلم يُخْرِجوا الفعل من هذا كما لم يخرجوا الأسماء من ألف الوصل في نحو ابن وإنما أصله للفعل وتصريفه.

ومما يضاف إلى الفعل أيضا "ما رأيته منذ كان عندي ومذ جاءني" (٣)

ومما جاء في الكتاب من الخلط بين المثنى والجمع والتبادُلِ بينهما وذلك بأن يكون الجمع للمثنى ويكون المثنى للجمع، ومن الممكن أن يقالَ هذا من قبيل المراجعة للأصل، لأن المثنى جَمْعٌ في كثير من اللغات، ولا أدلَّ على هذا من عدم وجود ضمير المثنى للمتكلمين، حيث يُبَرِّر لنا سيبويه هذا الخلط في: -هذا باب ما لُفِظَ به مما هو مثنى كما لُفِظ بالجمع-: "وهو أن يكون الشيئان كل واحد منهما بعضَ شيء مفردٍ من صاحبه، وذلك قولك ما أحسَنَ رؤُوسَهما، وما أحسن عواليَهما،

---

(١) الآية ٣٥ من سورة المرسلات.

(٢) الآية ١١٩ من سورة المائدة.

(٣) الكتاب: ١١٧/٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال عز وجل: "إن تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما" (١) ....
فرقوا بين المثنى الذي هو شيء على حدةٍ وبين ذا".(٢)
ومن الكلام عن الجمع بالمثنى ما جاء في قوله تعالى: "وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب، إذ دخلوا على داودَ فَفَزِعَ مِنْهُم قالوا لا تَخَفْ خَصْمان". (٣)

تطبيق السياق في الواقع على السياق في التركيب

من هذا التطبيق التغليب، وذلك ما جاء في "باب ما غَلَبت فيه المعرفةُ النكرةَ" وذلك قولك هذان رجلان وعبد الله منطلقين، وإنما نصبت المنطلقين لأنه لا سبيل إلى أن يكون صفةً لعبد الله ولا أن تكون صفةً للاثنين معا، فلما كان ذلك محالاً جعلتَه حالا صاروا فيها كأنك قلت: هذا عبدُ الله منطلقا.
وهذا شبيهٌ بقولك: هذا رجلٌ مع امرأتين قائمين، فغلب المذكرُ على المؤنث". (٤)

---

(١) الآية ٤ من سورة التحريم، يقول أبو حيان في تفسير هذه الآية: وأتى بالجمع في قوله قلوبكما وحسن ذلك إضافته إلى مثنى وهو ضميرهما والجمع في مثل هذا أكثر استعمالا من المثنى، وهذا كان القياس، وذلك أن يعبر بالمثنى عن المثنى، لكن كرهوا اجتماع تثنيتين فعدلوا إلى الجمع لأن التثنية جمع في المثنى، انظر تفسير البحر المحيط: ٨/٢٩٠ ، ٢٩١ .
(٢) الكتاب: ٣/٦٢١ - ٦٢٢ .
(٣) المصدر نفسه: الآية ٢١ - ٢٢ من سورة (ص) ؛ وانظر تفسير البحر المحيط: ٧/٣٨١ .
(٤) المصدر نفسه: ٢/٨١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن باب التغليب للعلم المشترك: ما جاء في قوله: "اعطيكم سُنَّةَ العمرين / فإنما أَدْخلتَ الألف واللام على عُمَرين وهما نكرة فصارا معرفة بالألف واللام (١)، يقولُ السيرافي "اكثرُ الناس على انَّ سنَّة العُمَرين سنَّةُ أبي بكر وعمر/واختاروا التثنية على لفظ عُمَر لطول ايّامه وكثرةِ فُتوحه وشهرة آثاره، ويروى انه قيل لعثمان نسالك سنة العمرين، ثم ذكر السيرافي انه قد يقال لعمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز". (٢)

ومن باب تغليب المذكر على المؤنث لأنه هو الأصل: ما جاء في قوله: "وتقول هذا حادِيَ عشرَ إذا كنَّ عشرَ نسوةٍ معهن رجل ،لأنَّ المذكرَ يُغلّب المؤنث، ومثل ذلك قَوْلك خامس خمسة إذا كن اربع نسوة فيهن رجل" ويقول في مقابل هذا اطلاق المؤنث على المذكر (٣): وتقول ثلاثة اشخص وإن عنيت نساءً، لأن الشخصَ اسمٌ مذكرٌ ومثلُ ذلك ثلاثُ أعيُنٍ: وإن كانوا رجالا لأن العين مؤنثة، وقالوا ثلاثةَ أنْفس لأنَّ النفسَ عندهم انسان". (٤)

السياق الاجتماعي وما يترتب عليه من الحذف والإضمار والإظهار

لم يترك سيبويه منفذا يَسْتَشِفُّ منه سببا لحذفٍ أو إضمار أو تقدير أو إظهار إلا لجا إليه،واتّخذه ملْحَظاً يعود إليه عندما يَتَعذَّرُ إلحاقُه بباب من الأبواب النحوية المعروفة في التحليل الذاتي

---

(١) الكتاب: ١٠٤/٢ .

(٢) انظر التغليب في الأشباه والنظائر للسيوطي: مراجعة فايز ترحيني، دار الكتاب العربي: ص ١٦٩ .

(٣) يقول الزجاجي: ولا يغلب المؤنث المذكر إلا في التاريخ، انظر الجمل في النحو: الزجّاجي، تحقيق علي توفيق الحمد - مؤسسة الرسالة، ط ٢ ، ١٩٨٥م ، ص ١٤٥ .

(٤) المزهر: ٦٧/٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

للغة، ولم يترك طرفاً من الظروف الاجتماعية ولا ظاهرة اجتماعية الا رجع اليها في تحليله، وجعلها عنصراً من عناصر الخطاب الاساسية.

ولم يكتفِ بالظواهر العامة والاحوال المشاهَدة فحسب، بَلْ لجأ إلى المعاني الداخلية في اقطار النفس، وما تَحْمِلُه من صفات المدح والذم، وكان يُقَدِّرُ فيها عاماً يتناسب مع معناها ويُحِلُّ مَحلَّ ما حذف من العوامل، فمن ذلك، ما يجوز ان تَحْمِله على المدح والذمّ والتعظيم حيث يقول على لسان الخليل: "وزعمَ الخليلُ اَنَّ نَصْبَ هذا (١) على انك لم تُرِد ان تُحدِّثَ الناسَ ولا من تخاطب بامر جهلوه، ولكنّهم قد علموا من ذلك ما قد علمت، فَجَعَلَهُ ثناءً وتعظيما ونَصَبَه على الفعل كانه قال: اذكرُ اهلَ ذاك واذكرُ المقيمين في قوله تعالى: "لكن الراسخون في العلم منهم المؤمنون يؤمنون بما انزل إليك وما انزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة" (٢) ولكنَّه فِعْلٌ لا يُسْتَعمل اظهارُه. (٣)

ومما جاء على المدح ايضاً: "هذا فرسُ اَخويْ ابنيك العقلاء الحكماء". (٤)

ومما جاء على الافتخار في الاختصاص: إنا بنو فلان نَفعلُ كذا، لانه لا يريدُ اَنْ يُخْبِرَ من لا يدري انه من بني فلان، ولكنّه ذكر ذلك افتخاراً وابتهاء" (٥) لانَّه ذكر قبيلتَه او اجدادَه فوضع المخاطَب في حال من ينتظر كلاماً عنهم وبما يَخُصُّهم ويعنيهم، وفي الغالب يكون الاختصاص في الفخر والاعتزاز والمدح.

---

(١) انظر الكتاب: ٦٢/٢ - ٦٥.

(٢) الآية ١٦٢ من سورة النساء.

(٣) الكتاب: ٦٥/٢ ٦٦.

(٤) المصدر نفسه: ٥١/٢.

(٥) المصدر نفسه: ٦٦/٢، ابتهاء: مباهاة، ابتهات بالشيء إذا الت انست به.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومما جاء على الشتم قوله: "اصنع ما ساءَ اباك وكَرِه اخوك الفاسقين الخبيثين" (١)

ويبين سيبويه لنا ما تعارَف عليه المجتمع من الصفات التي تُحْمَدُ والصفات التي تُذَمُّ في: "هذا باب ما يَنْتَصِبُ على التعظيم والمدح" (٢) وقد لخَّصَ الدكتور نهاد الموسى ذلك بقوله (٣): "وعلى هذا النحو المُعْجِب ايضاً مضى يرسم للنعت المقطوع منهجَه في الاستعمال، ولم يكتفِ بالإشارة إلى أن هذا النعت قد يَنْتَصِبُ مرادا به التعظيم، بل وقف إلى التعظيم بين مفهومه من خلال قِيَم المجتمع وبَيَّنَ مواضعه من خلال هذه القِيَم ايضاً، وهكذا حتى تَأْخُذَ الحركة عنده معناها النحوي ومعناها الاجتماعي، بل إنَّه لا يُتِمُّ للحركة معناها النحوي عنده ولا يستقيمُ لها ذلك إلا إذا وَقَعَت في ابعادها الاجتماعية الصحيحة قال: واعلم أنّه ليس كُلُّ موضع يجوز فيه التعظيم، ولا كل صفة يَحْسُن أن يُعَظَّمَ بها لو قلت مررت بعبد الله اخيك صاحب الثياب او البزار لم يَكُنْ هذا مما يُعَظَّمُ به الرجل عند الناس ولا يُفَخَّم به.

واما الموضع الذي لا يجوز فيه التعظيمُ فَأَنْ تذكر رجلا ليس بنبيه عند الناس ولا معروف بالتعظيم ثم تُعظِّمه كما تُعظِّم النبيه".

ومن الصفات التي يُمْتَدحُ بها والمُسْتَحْسَنةِ عند الناس: "إذا قلت مررت بقومك الكرام الصالحين ثم قلت المصلحين في المحل جاز لأنه إذا وضعهم صاروا بمنزلة من قد عرف منهم ذلك وجاز أن يجعلهم كانهم قد علموا فاستحسن من هذا ما استحسن العرب واجزه كما اجازته (٤)، نَسْتَشِفُّ مما مضى انه يَشْرَعُ القياس على نهج العرب في ذلك.

---

(١) الكتاب: ٥٨/٢ .

(٢) المصدر نفسه: ٦٣/٢ .

(٣) الوجهة الاجتماعية في منهج سيبويه: ص ١٠ .

(٤) الكتاب: ٦٩/٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما أنّه حدّد هذه الصفات التي تُذْكَر في الندبة ، ما يجوز وما لا يجوز فيها وِفْقَ ما هو متعارفٌ عليه من العادات الاجتماعية في الندبة ، فإنهم يَنْدُبون المرءَ بأظْهرِ ما عنده من الصفات الحميدة ، ويعُدّدون مناقبَه وآثاره التي يُمْتَدح بها ، فلا يَنْدُبونه بما لا تُحْمَد من الصفات، فيترتب على هذا ألا يُنْدَب باسم مبهم او اسم مجهول حيث يقول فيما لا يجوز الندبة به على لسان الخليل ويونس: "وذلك قولك: وا رُجُلاه ويارَجُلاه ، وزعم الخليل رَحِمه الله ويونس انه قبيح، وانه لا يقال، وقال الخليل رَحِمه الله : إنما قَبُح لأنك أبْهمت الا ترى أنّك لو قلت وا هذاه ، كان قبيحا ، لأنّك إذا نَدَبْتَ فإنما ينبغي لك ان تَفَجَّع بأعْرَفِ الأسماء ، وأن تَخُصَّ ولا تُبْهِم ، لأن النُدبةَ على البيان ، ولو جاز هذا لجاز يا رجلا ظريفا ، فكنتَ نادباً نكرة ، وإنما كرهوا ذلك أنّه تفاحَش عندهم ان يَخْتَلِطوا وأن يَتَفَجَّعوا على غير معروف، فكذلك تَفاحَش عندهم في المبهم لإبهامه ، لأنك إذا ندبت تُخْبِر أنّك قد وقعتَ في عظيم ، وأصابَك جسيمٌ من الأمر ، فلا ينبغي لك ان تُبْهِم" (١) كما لا يجوزُ لك ان تُبْهِم في الاختصاص الذي يقوم على الفخر والاعتزاز والتَمَيُّز بصيغة أو صفات حميدة فتقول: "إنّي هذا الفعل كذا وكذا ، ولكن تقول إني زيدا افعل ، ولا يجوز أن تَذْكُرَ إلا اسماً معروفاً ، لأن الأسماء وإنما تذكُرُها توكيدا وتَوْضيحا فنا للمُضْمَر وتذكيرا ، وإذا ابهمت فقد جئت بما هو اشكلُ من المضمر". (٢)

الظواهر الاجتماعية ظواهر لغوية

ان الكثيرَ من الخطاب الذي يتَبادَلُه افراد المجتمع في كثير من المناسبات اصبح من المصطلحات المعروفة التي يستعملها جميع افراد المجتمع في مناسباتهم، كتبادُلِ التهاني والتعازي والدعاء والمعاملات التجارية ، ويميل الناس كثيراً إلى الاختصار فيها ، وكأنّ

---

(١) الكتاب: ٢/٢٣٧ .

(٢) المصدر نفسه : ٢/٢٣٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الظواهر الاجتماعية التي تُستعمل فيها هذه المصطلحات حلّتْ محلّ ما حُذِف من التركيب في الاستعمال بالنظر إلى الهيكل النحوي المتعارَف عليه، لأن هذه الاصطلاحات أصبحت مفهومةً لدى جميع أفراد المجتمع، وجرت مجرى الأمثال تُضْرَبُ لكلّ مناسبة تُشْبِهُ المناسبةَ التي قيلت فيها أولا.

فما جرت عليه العادة في الدعاء قولهم: "اللّهُمَّ ضَبُعاً وذِئْباً" إذا كان يدعو بذلك على غَنَمِ رجل وإذا سألتهم ما يعنون قالوا: اللّهُمَّ اجمع أو اجعل فيها ضَبُعاً وذئباً، وكلّهم يُفَسِّرُ ما ينوي، وإنما سَهُلَ تَفسيرُه عندهم لأنَّ المُضْمَرَ قد استعمل عندهم في هذا الموضع بإظهار" ومن التعليلات اللطيفة التي أوردها السيرافي عن المبرد في هذا الدعاء: "أ. هذا الدعاء له لا دعاءَ عليه لأن الضَبُعَ والذئبَ إذا اجتمعا تقاتلا فأُفْلِتَتْ الغنم، أما ما وضعه عليه سيبويه فإنه يزيد ذئباً من ها هنا وضَبُعاً من ها هنا". (١)

ومنه قولهم (أمرُ مبْكِياتِك لا أمرُ مُضْحِكاتك)، و (الظباءَ على البقر) أي عليكَ أمرَ مبكياتك، وخَلِّ الظباءَ على البقر. (٢)

ارتباط الظواهر الكونية بالظواهر اللغوية عن طريق الظواهر الاجتماعية: تعتبر الظواهرُ الكونيةُ جزءاً من البيئة الكلية، وترتبط بالظواهر الاجتماعية، فتصبح هذه الظواهر شيئا معلوما ومألوفا لدى الجميع، ويتعامل الناس مع هذه الظواهر بطريقة معروفة، فعندما يشاهدون الهلال يقولون: اللهُ أكبرُ، فيعرف السامع أنهم شاهدوا الهلال، يقول سيبويه: إذا رأيت ناساً ينظرون الهلال وأنتَ منهم بعيد فكبّروا لقلت: الهلالَ وربِّ الكعبة، أي أبصروا الهلال.

---

(١) الكتاب: ٢٥٥/١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يريدُ مكّةَ واللهِ": لأن هذا ما تعوّدتَ أن ترى مثلَه وهو في طريقه الى الحج. (١)

ومما جرت عليه العادة في التهنئة والمواساة مما اصبح عرفا لغويا قوله: "ومما يَنْتَصِب على إضمار الفعل المستعملِ إظهاره، أن ترى الرَّجُلَ قد قَدِم من سفرٍ فتقول: خيرَ مقدم، او يقول الرجل: رايت فيما يرى النائمُ كذا وكذا، فتقول خيراً وما سرَّ، وخيراً لنا وشراً لعدونا"، فالاضمار على قوله (قَدِمْتَ) فقال خيرَ مَقْدَمٍ وان لم يَسْمَع منه هذا اللفظ فإن قدومَه ورؤْيَته إياه بمنزلة قوله قدمت، وكذلك إذا قيل: رأيْتُ فيما يرى النائم كذا وكذا، فإذا نَصَبَ فعلى الفعل/واما الرفعُ فعلى أنَّه مبتدأ او مبْنِيٌّ على المبتدا، ولم يُرد أن يحْمِله على الفعل، ولكنه قال هذا خيرٌ مقدمٍ وهذا خيرٌ لنا وشرٌ لعدونا، وهذا خيرٌ وما سرَّ، فإذا رفعت هذه الأشياء فالذي في نفسك ما اظهرت (اي فالذي اضمرتَه في نَفْسِك هو الاسم الظاهر، وإذا نصبت فالذي في نفسك غيرُ ما اظهرت وهو الفعلُ والذي أظهرت الاسم". (٢)

ومما جرى مجرى الأمثال واصبح المحذوف وكانه معلومٌ قوله: ومن ذلك أن ترى رجلاً قد أَوْقع إمراً او تَعرَّض له فتقول: "متعرِّضاً لعَنَنٍ لم يُعْنِه" اي دنا من هذا الأمر متعرِّضاً لعنن لم يعنه، وتَرَك ذِكْرَ الفعل لما يُرَى من الحال". ومنه ايضا "بَيْعُ المَلَطي لا عهدٌ ولا عقدٌ" وذلك ان كنت في حال مساوَمة وحال بَيْعٍ فتَدَعَ أُبايِعُك استغناءً لما فيه من الحال. (٣)

---

(١) الكتاب: ٢٥٧/١ .

(٢) المصدر نفسه: ٢٧٠/١ - ٢٧١ .

(٣) المصدر نفسه: ٢٧٢/١، وانظر شرح المفصل: ١١٨/٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومما حُذِف للعلم المشترك بين المتخاطبين في المعاملات التجارية، إما أن يستغنوا عن ذِكْر العِمْلَة المتبادَلة في البَيْع والشراء، وإما أن يستغنوا عن ذكر السلعة، وإمّا أن يستغنوا عن ذكر المِكْيال الذي يكيلون به، لأن كلّ هذا معروف لدى الجميع في معاملاتهم التجارية، يقول سيبويه: "وأما قولُ الناس: كان البُرُّ قفيزين وكان السمنُ مَنَوَيْن فإنّما استغنوا ها هنا عن ذكر الدرهم لما في صُدورهم من علمه، ولأن الدرهم هو الذي يُسَعَّرُ عليه فكأنّهم إنما يسألون عن ثمن الدرهم في هذا الموضع كما يقولون البُرُّ بستين وتركوا ذِكْرَ الكُرِّ. استغناء بما في صدورهم من علمه وبعلم المخاطَب، لأن المخاطَبَ قد عَلِم ما يعني فكأنه إنما يسألُ هنا عن ثمن الكُرِّ كما سأل الأول عن ثمن الدِرْهم"(١) ويُتْرَك السؤالُ عن نوع السِلعة إما لِمُشاهَدَتِها، أو للسؤال عنها في سياق الكلام.

ومما جرت عليه العادة اللغوية من اصطلاحات: "استعمال المصادر لانتهاء الزمان على مثال فِعال وذلك نحو الصِرام والجِزاز والجِداد والقِطاع والحِصاد وأصبح عندهم زمناً محدداً معروفاً، والفرق بين الدَلالة على الزمن والدلالة على العمل، يستعملون حَصْداً قَطْعاً في الدلالة على العَمل". (٢)

مراعاة الحال المشاهدة في السياق الخارجي

لم يكتفِ سيبويه بمراعاة السياق الخارجي للسياق الداخلي من ناحية المعقول واللامعقول فَحَسْب، بل راعى الحال التي يجب أن تكون في السياق الخارجي ولا يمكن أن تنفصل عن السياق اللغوي، وأن التركيب يجب أن يكون انعكاسا للحالة المشاهَدة ويُجَسِّدها للمخاطب، ومن ذلك ما جاء في قوله: كلّمتُه فاه الى فيّ، وبايعتُه يداً بيد، كأنه

---

(١) الكتاب: ٢٩٣/١ .

(٢) انظر المصدر نفسه، ١٢/٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قال كلّمتُه مشافهةً وبايعتُه نقداً، اي كلمتُه في هذه الحال. (١)
ويُجيزُ قول بعض العرب: كلمته فوه الى في، كانه يقول: كلمته وفوه الى في، اي كلمتُه وهذه حالُه، فهنا النصب على الحال اي كلّمْتُه في هذه الحال، فانتصبَ لانه حال وقع فيه الفعل.
واما بايعتُه يداً بيد، فلا يجوزُ فيها إلا النصبُ لانه لا يَحْسُن ان تقول: بايعته ويداً بيد لان المتكلم لم يُرِد أن يخبر انه بايعه ويدُه في يده)ولكنه اراد ان يقول، بايعتُه بالتعجيل (٢) ولا يبالي اقريباً كان ام بعيداً، فعدم جواز هذه الحالة هو السياق الخارجي وانها ليست في المقصودة.

وكذلك الحال في المبايعة: مثل بعت الشاةَ شاةً ودرهماً، وقامرتُه درهماً في درهم، وسببُ عدم مجيء هذه الحالات إلا كما هي عليه في الواقع، انها حالات متعارَفة ومُصْطَلَحٌ عليها في التعامل، فلا يجوز أن تتكلم بجزءٍ منها دون الاخر، ولا ينفرد شيء منها دون ما بعده، يقول سيبويه: "فلا يجوز أن تقول كلمتُه فاه حتى تقول إلى في لانك إنما تريدُ مشافهة والمشافَهةُ لا تكون إلا من اثنين فإنما يَصِحُّ المعنى إذا قلت إلى في، ولا يجوز أن تقول بايعته يدا لانك إنما تريد أخذَ مني وأعطاني". (٣)

ومن انعكاس السياق الخارجي على السياق الداخلي: الترتيب في الضمائر المتّصلة إذا اجتمع أكثرُ من ضمير، فإنه يكون وِفْقَ امتداد الفرد في المجتمع، فاول ما يُخْبِرُ المرء عن نفسه، ثم عن المخاطَب، ثم عن الغائِب، كما انه إذا اراد أن يستفهم فيجعلُ اول كلامِه للمسئول عنه الغائب وآخره للمسئول المخاطَب". (٤)

---

(١) انظر الكتاب: ١/٣٩١ .
(٢) انظر المصدر نفسه: ١/٣٩٢ .
(٣) المصدرنفسه: ١/٣٩٢ .
(١) انظر الاعراف: ص ١٣ - ١٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقول سيبويه في هذه الضمائر إذا اجتمعت بعد أن يُحدَّد عدم الإتيان بها إلا إذا تَعَذَّر المنفصل: "اعلم أن المفعولَ الثاني قد تكون علامَتُه إذا أُضمِر في هذا الباب العلامةَ التي لا تقع (إيّا) موقعها، وقد تكون علامتُه إذا أضمر إيا.:

فأما علامة الثاني التي لا تقع إيا موقعها فقولك: أعطانِيه وأعطانِيك، فهو هكذا إذا بدأ المتكلم بنفسه، فإن بدأ بالمخاطَب قبل نفسه فقال: أعطاكَني، او بدأ بالغائِب قبل نفسه فقال: أعطاهوني، فهو قبيح لا تَكَلَّم به العرب ولكن النحويين قاسوه.

وإنما قبح عند العرب كراهية أن يبدأ المتكلمُ في هذا الموضع بالأبعد قبل الأقرب ولكن تقول: أعطاكَ إياىَّ وأعطاه إياي، فهذا كلامُ العرب". (١)

وإذا لزم في الكلام ضميران متَّصلان، أحدهما للغائب والثاني للمخاطب وجب تقديم المخاطَب لأنه أقربُ إلى المتكلم من الغائب وهذا هو السياق في الواقع، يقول سيبويه: "فإذا كان المفعولان اللذان تعدّى إليهما فعل الفاعل مخاطَبا وغائِبا، فبدأت بالمخاطَب قبل الغائب، فإن علامةَ الغائب العلامةُ التي لا تقع موقعها إيّا، وذلك قوله أعطيتُكَه وقد أعطاكَه، وقال عزَّ وجل: "فَعُمِّيَت عليكم أَنُلْزِمُكُموها وأنتم لها كارهون" (٢) فهو هكذا إذا بدأتَ بالمخاطَب قبل الغائب.

وإنما كان المخاطَبُ أولى أن يُبْدَأَ به من قِبَل أن المخاطَبَ أقربُ الى المتكلم من الغائب.....فكما كان المتكلم أَولى بأن يَبْدأَ بنفسه قبل المخاطَب، كان المخاطَب الذي هو أقربُ من الغائب أولى بأن يُبْدَأَ به من الغائب.

فإن بدأت بالغائب فقلت أعطاهوك، فهو في القبح وأنه لا يجوز بمنزلة الغائب والمخاطَب إذا بُدِيء بهما قبل المتكلم. (٣)

---

(١) الكتاب: ٣٦٣/٢ - ٣٦٤.

(٢) الآية ٢٨ من سورة هود.

(٣) الكتاب: ٣٦٤/٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التعريف والتنكير من خلال السياق الخارجي

حدد سيبويه مكانة الاسم من التعريف والتنكير من خلال وجوده في الواقع، ومقارنته بما شابهه من أفراد أُمَّته، ومتى يكون معرفة من خلال مقارنته بالنكرة من أفراد أُمّته، ويُبَيِّن لنا ما يترتّب على هذه المقارنة من التركيب وما تتفاوت به المعارف من درجات التعريف يقول: " المعرفةُ خمسةُ أشياء: الأسماء التي في أعلام خاصة، والمضاف إلى المعرفة إذا لم تُرِد معنى التنوين (١)، والألف واللام والأسماء المُبْهَمة والإضمار.

فأما العلامة اللازمة المختصّةُ فنحو زيد وعمرو وما أشبه ذلك، وإنما صار معرفة لأنه اسم وقع عليه ما يُعْرَف به بعينه دون سائر أُمَّته.

وأما المضافُ إلى المعرفة فنحو قولك: هذا أخوك ومررتُ بأبيك وما أشبه ذلك، وإنما صار معرفةً بالكاف التي اضيف إليها لأن الكاف يُراد بها الشيء بعينه دون سائر أمته.

وأما الألف واللام فنحو الرجل والفرس والبعير وما أشبه ذلك، إنما صار معرفةً لأنك أردت بالألف واللام الشيءَ بعينه دون سائر أُمَّتِه، لأنك إذا قلت: مررتُ برجلٍ، فإنك إنما زَعَمْتَ أنك إنما مررت بواحد ممن يقعُ عليه هذا الاسم، لا تريد رجلاً بعينه يعرفُه المخاطَب، وإذا أدخلت الألف واللام فإنما تَذْكُره رَجُلاً قد عَرَفَه، فتقول: الرجل الذي من أمره كذا وكذا لِيُتَوَّهم الذي [كان] عهده ما تَذَكَّر من أمره.

أما الأسماء المُبْهَمة فنحو هذا وهذه ... إلخ، وإنما صارت معرفةً لأنها صارت أسماء إشارة الى الشيء دون سائر أُمَّته.

وأما الإضمار فنحو هو وإياه وأنت وأنا، وإنما صار الإضمار معرفةً لأنك إنما تُضْمِر اسماً بعد ما تعلم أنّ مُحَدِّثَك قد عرف من تَعْني وما تَعني وأنك تريد شيئا يعلَمُه". (٢)

---

(١) نحو مررت برجل ضاربك فهو بمعنى مررت برجل ضارب زيدا من التنكير ويقصد من هذه الصفة معنى الاستقبال بمعنى انه سيضرب زيدا.

(٢) الكتاب: ٢/٥ - ٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتتفاوت هذه المعارف في درجات المعرفة، فمنها أسماء الأشخاص، ومنها أسماء الأماكن والبلدان، فتكون هذه معارفا لِمَن يَعْرِفُها، إذ ان أسماء الأشخاص كلُّها معارفُ عند من يعرفُها، ولكنها نكرات عند من لا يعرفها.

لذا فإن هذه المعارف تتفاوت في خصوصيتها وعموميتها (١) بالنسبة لوجودها في الواقع، وانعكس هذا التفاوت على التركيب، فالموصوف أخصُّ من الصفة، فحددوا ما يجب ان توصفَ به كلُّ معرفة بالنسبة للخصوص والعموم، فالأخصُّ يوصَف بالأعمِّ أو بما هو مساوٍ له، فلم يُجز سيبويه أن تَنْعَت الاسم المعرف بال من الصفات بما هو اخص منها حيث يقول: وإنما منع اخاك أن تكون صفة للطويل، أن الأخ إذا اضيف كان اخصَّ لأنه مضاف إلى الخاص وإلى إضماره فإنما ينبغي لك أن تبدأ به، وان لم يكتفِ زدت من المعرفة ما تزدادُ به معرفةً.

وإنما منع (هذا) أن يكون صفة للطويل والرجل ان المُخبِر أراد أن يُقَرِّب به شيئا ويُشير إليه لِتعرفَه بقلبك وبعينك دون سائر الأشياء، وإذا قال الطويل: فإنما يريد أن يعرفك شيئا بقلبك ولا يريد أن يعرفكَه بعينك، فلذلك صار (هذا) يُنْعَتُ بالطويل، ولا يُنْعَت الطويل بهذا لأنه صار أخَصَّ من الطويل حين أراد أن يُعَرِّفه شيئا بمعرفة العين ومعرفة القلب.

وإذا قال الطويل: فإنما عرَّفه شيئا بقلبه دون عينه فصار ما اجتمع فيه شيئان اخص" كما أجازوا ان تُنْعَتَ هذه المعارف بما تتساوى به في الخصوص والعموم، حيث أجاز أن توصف الأسماء المبهمة بالأسماء والصفات المعرَّفة بالألف واللام، يقول سيبويه في هذا: "واعلم أن المبهمة توصَف بالأسماء التي فيها الألف واللام، والصفات التي فيها

---

(١) يقول المبرد في المقتضب: ٤/٢٨٠ (فالشيء أعم ما تكلمت به والجسم أخص منه والحيوان أخص من الجسم، والإنسان اخص من الحيوان، والرجل أخص من الإنسان، ورجل ظريف اخص من رجل، واعتبر هذا بواحده بأنك تقول: كل رجل إنسان ولا تقول كل إنسان رجل.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الألف واللام جميعاً، وإنما وُصِفت بالأسماء التي فيها الألف واللام لأنها والمبهمةُ كشيء واحد، والصفات التي فيها الألف واللام هي في هذا الموضع بمنزلة الأسماء، وليست بمنزلة الصفات في زيد وعمرو إذا قلت مررت بزيد الطويل، لأني لا أريد أن أجعل هذا اسماً خاصّاً ولا صفةً له يُعْرَف بها وكأنك أردت أن تقول مررت بالرجل ولكنك إنما ذكرت هذا لِتُقَرِّب به الشيء وتُشيرَ إليه". (١)

كما أنه يمنع أن تأتي الأعلام صفات بقوله: "واعلم أن العلم الخاص من الأسماء لا يكون صفةً لأنه ليس بِجِلْيةٍ ولا قرابةٍ ولا مبهم ولكنه يكون معطوفاً على الاسم كعطف أجمعين". (٢)

محاكمة الصيغ للواقع الخارجي

من شروط الفعل الذي يُصاغُ منه أفعل التفضيل أن يكون قابلاً للتفاضل في درجات الحدث، فالأفعال التي لا يُفاضَلُ بها ويستوي فيها الجميع في أحداثها/لا يُصاغُ منها أفعلُ التفضيل نحو مات وعرج: يقول سيبويه: "هذا باب ما لا يجوزُ فيه ما أفعَله، وذلك ما كان أفعَل وكان لوناً أو خِلْقة، ألا ترى أنك لا تقول ما أحمرَه ولا ما أبْيَضه، ولا تقول في الأعرج: ما أعرَجَه ولا في الأعشى ما أعشاه، إنما تقول ما أشدَّ حُمرتِه وما أشدَّ عشاه..

وما لم يكن فيه ما أفعَله لم يكن فيه أفعِلْ به رجلاً، ولا هو أفْعَلُ منه، لأنك تريد أن تَرْفَعَه من غاية دونه، كما أنك إذا قلت ما أفعله فأنت تريد أن ترفعَه عن الغاية الدُّنيا، والمعنى في أفعل به وما أفعلَه واحد، وكذلك أفْعَلُ منه". (٣)

---

(١) الكتاب: ٧/٢ .

(٢) المصدر نفسه: ١٢/٢ .

(٣) المصدر نفسه: ٩٧/٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويبين سيبويه سبب هذا المنع بمشاركة أستاذه الخليل، وكان تحليلُ سيبويه لهذا المنع تحليلاً داخليا خارجيا، وتحليل الخليل تحليلاً خارجياً، يقول: "وإنما دعاهم إلى ذلك أن هذا البناء داخلٌ في الفعل، ألا ترى قِلَّتَه في الأسماء وكثرتَه في الصفة لمضارعتها الفعل" فلما كان مضارعا للفعل موافقا له في البناء كُرِه فيه ما لا يكون في فعله أبدا" ويعرض رأي الخليل بقوله: "وزعم الخليل إنما منعهم من أن يقولوا في هذه ما أَفْعَله لأن هذا صار عندهم بمنزلة اليد والرجل، وما ليس فيه فِعْلٌ من هذا النحو، ألا ترى أنك لا تقول ما أَيْدَاه ولا ما أَرْجَله إنما تقول: ما أَشَدَّ يدَه وما أشدَّ رجلَه". (١)

ما خرج عن أصله من الصيغ تمشيا مع الواقع: ما جاء من الصفات التي اختصَّ بها المؤنث على صيغة المُذكَّر، وذلك لما يقتضيه السياق الخارجي والواقع، من أن هذه الصفات لا تكونُ إلا للمؤنث ولا يُمْكن أن يتَّصِف بها مذكرٌ لذلك أُمِن اللَّبْس، وهذه الصفات نحو حائضٌ حامل طامث متئم مرضع معضل للقطاة. (٢)

---

(١) الكتاب: ٤/٩٨.

(٢) الكتاب: ٢/٣٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخاتمـــة

من خلال ما مضى نرى أن سيبويه نظر إلى اللغة نظرة شمولية من خلال دراسته للنحو في كتابه، فلم تَقْعُد به الدراسة عند القواعد والضوابط الشكلية، ولم يَحصُر دراسته ضمن الإطار الضيّق الذي حصرها العلماء فيه من بعده، بل تجاوزها إلى وَصْف العربية بكل ما في الكلمة من معان.

فإذا تَمَعَّنا في الكتاب، وما استُهِلَّ به وهو "هذا باب علم ما الكلم من العربية" -والذي أعتَبِرُه مقدمةً لكتابه كما ذكرت سابقا- فلا يُفْهَمُ منه دراسة النحو بمعناه التقليدي، بل يُفهم منه دراسةُ طبيعةِ هذه اللغة، وما سرُّها، وأبعادُها، وما تشتمل عليه من التركيب والمعاني والأساليب والبيان والإيجاز، وكل ما يتّصل بها من دراسة.

ابتدأ الكتاب بدراسة البنية الخارجية للكلم وما يكون عليه، ومما يتكون، وانتقل بعد ذلك إلى استكناه البنية الداخلية للغة، بما جاء به من أبواب بعد الأبواب الأولى التي هي مقدمات للدراسات الشكلية، مثل "باب اللفظ للمعاني"، و "باب الاستقامة والاستحالة"، وما لحق بها من الأبواب المُتَضَمِّنة جواز الخروج عن الأصل في التركيب،ومن مقتضى الظاهر في المعاني والأساليب لما يقتضيه السياق الخارجي، وما جاء في الكتاب من باب الرخصة والاتّساع، كل هذه الأبواب تعتبر بحق مقدمات للدراسات الدلاليّة والأسلوبيّة والبلاغيّة.

فلم يحدِّد سيبويه الكلام بجملة فعلية واخرى اسمية في دراسته الشكلية، حتى ان هذا الاصطلاح لم يَرِد في كتابه، بل حدَّد الكلام بمسنَدٍ ومسنَدٍ إليه، والتقديمُ والتاخيرُ فيهما يرجع لما له الأهمية عند المتكلم والمخاطَب.

وما جاء في الكتاب من الحرص على التلازم بين البناءين البرّاني والجوّاني يدلنا على أن سيبويه درس اللغة كلّاً متكاملاً لا يفصل فيها بين جزء واخر، كما انه درس اللغة على انها مجموعة من العلاقات لا على انها مجموعة من الألفاظ.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ودرس النحو على انه مجموعة القواعد والأنظمة التي تتحكم في وضع الكلمات،وترتيبها/وصورة النطق بها عن طريق ما يطرأ على أواخرها من أشكال إعرابية مختلفة، وفقاً لما يُراد من شرح للمعاني والأفكار الدائرة في ذهن المتكلم، وقصد من النحو ما يُقصَد من علم التركيب في هذه الأيام، وسبق علماء اللغة المحدثين إلى هذا المفهوم.

أما فيما يخصُّ موضوعنا الرئيسي وهو السياق، فيكثرُ كثرةً في الكتاب تصل إلى حدّ التواتر، مما يجعلنا نتّخذه أصلاً من الأصول الثابتة في بناء اللغة، في جميع مراحلها الصوتيّة والصرفيّة والتركيبية والدلالية، ويرجع السبب في هذا كله أن سيبويه درس اللغة من واقعها ومن وسطها العام وهو السياق، فلم يترك لا شاردة ولا واردة في هذا المجال إلا وجعل لها اعتبارا في كل مرحلة من مراحل بناء اللغة، فما من عنصر سياقي إلا وله دورُه وتاثيرُه في كل عنصر لُغَوي.

فالمتكلم له الدور الرئيسي في عملية الخطاب،ويعطيه سيبويه الحريةَ كاملة في تكييف الخطاب بما يتفق مع ما يريده مناسبا للدلالة على ما يريد من المعاني والأفكار.

كما انه جعل المخاطَب أحد أعمدة الموقف الكلامي في تكييف الخطاب، وتجبُ مراعاةُ حاله من الإفراد والتذكير والحضور والغيبة و القرب والبعد....

ولم يكتفِ سيبويه بمراعاة سياق حال المتكلم والمخاطَب المشاهَدة فحسب، بل نفَذ إلى اقطار النفس الداخلية عندهما، وما يدور في ذهنيهما من المعاني والأفكار، وكل ما يتّصل منهما بسبب، وتتوجّبُ هذه المراعاة مهما أدت إليه من النتائج حتى لو كان في ذلك خروج عن الأصل في التركيب والمعنى.

واتّخذ المعنى غاية من عملية الخطاب، وملحظاً ثابتاً، في وضع المعايير، وتقرير القواعد، ورسم الحدود بين الصواب والخطأ، كما أنه لاحظ أن العلاقة بين المعنى والتركيب ثابتة ومطّردة.

اما الناحية الاجتماعية فقد أولاها سيبويه اهتماما كبيرا، فنجد انها تتدخل في كل عنصر من عناصر اللغة، ولم يكتفِ سيبويه بهذا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الدور فحسب، بل استعان في تحليله النحوي بكل ما يدور في المجتمع من الظواهر الاجتماعية فتشعر وانت تدرس اللغة في الكتاب، ونظامها النحوي، انك تقف أمام مجتمع من اللغة ينعكس فيه ما يدور في المجتمع اللإنساني من الظواهر والعادات والعقائد والسلوك والمعاملات، فترى كل ما يدور بين الأفراد في المجتمع يدور بين المفردات في اللغة.

هذا إلى جانب ما يشف عنه منهجه عن معرفته بلغات العرب، ودقته في فقه أسرارها اللغوية والتركيبية، وما ينم عنه من دراية بالمعايير، وقدرة على تمييز جيد الكلام من رديئه، كما بلغ من إحاطته وشمول معياره لصفة الظاهرة النحوية في العربية ان يعرف اكثر ما جاء من الشواهد في كتابه، ويقطع بصحة وروده وعدم وروده عن العرب، والهدف من كل هذه الدراسة هو الفائدة المتوخاة من الكلام،وهذا غيض من فيض في الكتاب.

واختتم هذا البحث بما قاله أستاذي نهاد الموسى عن سيبويه: "بانه اتسع ما لم يتسعوا، وسبق ما لم يسبقوا"، وما قاله في كتابه من انه "كتاب صفة العربية"، لا أقول ما قاله عبد الصبور شاهين من ان سيبويه فهم ما نفهمه الآن من علم التراكيب بل أقول إن علم اللغة الحديث، وصل في تطوره إلى ما فهمه سيبويه، لأن اللاحق يتبع السابق وليس العكس، ولا أبالغ إن قلت: "كلما تقدم علم اللغة الحديث، اقترب من علم العربية الذي تضمنه الكتاب".

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Abstract

This study is based on the main contextual features: The speaker, the addressee, the meaning, and the general social environment.

It also explains the effect of each of these elements on the linguistic structure, from its very beginning represented in sounds, words, sentences ending with the general content. It also explains the common relationship between these linguistic elements on the one hand, and the contextual elements on the other, and the effect of each of them on the other in terms of pronunciation, ellipsing, mentioning, reference, going out of the origin, following the origin and constructing the basic structures.

The speaker is given the central role in the linguistic interaction, and full freedom to adjusting the interaction to what he sees fit to express his thoughts.

The addressee is considered as an important party to the linguistic interaction.

He should be considered in terms of his being singular or dual, and being present at the time of the ulterance or not. Not only the study deals with the overt contextual features of the speaker and the addressee, but also with their inner feelings and thoughts.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Meaning for Sibaweihi was a constant point for laying criteria and deciding structures and drawing lines between the right and wrong ones.

Social aspects had a significant role; he did not consider them only in forming rules, and constructing language and studying their role in every part of speech, but he also used them in his linguistic analysis to study all that is taking place in the society of social phenomena. This makes one, who studies language and its syntactic system, feel as confronting a society of language reflecting all the phenomena happening in the human society.

The study concludes that Sibaweihi studied language comprehensively, and described the syntactic phenomenon in broad manner. He did not consider only the forms of words, he understood syntax as the group of rules for the ordering of words, pronouncing them according to their structural endings to conform with their purpose of explaining the meanings and thoughts of the speaker, provided that they conform with all parts of the message.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثبت المصادر والمراجع

١ اثر القرآن في تطور البلاغة حتى نهاية القرن الخامس عشر: كامل الخولي، دار الأنوار، مصر، ط ١، ١٣٨١ هـ - ١٩٦٢م .

٢ اثر القرآن على النقد العربي: محمد زغلول، دار المعارف، مصر، ١٩٨٦م .

٣ اثر النحاة في البحث البلاغي: عبد القادر حسين، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ١٩٧٠م .

٤ احياء النحو: ابراهيم مصطفى، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط ١، ١٩٣٧م .

٥ اخبار النحويين البصريين: السيرافي، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٢١م .

٦ اساليب التوكيد من خلال القرآن الكريم: أحمد مختار البرزة، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

٧ اسرار البلاغة في علم البيان: عبد القاهر الجرجاني، تعليق السيد محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت.

٨ اسرار العربية: أبو البركات الأنباري ٥١٣ هـ ٥٧٧هـ، مطبعة الترقي، دمشق، ١٩٥٧م .

٩ اسس علم اللغة: ماريو باي، ترجمة أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط ٢، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٠ الأسلوبية والأسلوب: عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، تونس، ط ٢ ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .

١١ الأشباه والنظائر: جلال الدين السيوطي، تحقيق فائز الترحيني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١ ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٥م.

١٢ اصول تراثية في علم اللغة: كريم زكي حسام الدين، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ط ٢ ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٥م .

١٣ اصول النحو العربي، ابن السراج، تحقيق عبد الحسين الفتلي، النجف الأشرف، ١٩٧٣م .

١٤ اصول النحو العربي في نظر النحاة ورأي ابن مضاء في ضوء العلم الحديث: محمد عيد، عالم الكتب - القاهرة - ١٤٠٤هـ - ١٩٨٢م .

١٥ الأعراف أو نحو اللسانيات الاجتماعية: نهاد الموسى، بحث القي في جامعة بهلوي، شيراز، ١٩٧٢م، ونشر في مجلة حضارة الإسلام، دمشق، ١٩٧٤م .

١٦ الاقتراح في علم اصول النحو: السيوطي، جمعية دار المعارف العثمانية، ط ١ ، ١٣٥٩هـ.

١٧ الإيضاح في علل النحو: الزجاجي، تحقيق محمد مازن المبارك، دار النفاش، بيروت، ١٩٨٢م .

١٨ البلاغة تطور وتاريخ: شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، ط ١ ، ١٩٦٣م ..

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٩ البيان والتبيين: الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الجاحظ - القاهرة - ط ٤ .

٢٠ تاريخ بغداد: البغدادي، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٤٩هـ .

٢١ التطور اللغوي التاريخي: إبراهيم السامرائي، دار الأندلس، بيروت، ط ٣، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

٢٢ تفسير البحر المحيط: ابو حيان الأندلسي ولد ٦٥٢هـ وتوفي ٧٥٤هـ، دار الفكر للطباعة والنشر، ط ٢، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

٢٣ تقويم الفكر النحوي: علي ابو المكارم، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط ٣، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

٢٤ تهذيب المقدمة اللغوية للعلايلي: اسعد علي، دار السؤال للطباعة والنشر، دمشق، ط ٣، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م .

٢٥ الجمل في النحو: الزجاجي توفي ٣٤٤هـ، تحقيق علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، دار الأمل، ط ٢، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

٢٦ حاشية الصبان على شرح الأشموني: محمد بن علي الصبان، دار إحياء الكتب العربية، مطبعة عيسى البابي الحلبي.

٢٧ الحيوان: الجاحظ، شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي، ط ٢ .

٢٨ خزانة الأدب: عبد القادر البغدادي، المطبعة الأميرية، بولاق، ط ١، ١٢٩٩هـ .

٢٩ الخصائص: ابن جني، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، ط ٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣٠ دراسات في اللغة العربية وتاريخها : محمد الخضر حسين - تحقيق محمد رضا التونسي، الشركة المتحدة للتوزيع، دمشق ١٣٨٥هـ - ١٩٧٥م .

٣١ دراسات في اللغة والنحو : حسن عون، مطبعة رويال، خلف محكمة الإسكندرية الشرعية، ط ١ ، ١٩٥٢م.

٣٢ دروس في الألسنية : فرديناند دي سوسير ت ١٩١٣م، ترجمة صالح القرماوي، محمد عجينة .

٣٣ دلائل الإعجاز : عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمد رشيد رضا، مكتبة القاهرة، ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م .

٣٤ دور الكلمة : إستيفن أولمان، ترجم له وعلق عليه كمال بشر، مكتبة الشباب، القاهرة .

٣٥ الرسالة : الشافعي، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٦ السياق في البحث اللغوي عند العرب: إبراهيم خليل، مخطوطة رسالة دكتوراه في الجامعة الأردنية، ١٩٩١م .

٣٧ سيبويه إمام النحاة : علي النجدي ناصف، مكتبة نهضة مصر بالفجالة، مطبعة لجان البيان، ١٣٧٣هـ - ١٩٥٣م .

٣٨ سيبويه جامع النحو العربي: فوزي مسعود، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م .

٣٩ سيبويه حياته كتابه : أحمد أحمد بدوي، مكتبة نهضة مصر بالفجالة، ط ٢ مصنف تحت رقم ١٩٣٥١/ح دار الكتب المصرية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤٠ شرح التصريح على التوضيح: خالد الأزهري، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة.

٤١ شرح كتاب سيبويه الجزء الأول: أبو سعيد السيرافي، تحقيق رمضان عبد التواب، محمود فهمي حجازي، محمد هاشم عبد الدايم، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٨٦م.

٤٣ شرح قطر الندى وبل الصدى: ابن هشام، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م.

٤٣ شفاء الغليل في إيضاح التسهيل: لأبي عبد الله محمد بن عيسى السليلي، تحقيق شريف عبد الله البركاتي - مكة المكرمة - المكتبة الفيصلية.

٤٤ شواهد الشعر في كتاب سيبويه: خالد عبد الكريم جمعة، مكتبة دار العروبة، الكويت، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

٤٥ العلل النحوية: علي أبو المكارم، دار الثقافة، بيروت، لبنان.

٤٦ علم الدلالة: أحمد مختار عمر، مكتبة دار العروبة للنشر، الكويت، ط ١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٤٧ علم اللسان: رضوان القضماني، مؤسسة دار الكتاب الحديثة، بيروت، ط ١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٤٨ علم اللغة: علي عبد الواحد وافي، دار النهضة للطباعة والنشر، القاهرة، ط ٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤٩ علم اللغة مقدمة للقارىء العربي: محمود السعران، دار المعارف، مصر، ط ١ ، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م .

٥٠ علم اللغة في القرن العشرين: جورج مونان، ترجمة نجيب غزاوي، مطابع مؤسسة الوحدة ١٩٧٢م .

٥١ فقه اللغة في الكتب العربية، عبده الراجحي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ١٩٧٢م .

٥٢ فقه اللغة وسر العربية: لأبي منصور الثعالبي، تحقيق مصطفى السقا، إبراهيم الأنباري، الطبعة الأخيرة، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م .

٥٣ الفهرست: ابن النديم، المطبعة الرحمانية، مصر: ١٣٨٤هـ .

٥٤ في التطور اللغوي: عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢ ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

٥٥ فنون التقعيد وعلوم الألسنية: ريمون طحان، دنيز بيطار، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٤٠١هـ - ١٩٨٧م .

٥٦ قضية التحول إلى الفصحى: نهاد الموسى، دار الفكر، عمان، ط ١ ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

٥٧ القياس في النحو: منى إلياس، دار الفكر، دمشق، ط ١ ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

٥٨ شرح الكافية في النحو الأجزاء ١، ٢: الشريف الرضي تحقيق رضا الدين محمد بن حسن الأستراباذي، دار المكتبة العامة، بيروت.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٥٩ كتاب سيبويه ج٣، طبعة باريس ١٨٨١ .
كتاب سيبويه الأجزاء ١، ٢: المطبعة الأميرية، بولاق، ١٣١٦هـ - ١٨٩٦م .
كتاب سيبويه الأجزاء من ١ إلى ٥: تحقيق عبد السلام هارون، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت .

٦٠ كتاب سيبويه وشروحه: خديجة الحديثي، نشر المؤلفة، ط ١ ، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م .

٦١ لسان العرب: ابن منظور، دار صادر، بيروت، توزيع دار الجبل .

٦٢ اللغة بين الفرد والمجتمع: أوتوجسبرسن، ترجمة عبد الرحمن أيوب، مطبعة البيان العربي، القاهرة، ١٩٥٤م .

٦٣ اللغة بين المعيارية والوصفية: تمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب.

٦٤ اللغة في المجتمع: م. م. لويس، ترجمة تمام حسان، مراجعة إبراهيم أنيس.

٦٥ اللغة العربية معناها ومبناها: تمام حسان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٣م .

٦٦ اللغة والمجتمع: محمود السعران، دار المعارف، ١٩٦٣م .

٦٧ اللمع في العربية: ابن جني توفي ٣٩٢ هـ ، تحقيق حسين محمد شرف، عالم الكتب، القاهرة، ط ١ ، ١٩٥٤م .

٦٨ مبادىء اللسانيات العامة: أندريه مارتينيه، ترجمة أحمد الحمو، المطبعة الجديدة، دمشق ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٦٩ مجالس العلماء: الزجاجي، تحقيق عبد السلام هارون، سلسلة التراث العربي، الكويت، ١٩٦٢م .

٧٠ المدارس النحوية: شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، ط ٢ ، ١٩٧٢م.

٧١ مدرسة البصرة النحوية: عبد الرحمن السيد، دار المعارف بمصر، ط ١ .

٧٢ المزهر في علوم اللغة: السيوطي، تحقيق محمد أحمد جاد المولى ومحمد ابو الفضل إبراهيم، دار الفكر للطباعة والنشر .

٧٣ مغني اللبيب: ابن هشام تحقيق سعيد الأفغاني، مازن المبارك، محمد علي حمد الله، دار الفكر، بيروت ،ط ٢ ، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.

٧٤ معجم الأدباء: ياقوت الحموي، مطبعة دار المامون، ١٣٥٥هـ .

٧٥ المقتضب: المبرد توفي ٢٨٥هـ، تحقيق محمد عبد الخالق عظمه، عالم الكتب بيروت ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م .

٧٦ مقدمة ابن خلدون: ابن خلدون : دار القلم بيروت، ط ٤ ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .

٧٧ مكانة الخليل ابن احمد في النحو العربي: جعفر عبابنه، دار الفكر للنشر و التوزيع عمان ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .

٧٨ الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون: ميشال زكريا، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، ط ١ ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٧٩ النحو العربي والدرس الحديث: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ١٩٧٩م .

٨٠ نشاة النحو وتاريخ أشهر النحاة: محمد طنطاوي، تحقيق عبد العظيم الشناوي، الجامعة الليبية، بنغازي، ط ١ ، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٨م .

٨١ نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، نهاد الموسى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م ، ط ١ .

٨٢ نظرية النظم وقيمتها اللغوية، وليد مراد، دار الفكر، دمشق، ط ١ ، ١٩٨٣م .

٨٣ الوجهة الاجتماعية في منهج سيبويه في كتابه: نهاد الموسى، نشر هذا البحث في مجلة حضارة الإسلام بدمشق.

٨٤ وفيات الأعيان: ابن خلكان، المطبعة الميمنية، ١٣١٠هـ .

٤٠١٢٤٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit